لورنس والقضية العربية 1888 - 1935

حسام علي محسن المدامغة

لُورنس والقضيَّة العَرَبيَّة

1888 ـ 1935 م

الكتاب : لورنس والقضية العربية
1888 - 1935
تأليف : حسام علي محسن المدامغة

الحُقُوق جميعها محفوظة للنَاشر

النَاشر : الأوائل للنَشر والتَوزيع
سُوريَّة . دمشق الإدارة : ص . ب 3397
هـاتـف : 00963 11 2233013
فـاكس : 00963 11 2460063
البريد الإلكتـروني : alawael@scs-net.org

التَوزيع : دمشق ص . ب 10181
البريد الإلكتـروني: alawael@daralawael.com
جـوَّال : 00963 93 411550
00963 93 418181

موقع الدَّار على الإنتـرنت :
www.daralawael.com

قرؤوا فوصلوا
لنقرأ حتَّى نصل

الطَّبعة الأولى
نيسان 2004 م
الطَّبعة الثَّانية
نيسان 2005 م

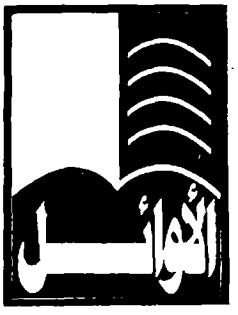

تصميم الغلاف: هلا خلوصي
الإشراف الفنّي : يزن يعقوب
التَّدقيق والمُراجعة: إسماعيل الكردي

الفهرس

الإهداء	9
المُقدِّمة	11
الفَصْل الأوَّل:	
المرحلة المُبكِّرة من حياة لُورنس 1888 . 1914	17
نشأته وشخصيَّته :	17
دراسته :	20
رحلات لُورنس في البلاد العَرَبيَّة عشية الحَرْب العالميَّة الأُولى :	29
ـ رحلة لُورنس إلى قرقميش :	29
ـ رحلة لُورنس إلى القاهرة :	33
ـ عودة لُورنس مُجدَّداً إلى قرقميش :	35
ـ رحلة لُورنس إلى سيناء :	40
اندلاع الحَرْب العالميَّة الأُولى وانضمام لُورنس إلى الجيش البريطاني :	43
ـ عمل لُورنس في مكتب الاستخبارات البريطاني في القاهرة :	43
ـ مهمَّة لُورنس السِّرِّيَّة في العراق :	47
ـ عمل لُورنس في المكتب العَرَبي في القاهرة :	57

الفَصْل الثَّاني:

دور لورنس في المرحلة الأُولى من الثّورة العَرَبيَّة (المعارك الحجازيَّة) 60

مدخل: 60

- اتِّصالات لُورنس المُبكِّرة برجال الثّورة العَرَبيَّة: 65

- مهمَّة لُورنس كضابط ارتباط ودوره في تحرير منطقة الوجه: 78

- دور لُورنس في مفرزة التّخريب التّابعة لجيش الأمير عبد الله: 86

- دور لُورنس في خُطَّة تحرير ميناء العَقَبَة: 90

الفَصْل الثَّالث:

دور لُورنس في المرحلة الثَّانية من الثّورة العربيَّة (المعارك الشّماليَّة) 100

- دور لُورنس في عمليَّة تدمير جسر تلِّ الشّهاب: 100

- دور لُورنس في احتلال الطّفيلة: 109

- دور لُورنس في احتلال منطقة معان: 113

- دور لُورنس في احتلال مدينة دمشق: 125

الفَصْل الرّابع:

دور لُورنس السّياسي في أحداث ما بعد الثّورة العربيَّة 1919 . 1920 134

- دور لُورنس في لندن وباريس قُبيل وخلال انعقاد مُؤتمر الصُّلح 1919: 134

- دور لُورنس في عقد اتِّفاق - وايزمان: 151

- لُورنس يحضر مُؤتَمَرَيْ القاهرة والقُدس 1921: 161

- دور لُورنس في مُفاوضات المُعاهدة البريطانيَّة الحجازيَّة: 172

- لُورنس مندوباً سامياً في شرقي الأُردُن: 180

الفَصْل الخامس:

مرحلة العُزلة والنَشاط الفكْري 1922 . 1935 187

- التحاق لُورنس بالجيش للمرَّة الثّانية : 187

- مُؤلَّفات لُورنس : 195

- صحراء زن The Wilderness of Zin : 195

- كتاب أعمدة الحكْمَة السّبعة Seven Pillars of Wisdom : 197

دار سَكّ النُّقُود : 200

- المجلس الشَّرْقي Oriental Assembly : 202

- رسائل لُورنس The Letters Of T.E.Lawrence : 205

وفاته : 209

الخاتمة 215

المصادر والمراجع 219

الإهداء

إليهما ﴿ رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾

إليهما: مَوَدَّةً ورَحْمَةً..

أهدي جهدي المُتواضع هذا

حُسام

الرُّمُوز والمُختصرات

1. د. ك. و: دار الكُتُب العلميَّة والوثائق العراقيَّة

2-P.R.O Pupgic rooeRd Office.

3-F.O.: Foreign Office.

4- R.A.F: Royal Air Force.

المُقدِّمة

حفلتْ المنطقة العَرَبيَّة في فترة الحُكْم العُثماني بنشاط العديد من الرَّحَّالة والمُستشرقين الأوروبيِّيْن والأمريكان الذين اختلفوا في مغزى نشاطهم ، فمنهم مَنْ جاء بحثاً عن معلومات جديدة تُغني معرفته ، وتُرضي فُضُوله ، ومنهم مَنْ جاء بناء على توجيه من حُكُومته لأهداف استخباراتيَّة ، يقصد من ورائها جَمْع معلومات سياسيَّة أو عسكريَّة عن منطقة نشاطه . وتُوماس إدوارد لُورنس - موضوع دراستنا - من الذين عملوا في المنطقة العَرَبيَّة بتوجيه خارجي ، أُريد بواسطته جَمْع معلومات تفصيليَّة عن الأوضاع الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والسِّياسيَّة في أقاليم الدَّولة العُثمانيَّة ، عشيَّة اندلاع الحَرْب العالميَّة الأُولى ، فلا غرابة أنْ يكون نشاطه مُستتراً تحت أهداف أُخرى .

ولعلَّ لُورنس من أهمِّ الشَّخصيَّات البريطانيَّة التي عملت في المنطقة العَرَبيَّة في فترة مُضطربة حافلة بالأحداث الدَّوليَّة . لذا : أخذنا على عاتقنا دراسة هذه الشَّخصيَّة التي ارتبط اسمها بالكثير من التَّحوُّلات السِّياسيَّة التي شهدتها المنطقة في كُلٍّ من الحجاز وسُورية والعراق وشرقي الأُردُن ؛ إذْ كان ذا صلة وثيقة بالمنطقة العَرَبيَّة ، مُذ وطأت قدماه أرضها كمُنقِّب للآثار . كما إنَّه رافق قادة الثَّورة العَرَبيَّة الكُبرى في الكثير من العمليَّات العسكريَّة التي نفَّذتها الجُيُوش العَرَبيَّة ، بصفته ضابط ارتباط بين الجُيُوش العَرَبيَّة والقُوَّات البريطانيَّة . وبعد أنْ وضعت الحَرْب أوزارها تحوَّل دوره إلى سياسي محض ، وساهم بشكل فاعل في رَسْم خارطتها السِّياسيَّة .

ومن أُولى المعوقات التي تُواجه أيَّ باحث يتصدَّى لدراسة شخصيَّة بريطانيَّة هي عدم توفُّر الوثائق غير المنشورة ، التي هي عبارة عن تقارير ورسائل كَتَبَهَا لُورنس ، أو التي كُتبتْ عنه . والمحفوظة في دائرة السِّجلاَّت البريطانيَّة Puplic Record Office وفي الكثير من الجامعات العالميَّة : أهمُّها جامعة أكسفورد Oxford University وكان لتفضُّل الدُّكتور فاروق صالح العُمر مشكوراً بتقديم بعض تلك الرَّسائل والتَّقارير والمقالات الأثر الأكبر في سدِّ جُزء من هذا النَّقْص ، وعلى الرَّغم من ذلك ، ظلَّت تلك الوثائق دُون مُستوى الطُّمُوح .

أمَّا الصُّعُوبة الأُخرى : فهي كَثْرَةُ المصادر التي كُتبت عن شخصيَّة لُورنس ، وما تبع ذلك من تباين واختلاف في وُجهات النَّظَر . فكان لزاماً علينا تصحيح تلك الآراء ، وعقد مُقارنات عديدة ، لكي نخرج بصُورة واضحة عن هذه الشَّخصيَّة ، لذا : جاء الكتاب مليئاً بالنُّصُوص ، لدَعْم بعض الآراء الواردة فيه .

يتألَّف الكتاب من هذه المُقدِّمة المُختصرة ، وخمسة فُصُول ، وخاتمة ضمَّت أهمَّ النَّتائج التي توصَّل إليها البَحْث . دَرَسَ الفَصْلُ الأوَّلُ المرحلةَ الأُولى من حياة لُورنس ، ابتداءً من تاريخ ولادته عام 1888 ، وحتَّى عام 1916 . وتضمَّن هذا الفَصْل دراسة ولادته ، ونشأته الأُسريَّة ، وصفاته الشَّخصيَّة ، وانعكاس ذلك كُلِّه على شخصيَّته ، كما تضمَّن مبحثاً خاصَّاً عن انخراط لُورنس في الجيش البريطاني عند اندلاع الحَرْب العالميَّة الأُولى ، وركَّزنا في هذا المبحث على عمله في مكتب الاستخبارات البريطانيَّة في القاهرة . والمهامُّ التي كُلِّف بتأديتها ، وبصُورة خاصَّة مهمَّته في مُفاوضة القائد العُثماني خليل باشا أثناء حصار الكُوت ، كما تضمَّن هذا الفَصْل عَمَلَ لُورنس في المكتب العَرَبي في القاهرة .

ونَظَراً لسعة موضوع اشتراك لُورنس في عمليَّات الثَّورة العَرَبيَّة ، آثرنا تقسيمه إلى مرحلَتَيْن . ووَفَّرَ لنا انتقال مُقدَّرات الجُيُوش العَرَبيَّة من الحجاز إلى الشَّمال نحو سُورية حَدَّاً فاصلاً ، سهَّل علينا مهمَّة تقسيمه على النَّحو

المُشار إليه أعلاه. فشمل الفَصْل الثّاني من هذا الكتاب المرحلة الأُولى من العمليّات العسكريّة ، والتي أطلقنا عليها 'العمليّات الحجازيّة' ، وتضمّن هذا الفَصْل كيفيّة انضمام لُورنس إلى قُوّات الثّورة العَرَبيّة ، ودوره في تحرير ميناء الوجه ، ونشاطه في تدمير محطّات السّكك الحديديّة . وكذلك دوره في تحرير ميناء العَقَبة .

أمّا الفَصْل الثّالث : والذي شمل المرحلة الثّانية من العمليّات العسكريّة التي أطلقنا عليها 'العمليّات الشّماليّة' : فقد تضمّن دور لُورنس في تحرير منطقة الطّفيلة ، ومعان ، وتحرير دمشق ، وحاولنا في هذا الفَصْل توضيح العوامل التي حَدَتْ بلُورنس إلى إقناع القادة العَرَب بضرورة نَقْل مُقدّرات جيشهم إلى الشّمال ، فَضْلاً عن بيان أسباب الخلاف بين لُورنس والفرنسيّيْن .

وتطرّق الفَصْل الرّابع إلى المرحلة الثالثة من حياة لُورنس ، والتي شملت الفترَتَيْن عامَيْ 1919 حتّى 1926 ، إذْ تميّزت بنشاط سياسي محض ، وقُسّم هذا الفَصْل إلى خمسة مباحث: تناول المبحث الأوّل منها تتبُّعاً لدور لُورنس في مُؤتمر الصُّلح بباريس عام 1919 ، الذي تميّز بجُهُود واضحة من قبَله للحَدّ من الأطماع التّوسُّعيّة الفرنسيّة في سُورية ، وركّز المبحث الثّاني على ارتباطات لُورنس بالحَرَكة الصّهيونيّة العالميّة من خلال دراسة دوره في عقد اتّفاقيّة فَيْصَل . وايزمن . أمّا المبحث الثّالث : فقد خُصّص لحُضُور لُورنس مُؤتمَرَيْ القاهرة والقُدس عام 1921 ، وكان لآرائه وجُهُوده في هذَيْن المُؤتمَرَيْن أثر واضح في تأسيس المملكة العراقيّة ، وولادة إمارة شرقي الأُردُن . ودَرَسَ المبحثُ الرّابع دورَ لُورنس في المُفاوضات البريطانيّة ـ الحجازيّة لعَقْد المُعاهدة المُقترحة بين بريطانيا ومملكة الحجاز . أمّا المبحث الخامس : فتضمّن مهمّة لُورنس كمندوب سام لبريطانيا في إمارة شرقي الأُردُن ، والتي خَتَمَ بها دوره في المنطقة العَرَبيّة .

وركّز الفَصْل الخامس على المرحلة الرّابعة من حياة لُورنس ، والتي تشملها الفترة بين عام 1922 ، وحتّى وفاته عام 1935 . والتي تميّزت بالعُزلة السّياسيّة

والنّشاط الفكري والأدبي للُورنس . وتضمّن هذا الفصل مبحثاً خاصّاً عن انخراط لُورنس في الجيش البريطاني مُجدّداً ، ثُمّ دراسة لأنشطته الفكْريّة في التّأليف والتّرجمة ، والتي تضمّنت عَرْضاً وتحليلاً لكتاباته المنشورة على هيئة كُتُب أو مقالات أو تقارير . أمّا وفاته : فقد خُصّص لها المبحث الأخير من هذا الفَصْل ، وتطرّقنا فيه لاختلاف وتباين الآراء في طبيعة وفاته ، وحاولنا - قدر الإمكان - الخُرُوج برأي موضوعي حول طبيعتها .

اعتمد الكتاب - فَضْلاً عن الوثائق العَرَبيّة والإنكليزيّة غير المنشورة والمنشورة - على الكثير من المصادر العَرَبيّة والأجنبيّة : تأتي في مُقدّمتها مُؤلّفات لُورنس ، ومن أهمّها كتابه الذّائع الصّيت أعمدة الحكْمَة السّبعة الذي أفدنا منه كثيراً في الفصلَيْن الثّاني والثّالث ، لما احتواه من معلومات تفصيليّة عن العمليّات العسكريّة لقُوّات الثّورة العَرَبيّة ، على الرّغم من أنّها تُمثّل وُجهة نَظَر كاتبها ، والتي تتعارض - في أحيان كثيرة - مع وُجهة النّظَر العَرَبيّة .

ومن المصادر المُهمّة ذات الطّبيعة الوثائقيّة كتاب المُراسلات التّاريخيّة للكاتب الأُردُني سُليمان مُوسى ، ويقع في ثلاث مُجلّدت : تضمّن المُجلّد الأوّل السّنوات من 1914 - 1918 ، والثّاني شمل العام 1919 ، أمّا المُجلّد الثّالث : فشمل الفترة من عام 1920 حتّى عام 1923 . وقد أفاد الباحث في توضيح بعض القضايا الغامضة ، من خلال الرّسائل التي نَشَرَها بين طيّات كُتُبه تلك ، وكذلك رسائل لُورنس التي نَشَرَهَا (Malcolm Brawn) في كتاب أسماه (The letters of T.E Lawrance) فَضْلاً عن الرّسائل التي نَشَرَهَا (David Carnett) والتي تضمّنت الكثير من آرائه السّياسيّة والعسكريّة ومُراسلاته مع القادة البريطانيّيْن والعَرَب . وقد أفادتنا في معرفة وُجهة نَظَره في الكثير من المسائل العسكريّة والسّياسيّة .

ومن المصادر الأصليّة في هذا الجانب الدّراسة الموسومة بـ (T.E. lawrence and his World) لمُؤلّفها (Richard Graves) والتي ضمّت بين دفّتَيْها معلومات

دقيقة وتفصيليَّة عن حياة لُورنس من ولادته حتَّى وفاته ، وممَّا تُؤاخذ عليه هذه الدّراسة - كغيرها من الدّراسات البريطانيَّة - أنَّها بالغت كثيراً في الدّور الذي أدَّاه لُورنس في الثّورة العَرَبيَّة ، وعدَّته قائد الثّورة ، ومُؤجّج أوارها .

ومن خلال سعينا لإيجاد نوع من التّوازن بين وُجهَتَيْ النَّظَر البريطانيَّة والعَرَبيَّة حول شخصيَّة لُورنس ، ثُمَّ استخدام بعض المصادر التي تُمثِّل وُجهة النَّظَر العَرَبيَّة . وتأتي في مُقدّمتها دراسة الكاتب سُليمان مُوسى الموسومة 'لُورنس والعَرَب وُجهة نَظَر عَرَبيَّة' ، وكذلك كُتُب المُذكّرات لبعض الذي عاصروا لُورنس ، أو عملوا معه في الثّورة العَرَبيَّة ، منها على سبيل المثال مُذكّرات أحمد قدري ، وتحسين العسكري ، وجعفر العسكري ، ونُوري السّعيد ، ومُذكّرات الأمير عبد الله ، وكذلك ما كَتَبَهُ صُبحي العُمري في كتابه 'لُورنس كما عَرَفْتُهُ' .

وأعطتنا مُذكّرات رُستُم حيدر التي حقَّقها الباحث نجدة فتحي صفوت تصوُّراً واضحاً للدّور الذي مارسه لُورنس خلال مُؤتمر الصُّلح ، كونه أحد أعضاء الوفد العَرَبي لهذا المُؤتمر .

واستفدنا من الكثير من البُحُوث والمقالات التي نُشرت في المجلاَّت والدّوريَّات العراقيَّة والعَرَبيَّة ، لما احتوته من معلومات مُهمَّة عن بعض الجوانب من شخصيَّة لُورنس ، منها على سبيل المثال لا الحصر ، ما كَتَبَهُ سُليمان مُوسى في مجلَّة 'الآداب البيرُوتيَّة' ، وكذلك ما كَتَبَهُ أنيس صايغ في مجلَّة حوار البيرُوتيَّة أيضاً، فَضْلاً عمَّا نَشَرَتْهُ 'مجلَّة المُقتطف القاهريَّة' ، و'آفاق عَرَبيَّة' .

وكان لابُدَّ من الاعتماد على الكثير من المصادرة العَرَبيَّة والأجنبيَّة التي تناولت التَطوُّرات السّياسيَّة التي شهدتها المنطقة العَرَبيَّة ، والتي يُمكن مُراجعتها في قائمة المصادر والمراجع .

وختاماً : أرجو أنْ أكون قد وُفّقتُ في عرض صُورة مُبسَّطة عن هذه الشّخصيَّة المُهمَّة .

الفَصْل الأوَّل:

المرحلة المُبكِّرة من حياة لُورنس

1888 ـ 1914

نشأته وشخصيَّته:

وُلد تُوماس إدوارد لُورنس (Thomes Edward Lawrence) في 15 آب عام 1888[1] في مُقاطعة تريمادوك (Tremadoc) في ويلز، إحدى مُقاطعات بريطانية[2]، في قرية تُدعى ولش (Welsh)[3] وينتمي إلى أُسرة نبيلة؛ إذْ كان والده السِّر تُوماس رُوبرت تشابمان (T.R. Chapaman) الذي وُلد في عام 1846م، البارون السّابع من أُسرة تشابمان، وظلَّ في منصبه هذا حتَّى وفاته في الثّامن من نيسان عام 1919[4]. وكان من كبار أصحاب الأراضي والعقارات في أيرلندا، ولكنَّه فَقَدَ مُعظم أملاكه عندما هَبَطَتْ أسعار الأراضي في عهد وزارة وليم كلاد ستون (Gladston)[5].

---

(1) Encyclopaedia Britannica, Vol-13, London, Encyclopaedia Britannica, Inc, 1970, P.729; Liddle Hart, "T.E. Lawrence" in arabia and after, London, Jonathancape, 1939, P.13.

وهُناك اختلاف في تاريخ يوم واحد لولادة لُورنس في بعض المصادر؛ إذْ تُحدِّد تلك المصادر ولادته يوم 16 آب/ 1888. انظر: أنتوني ناتنغ ولويل تُوماس، لُورنس لُغز الجزيرة العَرَبيَّة، بيرُوت، مُؤسَّسة المعارف، 1969، ص5.

Richard Graves, Lawrence of Arabia and his World, London, 1976, P.7.

(2) ريتشارد الدنكتون، لُورنس في البلاد العَرَبيَّة، ترجمة محمُود عزَّت مُوسى، بدُون معلومات، ص19.

(3) Richard Graves, Op., Cit., P.7.

(4) ريتشارد الدنكتون، المصدر السّابق، ص16.

(5) Lowell Thomas, with lawrence in Arabia, London, Hutchinson and Co. Ltd, 1925, p.22.

تزوَّج تُوماس تشابمان من ابنة عمِّه أديث هاملتون بويد عام 1873م، زواجاً قائماً - بالأساس - على الرّابطة العائليَّة والاجتماعيَّة، وكانت زوجته هذه تتَّسم بالتَّسلُّط، وحدَّة المزاج، كما أنَّ تعصُّبها للمذهب الكاثُوليكي فاق احتماله، واعتبرت أيَّ نوع من أنواع التّسلية إثماً، ودأبت على إقامة الصّلوات يومياً[1].

أضافت تلك الصّفات عبْئاً ثقيلاً على حياة تُوماس تشابمان "فأخذ بالبَحْث عن امرأة تُنقذه من هُمُومه تلك، فنشأ لديه مَيْلٌ إلى مُربِّيَة بناته المدعوَّة سارة مادن (Sarha Maden) والتي كانت قويَّة الإرادة، وذكيَّة، حتَّى كوَّنت لنفسها مكانة مُحترمة في منزل تشابمان، بسبب انشغال السَّيِّدة تشابمان بالشُّؤُون الدِّينيَّة، لذلك كانت تُعَدُّ أحد أفراد العائلة، فنشأت بين الاثنَيْن علاقة عاطفيَّة، فَعَاشَرَهَا مُعاشرة الأزواج، ولَمَّا لم يكن من المعقول أنْ يلتقيا في نفس المنزل، استأجرت سارة منزلاً في إحدى ضواحي دبلن، وراحت تستقبل تشابمان كُلَّما دَعَتْ الحاجة لذلك[2].

أنجب تُوماس تشابمان من سارة خمسة أولاد، فبعد أنْ وُلد ابنهما البكر "رُوبرت" انتقلت العائلة من أيرلندا إلى إنكلترا، وأبدلَ تشابمان اسمَهُ إلى لُورنس، إمعاناً منه في التَّخفِّي من عمل لم يكن بالإمكان أنْ تغفره له الطّبقة الأرستُقراطيَّة[3]، وأقصد - بذلك - الزّواج من فتاة تنتمي إلى طبقة اجتماعيَّة مُتدنِّية وُفق مقاييس ذلك العصر.

ثُمَّ وُلد الابن الثّاني؛ وهُو "تُوماس" موضوع دراستنا، "وويل، وفرانك"، اللّذان قُتلا في الحَرْب العالميَّة الأُولى، والابن الأصغر "أرنولد" الذي أصبح أُستاذاً في جامعة أُكسفُورد[4].

لم تكن تلك العائلة المُتكوِّنة من أب وأُمٍّ وخمسة أولاد تنعم بالاستقرار في مكان ثابت، فطيلة اثنَيْ عشر عاماً جابت خلالها مناطق مُختلفة، فمن ويلز، انتقلت العائلة إلى شمال اسكتلندا؛ حيثُ مَكَثَتْ هُناك ثلاث سنوات، ثُمَّ إلى جزيرة مان، فجزيرة جيرسي البريطانيَّة؛ حيثُ انضمَّ لُورنس إلى كُلِّيَّة الآباء اليسوعيِّين بناء على رغبة والدته، وجنوب

---

(1) فيليب نايتلي، وكُولن سمبسون، المخفي من حياة لُورنس.

(2) فيليب نايتلي، وكُولن سمبسون، المصدر السّابق، ص17.

(3) Richard Graves, Op. Cit, P.7.

(4) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب وُجهة نَظَر عَرَبيَّة، عمَّان، 1963، ص16.

انكلترا في منطقة لانجلي، وأخيراً؛ استقرَّت العائلة في أُكسفُورد في (Polsteed Road)؛ حيثُ شعرت العائلة بالأمن والاستقرار هُناك[1]. ويبدو أنَّ سبب استقرار العائلة في أُكسفُورد، وعدم انتقالها مُجدَّداً، يعود - بالدّرجة الأُولى - إلى دُخُول الأولاد إلى المدارس، ممَّا يجعلهم غير قادرين على مُغادرة المكان.

وربَّما يعود سبب عدم الاستقرار هذا إلى العلاقة غير الشَّرْعيَّة التي تربط والد لُورنس بوالدته سارة، لذا؛ نراه - أيْ والد لُورنس - يتنقل من مكان إلى آخر، رغبة منه في الابتعاد عن وَسَطه النّاقم عليه، فَضْلاً عن عدم وُجُود مصالح تجاريَّة ثابتة تتطلَّب من ربِّ العائلة الاستقرار في مكان واحد للإشراف على مصالحه تلك.

أثَّر عدم الاستقرار هذا تأثير واضحاً في شخصيَّة ونَفْسيَّة لُورنس؛ إذْ نراه حادَّ المزاج، كثير الحَرَكَة، ونادراً ما يستقرُّ في مكان ثابت لفترة مُعيَّنة من الوقت.

أشرفت سارة على تربية أبنائها تربية صارمة، وأنشأتهم تنشئة دينيَّة، نتيجة لشُعُورها بالإثم، بسبب علاقتها غير الشَّرْعيَّة بتُوماس لُورنس، كما لم تكن تسمح لأولادها بمُخالطة الجيران، فقد كانت العائلة تعيش شبه مُنعزلة، بسبب ظُرُوفها الاجتماعيَّة غير الاعتياديَّة، لذا؛ نرى أنَّ أحد أبنائها يُصبح قسّاً فيما بعد، على عكس لُورنس، الذي لم تستطع تلك التّربية أنْ تجعله مُتديِّناً، فكان دائم النُّفُور من المُناسبات الدِّينيَّة، وخُصُوصاً الذّهاب إلى الكنيسة أيَّام الآحاد[2].

وكانت هُناك صفة أُخرى اتَّصفت بها عائلة لُورنس، وتَركَتْ بصماتها على شخصيَّته، ألا وهي سيطرة العُنصر الرّجالي في العائلة؛ إذْ لم تحو عائلته أيَّ أثر نسائي، باستثناء والدته، لقد تربَّى لُورنس بطريقة تقرَّر له فيها أنْ يستغني عن البنات، أو المُجتمع النّسائي، وقد بقيت هذه التّربية في داخله، في ما نراه من (بُرُودة) لُورنس تجاه النّساء[3].

---

(1) Flora Armitage, The Desert and the Stars, London, Faber and Faber, 1956, P.14; Richard Graves,Op.Cit. P.7; Lowell Thomas, Op.Cit., P.22.

(2) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص17، "جريدة الأهالي"، بغداد، العدد 550، 14 تشرين الأوَّل 1960.

(3) Flora Armitag, Op. cit., P.24.

كانت تلك المرحلة من أحرج المراحل وأعرقها في حياة لُورنس ؛ إذْ انكشف أمامه سرُّ العلاقة الزّوجيَّة غير الشَّرْعيَّة التي كانت تربط والدَيْه "فأصبحت تلك العلاقة وصمة عار تُلاحق لُورنس أينما حلَّ ، خُصُوصاً إذا ما علمنا أنَّه كان يعيش في وسط مُحافظ يُولي هذه الأُمُور أهمِّيَّة بالغة ، فقد أصبحت هذه العلاقة وشُعُور لُورنس بالنَّقْص والعار من جرَّائها المهمازَ الذي يتحكَّم بكُلِّ تصرُّفاته وأعماله في جميع مراحل حياته حتَّى الممات .

دراسته:

كان للاستقرار الذي نعمت به العائلة في مدينة أُكسفُورد أثر واضح على تعليم لُورنس ، فقد واتته فُرصة التَّعلُّم في أرقى المُؤسَّسات العلميَّة في العالم ، وتزامن ذلك مُرُور إنكلترا بعهد من أخصب عُهُودها اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً واستعمارياً ؛ وهُو "العهد الفكتُوري"[1] لقد أثَّر جوُّ أُكسفُورد العلمي على لُورنس ، وَطَبَعَهُ بطابَع أُكسفُورد الخاصِّ من النّاحية الثّقافيَّة[2] ، حتَّى إنَّه قال فيها : "إنَّ أُكسفُورد كانت فردوساً"[3] .

اتَّسم لُورنس ـ مُنذُ نُعُومة أظفاره ـ بالقُوَّة والحَيويَّة والنّشاط ، والاعتماد على النَّفْس وقُوَّة الذّاكرة ؛ إذْ إنَّه تعلَّم ـ بسُرعة ـ أنْ يقف ، ثُمَّ يمشي بدُون مُساعدة عندما كان عُمره لا يتجاوز السَّنَة إلاَّ قليلاً ، كما أنَّه تعلَّم ألف باء الإنكليزيَّة وهُو في سنِّ الثّالثة[4] .

واستطاع أنْ يتحدَّث بالفرنسيَّة وهُو في سنِّ السّابعة من عُمره[5] ، وبذلك ؛ كان لُورنس يختلف عن أُخوته ، وباقي الأطفال في مُحيطه ، فقد ظَهَرَتْ عليه علائم الموهبة والنُّبُوغ مُنذُ نعومة أظفاره .

---

(1) العهد الفكتُوري : نسبة إلى الملكة فكتُوريا "Victoria" (1819 ـ 1901) تطوَّرت إنكلترا في عهدها اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً ، ومن النّاحية الثّقافيَّة ؛ عمَّت الرُّومانتيكيَّة بدلاً من الكلاسيكيَّة ، كما شاعت في هذا العهد بعض النَّظريَّات والمذاهب الفكريَّة والفلسفيَّة ، ، كشُيُوع الدّاروينيَّة ، ونَظريَّة جُون ستيورات مل ، إلى جانب تأثيرات هربرت سبنسر ، وفي هذا العهد توسَّعت المُشكلات البريطانيَّة إلى درجة كبيرة ، للتّفاصيل انظر :
David Thomson, England in the Nieteenth Century (1815- 1914), London, 1950, PP.221-238;
أنيس صايغ ، "رأي عَرَبي في لُورنس" ، مجلَّة حوار ، بيرُوت ، العدد الخامس ، تمُّوز ـ آب 1963 ، ص16 ـ 17 .

(2) Lowell Thomas, Op. Cit, p.22.

(3) مُقتبس من "ريتشارد الدنكتون ، المصدر السّابق ، ص22 .

(4) Flora Armitag, Op. Cit., P.14.

(5) ريتشارد الدنكتون ، المصدر السّابق ، ص21 .

وبحُلُول عام 1896م؛ أيْ عندما كان لُورنس في الثّامنة من عُمره، أدخله والداه مدرسة أُكسفُورد العالية، وأخذ لُورنس يغتنم الفُرص، وأحرز مزيداً من التَّقدُّم، حتَّى أخذ يكسب المنحَ الدّراسيَّة التي يُكافأ بها المُتفوّقون، وقد ساهمت تلك المنحُ على تخفيض نفقات دراسته بشكل ملحوظ[1].

في هذه المرحلة؛ بدأت صلة لُورنس بالتّاريخ تُؤكّد نفسها عندما كان في سنِّ العاشرة، فلقد استهلَّ هذه الصّلة بأشياء صغيرة؛ مثل قطَع العملة الرُّومانيَّة، وقطَع الفخّار التي كان يطلبها من العُمّال الذين يحفُرُون في أُسُس مدينة أُكسفُورد القديمة.

ثُمَّ تطوَّر هذا الحُبُّ بجَمْع التّماثيل النُّحاسيَّة للفُرسان والأساقفة من الكنائس الكثيرة المُحيطة بأُكسفُورد، وفي النّهاية؛ قاده اهتمامه إلى منحوتات القُرُون الوُسطى وفنِّ العمارة العسكري[2]. كما كان لُورنس مُهتمّاً - خلال هذه الفترة - بالألعاب العسكريَّة التي يلعبها الصّغار في مثل سنِّه؛ إذْ يقول أحد أُخوته: "كان يقصُّ علينا ونحنُ في غرفة النّوم حكايات خياليَّة ومُثيرة عن قلعة تُهاجَم من قبَل الأعداء، ويُنظِّم بنفسه بطريقته الرّوائيَّة خُطَّة دفاع ذكيَّة ومُستميتة[3]. هذه الحادثة تُبرز لنا الميلَ الفطريَّ نحو إدراك الخُطط العسكريَّة والتّعامل معها، وهذا ما تجلَّى واضحاً فيما بعد، عند اشتراكه في أحداث الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى 1916.

وعندما كان لُورنس في سنِّ السّادسة عشرة من عُمره تعرَّض لحادثة كانت لها آثار كبيرة؛ إذْ كَشَفَتْ عن مقدرة لُورنس على تحمُّل الألم؛ حيثُ كُسرَتْ ساقه في شجار مع أحد الطَّلَبَة المُشاغبين في المدرسة، لكنَّه لم يبحْ لأحد بذلك، وواصل دراسته في ذلك اليوم، وبعد أنْ أخذت آلامه تزداد، أدرك أنَّه لا يستطيع الاستمرار بالدّراسة، فبعث إلى أحد أُخوته، ليأخذه إلى المنزل، وربَّما كانت هذه الحادثة سَبَباً في نَقْص نُمُوِّه البَدَني.[4]

---

(1) عبد المُنعم مُصطفى. لُورنس قصَّة حياته وحقيقة موقعه من الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى. بغداد. دار الشُّؤون الثّقافيَّة العامَّة، 1990، ص17.

(2) Flora Armitag, Op. Cit., P.22.

(3) Quoted in: Ibid., P.26.

(4) Ibid., P.26.

وأثناء العُطل المدرسيَّة كان لُورنس يقوم برحلات مُرهقة على درَّاجته في مُختلف أنحاء إنكلترا لإشباع هوايته بالتّاريخ والآثار، كما ذَهَبَ بدرَّاجته إلى فرنسا للغاية نفسها[1]. وخلال السّنَتَيْن الأخيرتَيْن في المدرسة، قام لُورنس بعمل آثاري ذي قيمة مُهمَّة في أُكسفُورد؛ حيثُ ساعد المُنقِّبين على اكتشاف آنيَّة فخَّاريَّة وقَدَح زُجاجي، يرجع تاريخهما إلى العُصُور الوُسطى، قُدِّمت إلى مُتحف أشموليان في[2] أُكسفُورد، ويُوضح لنا تقرير قدَّمه المُتحف في عام 1906، جُهُود لُورنس في هذا المضمار، وممَّا وَرَدَ في هذا التّقرير: "خلال العام الماضي أدَّت عمليَّات الحفر.. بكُلِّيَّة يسوع وكُلِّيَّة سانت جُون إلى العُثُور على بقايا أواني وقطع زُجاج تعود إلى القرن السّادس عشر، والقرن السّابع عشر، وبفَضْل جُهُود كُلٍّ من المستر لُورنس ومستر بيسون (صديق لُورنس وزميله في الدّراسة) استطاع المُتحف أنْ يُضيف إلى مجموعاته بعض الآثار ذات الأهمِّيَّة الكُبرى؛ لأنَّهما حافظا على كُلِّ ما تمَّ العُثُور عليه، ممَّا له قيمة تاريخيَّة"[3].

شهدت تلك الفترة من حياة لُورنس تعرُّفه على ديفيد هُوكارث (D.H. Hogerth)[4]، تلك الشّخصيَّة التي لعبت دوراً بارزاً في حياة لُورنس؛ إذْ انعقدت بينهما صداقة استمرَّت إلى أواخر أيَّام لُورنس، هذا؛ فَضْلاً عن تأثيره الفكْري والسّياسي في شخصيَّته فيما بعد[5].

لم يكن لُورنس في هذه الفترة من فترات حياته لينعم بجوٍّ عائلي هادئ وحميم، فقد كان دائم النُّفُور والعُزلة، فعندما كان عُمره سبعة عشر عاماً هَرَبَ من بيت والدَيْه، ليتطوَّع كجُنْدي من كتيبة التّدريب للمدفعيَّة المَلَكيَّة (Royal Artillery)، لكنَّ والده استطاع إبعاده عن السّلك العسكري؛ حيثُ دَفَعَ تعويضاً مُناسباً، وبنى له منزلاً مُستقلاً[6].

---

(1) صُبحي العُمري، لُورنس كما عَرَفْتُهُ، بيرُوت، دار النّهار للنّشر، 1969، ص20.

(2) Richard Graves, Op. Cit., P.11.

(3) مُقتبس من "ديزموند ستيورات، لُورنس الأُسطورة والواقع، ترجمة فتحي غانم، مجلَّة "رُوز اليُوسُف" القاهرة، العدد 2554، 1977، ص36.

(4) ديفيد هُوكارث: (1862 ـ 1927) تلقَّى عُلُومه في ونْشستر وفي معهد مادولين كُولدج في أُكسفُورد، وأصبح مُشرفاً على مُتحف أشموليان، ثُمَّ مُدير المكتب العَرَبي في القاهرة 1916. للتّفاصيل انظر:
Everyman's Encyclopaedia, Vol.6, London, Dent and Sons Ltd., 1958, P.518.

(5) Richard Graves, Op.Cit., p.11.

(6) فيليب نايتلي، وكُولن سمبسون، المصدر السّابق: ص22، Richard Graves, Op.Cit., p.8.

ويبدو أنَّ سبب هُرُوب لُورنس من منزل والدَيْه، هُو ذلك الجوُّ العائلي المحموم الذي تتحكَّم به معرفة لُورنس بسرِّ العلاقة بين والدَيْه، ولكونه كان حسَّاساً ويحتاج إلى الوحدة والعُزلة، فقد آثر الابتعاد عن هذا الجوِّ العائلي، خاصَّة إذا ما علمنا أنَّه كرَّر هذه المُحاولة بعد عودته من الشَّرْق، وتطوَّع جُنْدياً بسيطاً في إحدى التّشكيلات التّابعة لسلاح الجوِّ المَلَكي، الأمر الذي سنُناقشه بشيء من التّفاصيل في الفَصْل الخاصِّ بذلك.

بعد أنْ اجتاز لُورنس مرحلة الدّراسة الأوَّليَّة، لم يستطع الحُصُول على منحة في معهد سانت جُون كُولد (John College)، إلاَّ أنَّه حَصَلَ في العام التّالي 1907، على منحة لدراسة التّاريخ في كُلِّيَّة يسوع (sus CollegeeJ)[1] بفَضْل توسُّط القسِّ كريستوفر صديق العائلة لدى اثنَيْن من أرباب المعهد هُما ديفيد ماركوليوث (D.Margolluoth)[2]، وديفيد هوكارث الذي كان على صلة ومعرفة بلُورنس، عندما كان يحضر إلى المُتحف، ويُبدي اهتماماً بآثار القُرُون الوُسطى[3]؛ حيثُ أبدى كلاهما استعداده للعناية بلُورنس، تلك العناية التي عبَّر عنها لُورنس بقوله: "هُو كارث الرّجل الذي أدين له بكُلِّ شيء مُنذُ كُنتُ في السّابعة عشرة"[4].

تميَّزت حياة لُورنس الجامعيَّة بعدم الانتظام في حُضُور المُحاضرات؛ إذْ لم ترقْ له الحياة الجامعيَّة الجديدة، كما برزت صفة جديدة في هذه المرحلة من حياته وهي حُبُّه للمُغامرة، وليس أدلّ على ذلك من أنَّه كان يصطحب زُملاءه بنُزهة نَهْريَّة في نَهْر التّايمس Thames River ماراً بمُعظم الجداول الخطرة التي كانت تصبُّ في النّهر، وفيما يتعلَّق بقراءاته، فقد استمرَّت قراءاته لكُتُب التّاريخ القديم والحُرُوب والأبطال والآثار، ولم يكن ميَّالاً إلى مُطالعة الكُتُب المُقرَّرة، ومن بين الكُتُب التي أُعجب بها إعجاباً خاصّاً كتاب "مبادئ الحَرْب"،

---

(1) The Dictionary of National Biocraphy, Vol.2, Oxford, Oxford University presses, 1982,p. 397.

(2) ماغوليوث: من أشهر أساتذة العَرَبيَّة المُعاصرين في جامعة أُكسفُورد. حقَّق ونَشَرَ العديد من كُتُب التّراث العَرَبي؛ من بينها مُعجم الأُدباء لياقوت الحموي، وكتاب الأنساب للسّمعاني. للتّفاصيل انظر: نجيب العقيقي، المُستشرقون، الجُزء الأوَّل، بيرُوت، 1937، ص166 ـ 167.

(3) فيليب نايتلي، وكُولن سمبسون، المصدر السّابق، ص22.

(4) Quotedin: Flora Armitag, Op.cit., p.23.

الذي ألّفه المارشال فرديناند فوش (Foch) (1851 ـ 1929) الذي كان قائداً أعلى لقُوّات الحُلفاء في أواخر الحَرْب العالميَّة الأُولى[1].

إنَّ قدرة لُورنس على المُطالعة بصُورة مُستمرَّة فَسَحَتْ المجال رَحْباً لخيال بعض الكُتّاب الذين أضافوا على هذه القُدرة هالة من التّهويل والمُبالغة، فادَّعوا: "أنَّ لُورنس قرأ خلال ستِّ سنوات جميع الكُتُب التي تضمُّها مكتبة جامعة أُكسفُورد"، كما أنَّه "اعتاد أنْ يستعير ستة مُجلَّدات في اليوم باسم أبيه وباسمه"، "وظلَّ يقرأ لمُدَّة ثلاث سنوات ليل نهار"، "وكان يقضي ثماني عشرة ساعة في القراءة يومياً"، كما كان "بمقدوره أنْ يُصيب لُبَّ أضخم الكُتُب في نصف ساعة"[2] ومهما يكن من أمر تلك المُبالغات، فممَّا لا شكَّ فيه أنَّ لُورنس كان قارئاً جيِّداً وذا اطِّلاع واسع، خُصُوصاً في مجالَيْ التّاريخ والآثار.

ولأجل أنْ يحصل الطّالب على الشّهادة الجامعيَّة الأوَّليَّة، أصدرت جامعة أُكسفُورد في السّنوات الأخيرة من سني دراسة لُورنس لائحة جديدة تضمَّنت شُرُوط التَّخرُّج من الجامعة، وتشمل تقديم أُطروحة من قبَل المُرشَّح تستند إلى بُحُوث وخبرات علميَّة مُبتكرة، فَضْلاً عن الدّراسات النَّظَريَّة[3]. فاختار لُورنس موضوعاً لأُطروحته بعُنوان "الفنّ المعماري الحَرْبي عند الصّليبيِّين"، أمَّا سبب اختياره لهذا الموضوع؛ فيبدو نتيجة للمعلومات الغزيرة التي اكتسبها من خلال رحلاته المُتكرِّرة إلى فرنسا، وتجوُّله في قلاعها العديدة، فَضْلاً عن توجيه هوكارث، الذي قام بإعداده إعداداً مُتقناً صادراً من رجل خبر مهنة التّجسُّس والاستخبارات عن كَثَب، فبدأ بتوجيه مُطالعات لُورنس، لاسيما فيما يتعلَّق بالتّاريخ العسكري، فقرأ الكثير من الكتابات التي تتناول بناء القلاع الصّليبيَّة وتدميرها[4].

لم يكن إعداد تلك الأُطروحة بالعمل الهيِّن، فقد كانت تتطلَّب أنْ يشدَّ لُورنس الرّحال إلى الشَّرْق لمُشاهدة القلاع العسكريَّة الصّليبيَّة في سُورية ولُبنان، فَعَرَضَ الفكْرة على والدَيْه،

---

(1) Lowell Thomas, Op. Cit., P.P. 22-23.

(2) نقلاً عن: ريتشارد الدنكتون، المصدر السّابق، ص27.

(3) أمين المُميَّز، عودة إلى اتِّفاقيَّة فَيْصَل ـ وايزمن، القسم الثّاني، "آفاق عَرَبيَّة"، العدد8، تمُّوز 1978، ص47.

(4) فيليب نايتلي، وكُولن سمبسون، المصدر السّابق، ص31؛

Lowell Thomas, Op. Cit., P. 23; Richard Graves, Op.Cit., p.13.

فلم يُوافقا في بداية الأمر، ونتيجة لإصراره؛ نزلا عند رغبته، وزوَّداه بكميَّة من المال[1]. كما استشار الرّحالة تشارلس داوتي (Charles Doughty)[2] الذي نَصَحَهُ بعدم القيام بهذه الرّحلة؛ إذْ كَتَبَ له قائلاً: "في تمُّوز وآب تكون الحرارة قاسية جداً في اللّيل والنّهار، حتّى في أعلى مُرتفعات دمشق على ارتفاع 200 قدم، إنَّها أرض تهبُّ عليها رياح السّموم التي يجد فيها الأُورُوبي الأذى. . إنَّ المسافات التي يتوجَّب قَطْعُهَا هي مسافات طويلة. لا يُوجد لديك شيء يُمكن أنْ ترسم عليه سوى ما يُمكن أنْ تجلبه معكَ من أُورُوبا"[3].

ومن الاستعدادات التي قام بها لُورنس لهذه الرّحلة أنَّه تلقَّى بعض الدُّرُوس في اللّهجة العاميَّة العَرَبيَّة على يد قسٍّ سُوري يُقيم في أُكسفُورد يُدعى "عودة"، كما أنَّ الدُّكتُور هوكارث وَعَدَهُ بأنْ يحصل له على إذن خطِّي من الحُكُومة العُثمانيَّة بواسطة اللُّورد كرزن(curzon)[4] الذي شغل منصب وزير الخارجيَّة بعدئذ[5]!

والسُّؤال الذي يتبادر إلى الذّهن الآن هُو ما السّبب الذي يجعل شخصيَّة مثل اللُّورد كرزن يتوسَّط للحُصُول على ترخيص من الحُكُومة العُثمانيَّة، ما لم تكن تلك الرّحلة تُخفي وراءها مقاصد سرِّيَّة؟ خُصُوصاً إذا ما علمنا أنَّ الذي كان وراء هذه الفكْرة هُو ديفيد هوكارث، الذي يملك معلومات ثرَّة عن أوضاع البلاد العَرَبيَّة السّياسيَّة والدِّينيَّة، لذا؛ يُمكننا

---

(1) شاكر خليل نصَّار، لُورنس والعَرَب، بيرُوت، المطبعة الأمريكيَّة، 1930، ص4.

(2) تشارلس داوتي: (1843 ـ 1926) رحَّالة وآثاري، وُلد في مدينة ثيربرتن في سانولوك. دَرَسَ في كُلِّيَّة الملك في كامبردج، قام برحلات واسعة في ثلاث قارَّات؛ كانت أهمّها رحلته إلى الجزيرة العَرَبيَّة. له نشاطات أُخرى في الأدب والمسرح. للتّفاصيل انظر:

Everyman's Encyclopaedia, Vol. 4, P.468.

(3) Quoted in: Malcolm Brawn (ed.), The Letters of T.E Lawrence, London, J.M. Dent, 1988, P.17.

(4) اللُّورد كرزن: (1859 ـ 1925) دَرَسَ في أُكسفُورد، انتُخب عُضْواً في مجلس العُمُوم عام 1885، ثُمَّ سكرتيراً لحُكُومة الهند عام 1891، ثُمَّ نائباً للملك في الهند 1899 ـ 1905، تولَّى وزارة الخارجيَّة في تشرين الأوَّل عام 1919، وحتَّى كانون الثّاني عام 1924. للتّفاصيل انظر: أحمد عطيَّة الله، القاموس السّياسي، القاهرة، دار النّهضة العَرَبيَّة، 1968، ص1527.

(5) رفيق الخُوري، لُورنس الشُّذُوذ والخيانة، "مجلَّة النّهار"، بيرُوت، العدد 19، آب 1968، ص16.

القول: إنَّ هوكارث ربَّما استغلَّ الأُطروحة غطاءً لتدريب لُورنس على مهامِّ التَّجسُّس، تلك المهامُّ التي تتطلَّب معرفة دقيقة بأحوال الشُّعُوب الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والسّياسيَّة.

وقبل سفر لُورنس زوَّده هوكارث بمجموعة من التّعليمات عن أوضاع المنطقة، وآلة تصوير بعيدة المدى ومُسدَّس وذخيرة، كما استفاد من الخرائط التي وَضَعَهَا بيرى غُوردون أحد عُملاء الاستخبارات البريطانيَّة في منطقة الشَّرْق الأدنى[1].

أبحر لُورنس في حُزيران عام 1909، من إنكلترا إلى بُور سعيد، ومنها بحراً إلى بيرُوت؛ حيثُ قضى فيها عدَّة أيَّام، مارّاً بأزقَّتها، ومُتجوِّلاً بأسواقها، وسيراً على الأقدام اتَّجه جنوباً، مارّاً بصيدا، وهُناك اتَّصل بالبعثة التّبشيريَّة الأمريكيَّة، بعدها؛ تجوَّل في مناطق لُبنان الجنوبيَّة، فشاهد النّبطيَّة، ومنها توجَّه نحو الجليل، ثُمَّ توجَّه إلى طبريَّا، وحلَّ فيها ضيفاً على مُبشِّر مسيحي يحمل أفكاراً صهيونيَّة يُدعى الدُّكتُور تُورانس (W. Torrance)[2].

وهُنا؛ أفصح لُورنس عن آرائه فيما يتعلَّق بفلسطين، وهي أوَّل إشارة حول موقفه من اليهُود؛ إذْ قال: "لقد كانت فلسطين بلداً طيِّباً أيَّام المسيح، ومن المُمكن أنْ تعود بلداً طيِّباً مرَّة أُخرى، إذا ما عاد اليهُود ليزرعوها، فمُستعمراتهم بُقع مُضيئة وسط الصّحراء"[3]، وبعد أنْ غادر لُورنس طَبَرِيَّا، اتَّجه نحو النّاصرة، فحيفا، ثُمَّ اتَّجه إلى جبل الكرمل، ثُمَّ عاد إلى بيرُوت، ومنها توجَّه ماشياً نحو الشّمال؛ حيثُ مرَّ بإنطلياس، ونهر الكلب، وجُونية، ثُمَّ اتَّصل بالبعثة الأمريكيَّة في جبيل، وحظي برعاية رئيستها المسز هُولمز (Mrs. Holmes)، وحظي كذلك باهتمام الآنسة فريدة العقل، مُدرِّسة اللُّغة العَرَبيَّة في مدرسة البعثة، ثُمَّ توجَّه نحو طرابلس، فحلب[4].

---

(1) فيليب نايتلي، وكُولن سمبسون، المصدر السّابق، ص35.

(2) أمين المُميِّز، عودة إلى اتِّفاقيَّة فَيْصَل ـ وايزمن، القسم الثّاني، ص47؛ دزموند ستيورات، لُورنس الأُسطُورة والواقع، ص40 ـ 42.

(3) مُقتبس من" دزموند ستيورات: لُورنس الأُسطُورة والواقع، العدد 2556، لسنة 1977، ص40، فيليب نايتلي، وكُولن سمبسون، المصدر السّابق، ص35.

(4) أمين المُميِّز، عودة اتِّفاقيَّة فَيْصَل ـ وايزمن، القسم الثّاني، ص47، دزموند "ستيوارت"، لُورنس الأُسطُورة والواقع، العدد7556، 1977، ص41.

لم تكن تحرُّكات لُورنس تلك اعتباطيَّة، في منطقة مليئة بالمخاطر لم تطأها قدماه قطُّ. بل كانت تحرُّكات مُوجَّهة من قبَل هوكارث، وكان هدفه الأساس معرفة استعدادات الدّولة العُثمانيَّة وألمانيا حول مشروع بناء خطٍّ سكَّة حديد برلين ـ بغداد[1]، ومعرفة آراء السُّكَّان المحلِّيِّين في هذا المشروع، فَضْلاً عن أنَّ لُورنس كان مُكلَّفاً بمهمَّة الكَشْف عن نوايا المُهندسين الألمان، وأنْ يُحدِّد موقع عُبُور الخطِّ الحديدي لنهر الفُرات[2].

انغمس لُورنس في رحلته هذه بحياة الشَّرْق، فخالط البدو، وأكل من طعامهم، وسار حافياً مثلهم، تعلَّم من عاداتهم وتقاليدهم كأنَّه منهم؛ حيثُ قال: "... أصبح من الصّعب عليَّ أنْ أكون إنكليزياً مرَّة أُخرى، فأنا عَرَبي بعاداتي هُنا."[3]. كما حظي لُورنس بترحيب السُّكَّان في جميع المناطق التي زارها؛ حيثُ كَتَبَ يصف أُسْلُوب التّرحيب الذي لاقاه من أحد السُّكَّان: "حيَّاني صاحب الدّار، فقابلتُهُ بتحيَّة مُماثلة، ثُمَّ تكلَّم شيئاً إلى إحدى النّساء، وجَلَبوا لحافاً سميكاً، وَوَضَعَهُ على الأرض، وأصبح كالكُرسي، وجلستُ عليه، ثُمَّ سألني المُضيف أربع مرَّات أو خمساً عن صحَّتي، وكُنتُ أخبره في كُلِّ مرَّة أنَّها جيِّدة، وجلبوا لي القهوة عدَّة مرَّات، وبعد ذلك؛ سألوا عدداً من الأسئلة عن كيفيَّة اشتغال كاميرتي، ومَنْ أنا، ومن أين أتيتُ، وإلى أين ذاهب، ولماذا أسير على قدمَيْ، ولماذا أنا وحدي، ومتى بدأت

---

(1) سكَّة حديد برلين ـ بغداد: حَصَلَ الألمان على امتياز لبناء سكَّة حديد برلين بغداد عام 1898. أثناء زيارة الإمبراطور وليم الثّاني للدّولة العُثمانيَّة. وبعد مُباحثات عديدة ـ وعلى الرّغم من مُعارضة بريطانيا ـ وُقِّع الاتِّفاق في شُباط عام 1903. لقد حقَّق هذا الامتياز الكثير من الفوائد لألمانيا، نَظراً لما يدرُّه استثمار البُنُوك الألمانيَّة لأموالها في إنشاء هذه السِّكَّة، فَضْلاً عن أنَّه مَنَحَهَا حقَّ بناء ميناء نَهْري في بغداد، وكذلك الحقّ في التّنقيب عن النّفط: للتّفاصيل راجع: يقظان سعدون العامر، الاتِّصالات الألمانيَّة ـ العُثمانيَّة بشأن الحُصُول على امتياز سكَّة حديد برلين ـ بغداد 1880 ـ 1882، مجلَّة المُؤرِّخ العَرَبي، بغداد، العدد 39، 1989، ص93 ـ 100، هاشم صالح التّكريتي، التّغلغل الألماني في الشَّرْق العَرَبي قُبيل الحَرْب العالميَّة الأُولى، "مجلَّة المُؤرِّخ العَرَبي"، بغداد، العدد 27، 1986، ص48 ـ 50.

(2) دزموند ستيوارت، لُورنس الأُسطورة والواقع، العدد 2556، 1977، ص43 ـ 44.

(3) Quoted in: David Garnett (ed..), The Essential T.E. Lewrence, London, Jonathan cape, 1951, P. 36.

رحلتي، وكانت هُناك علامات الدّهشة، و"ما شاء الله"، و"بحياة النّبي"، و"السّماء". . . ، إنَّ مثل هذا الفُضُول لم يكن له مثيل أبداً، وكُلُّ القرية تجمَّعت للنَّظَر"[1].

وعلى الرّغم من هذا الوُدِّ الظّاهر تجاه زائر غريب، يرتدي ملابس لم يألفها السُّكَّان، ويتكلَّم لُغة هي ليست كلُغتهم، لم تخلُ رحلة لُورنس من مُشكلات، فبالإضافة إلى مُشكلات الطّبيعة وقساوتها، فإنَّه تعرَّض لحادث سرقة بعض حاجياته من قبَل أحد الرُّعاة التُّرْكمان في المنطقة[2]. كما أنَّه تعرَّض - خلال رحلته تلك - إلى الإصابة بالعديد من نوبات مرض الملاريا؛ حيثُ عُولج من أحدها في مُستشفى الإرساليَّة الأمريكيَّة[3].

قَطَعَ لُورنس - أثناء رحلته هذه - مسافة 110 أميال مشياً على الأقدام عبر سُورية وفلسطين، زار خلالها "36" قلعة من أصل "50" قلعة كان ينوي زيارتها، وقام بالمَسْح الميداني لتلك القلاع، فاجتمعت لديه مادَّة ثرَّة لكتابة أُطروحته[4].

غادر لُورنس بلاد الشّام في كانون الأوَّل عام 1910، مُتوجِّهاً إلى أُكسفُورد على ظهر الباخرة (S.S Saghalien) وكانت رحلته مُمتعة؛ لأنَّ السّفينة عانت من مُشكلات وصُعُوبات اضطُرَّتها إلى التَّوقُّف عدَّة مرَّات، وبذلك؛ فإنَّ هذه التَّوقُّفات مَنَحَتْهُ الفُرصة للقيام بزيارة استكشافيَّة إلى إسطنبول وأثينا ونابولي[5]. وبَعَثَ من هُناك عدَّة رسائل إلى أُمِّه وأصدقائه تضمَّن وَصْفَاً لمُشاهداته في هذه "المناطق"[6]، وما إنْ وَصَلَ لُورنس إلى أُكسفُورد؛ حتَّى عكف على إعداد بحثه الذي نال عنه درجة البكالُوريوس في التّاريخ بمرتبة الشّرف الأُولى[7].

---

(1) Quoted in: Richard Graves, Op. cit., P.13.

(2) Robert Graves, Lawrence and the Arabs, London, Jonsthan cape, 1927, P. 18; Liddie Hart, Op. Cit., P.21.

(3) ريتشارد الدنكتون، المصدر السّابق، ص64.

(4) Maicoim Erawn, Op. cit., P.17.

(5) Ibid, P. 25

(6) David Garnett, Op. cit., PP. 40-42

(7) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص20؛

Liddie Hart, Op. Cit., P. 21.

كانت تلك الرّحلة مُفيدة جداً لكُلٍّ من لُورنس وهُو كارث على حَدٍّ سواء، فبالنّسبة للُورنس؛ فإنَّ هذه الرّحلة أفادته في جَمْع الكثير من المعلومات التي جَعَلَتْ أُطروحته تُعَدُّ واحدة من أكثر الدّراسات أصالة؛ "إذْ بَلَغَ إعجاب المُمتحنين بها الحَدَّ الذي حدا بهم أنْ يحتفلوا بهذه المُناسبة بإقامة مأدبة خاصَّة كان فيها أُستاذ لُورنس، ويُدعى بُول هُو المُضيف"[1]، فَضْلاً عن أنَّها - أيْ الرحلة - عمَّقت معرفة لُورنس بعادات وتقاليد الجماعات التي كانت تقطن في المناطق التي زارها، تلك المعرفة التي ساعدته كثيراً أثناء عمله في المنطقة العَرَبيَّة فيما بعد. أمَّا بالنّسبة لفائدتها لهو كارث؛ فإنَّها أثبتتْ له أنَّ لُورنس قد اجتاز الامتحان الذي أعدَّه له، ذلك الامتحان القائم على تحمُّل شَظَف العيش والمخاطر، ليكون واحداً من ركائز الاستخبارات البريطانيَّة في منطقة الشَّرْق الأدنى، ولا أدلّ على أنَّ رحلة لُورنس كانت ذات طبيعة تجسُّسيَّة، بالإضافة إلى صفتها العلميَّة، من أنَّ هُو كارث، وبمُجرَّد حُصُول لُورنس على شهادته، أرسله في بعثة للتّنقيب عن الآثار في منطقة "قرقميش"[2] قُرب أحد مواقع عَمَل الألمان في خطِّ سكَّة حديد برلين - بغداد.

رحلات لُورنس في البلاد العَرَبيَّة عشية الحَرْب العالميَّة الأُولى:

- رحلة لُورنس إلى قرقميش:

غادر لُورنس أُكسفُورد للالتحاق بموقع التّنقيب في قرقميش، وفي طريقه إلى هُناك زار الأستانة في كانون الأوَّل عام 1910، وقضى عدَّة أيَّام فيها؛ حيثُ زار القسم الحديث من المدينة، وأُعجب بالأسوار الرُّومانيَّة القديمة، وتمتَّع بالطّبيعة الجميلة[3].

كانت تلك البعثة التي تضمُّ لُورنس وهُو كارث مُزدوجة المهمَّة، فبالإضافة إلى هدفها المُعلن، وهُو التّنقيب عن الآثار الحيثيَّة، كانت تُخفي وراءها مقاصد سياسيَّة غاية في الأهمِّيَّة، فقد تزامنت هذه البعثة مع اشتداد صراع الدُّول الاستعماريَّة لاقتسام مُمتلكات

---

(1) Quoted in: Robert Greves, Greves, Op. cit., P. 20.

(2) قرقميش: مدينة آثاريَّة قديمة عاصمة الحيثيِّين تقع على الشّاطئ الغربي لنهر الفُرات على الحُدُود السُّوريَّة - التُّركيَّة.

(3) Richard Graves, Op. cit., P. 17.

الرّجل المريض، فكان هُناك الألمان الذين ابتدأ نُفُوذهم في الدّولة العُثمانيَّة مُنذُ العام 1890، عن طريق إرسال البعثات العسكريَّة لغرض التّدريب، ومن ثمَّ؛ تطوَّر هذا النُّفُوذ إلى نُفُوذ اقتصادي مُؤثِّر[1]. فَضْلاً عن أنَّ هذه الفترة شهدت العُثُور على فتيل الصّراعات الدّوليَّة إلى عصرنا الحالي، وأقصد به النّفط، في منطقة مسجد سُليمان في جبال زاكروس الإيرانيَّة[2].

ونتيجة لهذا الصّراع؛ قامت تلك الدُّول باتِّباع أساليب ووسائل شتَّى للحفاظ على مُمتلكاتها في مناطق نُفُوذها المُختلفة، وقد اتَّخذت تلك الوسائل والأساليب أشكالاً مُختلفة، ابتداء من البعثات العسكريَّة، مُرُوراً بالشّركات الاقتصاديَّة، ومَنْح القُرُوض، ومَدّ خُطُوط السّكك الحديديَّة، وانتهاء بإرسال البعثات الآثاريَّة التي كانت تُشرف عليها، وتُمولِّها مُؤسَّسات سياسيَّة بحتة. وإنَّ البعثة موضوع دراستنا هي واحدة من تلك البعثات.

أقام هوكارث ولُورنس موقع عملهم على بُعْد نصف ميل من موقع "قرقميش"، وبادر هوكارث مُنذُ البداية إلى إرسال لُورنس إلى مدرسة البعثة الأمريكيَّة في جبيل، قُرب بيرُوت، لتحسين لُغته العَرَبيَّة، باعتبارها الأداة التي يُمكن بواسطتها التّعامل مع السُّكَّان ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم والحُصُول منهم على المعلومات التي تخدمه. وقد كَتَبَ لُورنس - فيما بعد - إلى السَّيِّدة ريدر (Raider) مُدرِّسة اللُّغات في تلك المدرسة قائلاً:

"لسبب ما، يطلب منِّي السَّيِّد هوكارث - بالحاح - أنْ أتعلَّم اللُّغة العَرَبيَّة"[3]، وقضى لُورنس في تلك المدرسة شهرَيْن، استطاع خلالها أنْ يُحسِّن من لُغته على يد مُدرِّسة اللُّغة العَرَبيَّة "الآنسة فريدة العقل" التي وَصَفَهَا لُورنس في إحدى رسائله بأنَّها "مُدهشة"، أمَّا هوكارث؛ فقد عاد أدراجه إلى لندن[4].

---

(1) لمزيد من التّفاصيل عن التّغلغل الألماني في الدّولة العُثمانيَّة راجع: هاشم صالح التّكريتي، التّغلغل الألماني في المشرق العَرَبي...، ص40 - 52.

(2) للتّفاصيل عن أهميَّة النّفط في الصّراعات الدّوليَّة يُمكن مُراجعة: راشد البراوي، حرب البترول في الشَّرْق الأوسط دراسات في السّياسة الاستعماريَّة، القاهرة، مكتبة النّهضة، 1953.

(3) زهدي الفاتح، لُورنس على خُطى هرتزل، بيرُوت، دار النّفائس، 1971، ص34.

(4) Richard Graves, Op. cit., p. 16.

وفي أواخر شهر شباط عام 1910، عاد هوكارث إلى جبيل قادماً من لندن، واصطحب معه لُورنس إلى بيرُوت، ثُمَّ أبحرا منها إلى حيفا، وتوجَّها إلى دمشق عن طريق درعا، ثُمَّ إلى حمص وحلب، فوَصَلا إلى "قرقميش" في أواخر شهر مايس من العام نفسه[1].

أُعجب لُورنس أيَّما إعجاب بجمال الطّبيعة في المناطق المُحيطة بقرقميش؛ إذْ دأب على التّجوُّل فيه والتَّمتُّع بجمال طبيعتها بصُحبة هوكارث الذي عاد من لندن إلى قرقميش في شباط عام 1911، فَكَتَبَ يصف شُعُوره: "إنَّها شيء غير طبيعي إلى حَدٍّ كبير، لتكون خارج أُورُوبا، . . . . في أورفه ودارا، أشعر كأنَّني خارج تأثير النّهضة. . ."[2].

عاد هوكارث إلى لندن في نيسان من العام نفسه، تاركاً لُورنس في "قرقميش" بعد أنْ زوَّده بتعليمات كافية عن عَمَله المُعلن والمخفي على حَدٍّ سواء[3]؛ إذْ كُلِّف من قبَل هوكارث بالإشراف على مائتَيْ عامل، كانوا يعملون في الموقع[4]. أمَّا عمله المخفي؛ فهُو مُراقبة وتصوير تحرُّكات الألمان الذين كانوا يعملون لبناء جسر على نهر الفُرات، لمَدِّ خطِّ سكَّة حديد برلين ـ بغداد؛ حيثُ كَتَبَ لوالدَيْه ". . . أستطيع الرُّؤية بوُضُوح على بعد ميلَيْن خلال عَدَسَات النّاظور البعيد المدى"[5].

شهدت قرقميش أوَّل لقاء بين لُورنس والآنسة جرترود بل[6]. ولم يكن هدف الآنسة جرترود بل من هذه الزّيارة هُو الالتقاء بهوكارث شقيق صديقتها[7] بل الاطِّلاع على الآثار الرُّومانيَّة، ومعرفة طُرُق الألمان في التّنقيب، مع معرفة ما توصَّلوا إليه في عملهم في خطِّ سكَّة

---

(1) فيليب نايتلي، وكُولن سمبسون، المصدر السّابق، ص42.

(2) Quoted in: Richsrd Graves, Op. cit., P. 16.

(3) فيليب نايتلي، وكُولن سمبسون، المصدر السّابق، ص43.

(4) أمين المُميَّز، عودة إلى اتِّفاقيَّة فيصل وايزمن، القسم الثّاني، ص48؛

Richard Graves, Op. cit., P. 17.

(5) Richard Graves, , Op. cit., P. 18.

(6) جرترود بل: (1868 ـ 1926) مُستشرقة وآثاريَّة إنكليزيَّة، عملت بمنصب السّكرتيرة الشَّرْقيَّة لدار الاعتماد البريطاني في العراق، قامت بتأسيس المُتحف، ودُفنت في العراق، للتّفاصيل راجع:

H.V.F. Winston, Gertrude Beli, London, Jonathen Cape, 1978.

(7) مُحَمَّد يُوسُف إبراهيم القريشي، المس بل وأثرها في السّياسة العراقيَّة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كُلِّيَّة الآداب، 1993، ص29.

حديد برلين ـ بغداد[1]، وكانت المهمَّة الأكثر أهميَّة بالنّسبة إلى الزّيارة التي قامت بها، هي تقوية النُّفُوذ البريطاني بين رُؤساء عشائر الدُّرُوز وشُيُوخ القبائل المُتنقِّلة في جنوبي سُورية ولُبنان[2].

لم ترقْ للآنسة جرترود بل الأعمال التي قام بها لُورنس وزميله كامبل تُومبسون؛ حيثُ انتقدتْ أفكارهم في التّنقيب، وَوَصَفَتْهَا بأنَّها "أفكار ما قبل التّاريخ"، إلاَّ أنا عادت وأُعجبت بالأعمال التي قام بها الاثنان، بعد أنْ اطَّلعت على كامل أنشطتهم في هذا المجال. كما أنَّ لُورنس عبَّر من جانبه عن رأيه بالآنسة جرترود بل؛ إذْ كَتَبَ يقول:

". ليست جميلة، ما عدا الخمار الذي تلبسه... وما جاءت إلى هُنا إلاَّ لكي تتزوَّجني"[3].

لذا؛ يُمكننا القول: إنَّ سبب زيارة الآنسة جرترود بل إلى قرقميش هُو أنَّها كانت راغبة بالاطِّلاع على ما توصَّلتْ إليه البعثة من التّنقيبات، فَضْلاً عن معرفة نشاط الألمان في بناء خطِّ سكَّة حديد بغداد ـ برلين.

شهدت هذه المرحلة ـ أيضاً ـ لقاء لُورنس برئيس البعثة الأمريكيَّة في الشَّرْق الأدنى لُوثر فُول الذي وَصَفَ لُورنس "بالعالم البريطاني الهادي"[4]؛ حيثُ قام بإطلاع رئيس البعثة الأمريكيَّة على الآثار التي تَمَكَّنَا من جَمْعها، وقاعات التّصوير الفُوتُوغرافي في الموقع، وفي هذا اللّقاء كَشَفَ لُورنس عن أُسْلُوب تعامله مع العَرَب، ذلك الأُسْلُوب الذي يُؤكِّد خبرته الثَّرَّة بعادات وتقاليد العَرَب في هذه المناطق؛ إذْ سأله السَّيِّد فُول عن السّبب الذي يمنع العُمَّال من سرقة هذه التُّحف الثّمينة، فأجابه: "ألم يأكلوا من خُبز الإنكليز وملْحهم؟! ألا تعرف أنَّ العَرَبي لا يغدر بالرّجل الذي أكل معه خُبزاً وملْحاً"؟![5] ذلك الخُلُق العظيم الذي استغلَّه

---

(1) Malcolm Brawn, Op. cit., P. 36.

(2) كمال مظهر أحمد، حول نُشُوء حَرَكَة التَّحرُّر الوطني العَرَبي في دراسة سُوفييتيَّة جديدة للدُّكتُور ل. ن كاتلوف، "مجلَّة آفاق عَرَبيَّة"، بغداد، العدد 12، كانون أوَّل 1975، ص141.

(3) Malcolm Brawn, Op. cit., P. 36.

(4) Lowell Thomas, Op. cit., PP. 25-26.

(5) Quoted in: Lowell, Thomas, Op. cit., pp. 27-28.

لُورنس فيما بعد؛ إذْ عمل جهد طاقته على تطبيق مبدأ تقسيم الأراضي العَرَبيَّة، ضماناً لمصلحة بريطانيا، على الرّغم من الخدمات الكبيرة التي قدَّمتها الجُيُوش العَرَبيَّة للقُوَّات البريطانيَّة أثناء الحَرْب العالميَّة الأُولى في الجزيرة العَرَبيَّة وسُورية على حَدٍّ سواء.

- رحلة لُورنس إلى القاهرة:

غادر لُورنس قرقميش مُتوجِّهاً نحو القاهرة، التي وَصَلَهَا بتاريخ 6كانون الثّاني عام 1913م، لكي يتعلَّم بعض مبادئ التّنقيب عن الآثار على يد فلينـدز بترى **Flendes Betry** صاحب طريقة خاصَّة في التّنقيب عن الآثار الفرعونيَّة، وكان فلينـدز بترى بدور، مُرتبطاً بصلات وثيقة مع مُتحف أشموليان، الذي يُشرف عليه هوكارث[1].

وسُرعان ما ثار خلاف حادٌّ بين كُلٍّ من بترى ولُورنس، فلم يكن بترى مُكترثاً بلُورنس، ولم يُعطه اهتماماً مُتزايداً في بادئ الأمر، كما أنَّ لُورنس كان يحتقر بترى، ويقول عنه: إنَّه "مثار سُخرية وضحك"، فَضْلاً عن أنَّ لُورنس لم يكن ليطيق العمل الذي كلَّفه به بترى؛ حيثُ أُجبر على العمل طيلة اليوم في بئر على عُمق خمسين قَدَماً[2]. كما أنَّ لُورنس رفض أنْ يُقيم مشروعاً للحفريَّات في كفر عمَّار، على بُعد خمسين ميلاً جنوب القاهرة، وفضَّل إقامة المشروع في مصر الجديدة، إحدى ضواحي القاهرة، ما زاد في تعميق الهُوَّة بينهما. وعلى الرّغم من ذلك؛ باشر لُورنس عمله - هُناك - في التّنقيب عن المقابر الفرعونيَّة، ولكنْ على مَضَض[3].

---

(1) دزموند ستيورات، لُورنس الأُسطورة والواقع، العدد، 2558، 20 حُزيران 1977، ص37.

(2) عبد الرّحمن الشّهبندر، الكُولونيل لُورنس، "مجلَّة المُقتطف"، القاهرة، العدد، 7840، ج3، 1931، ريتشارد الدنكتون، المصدر السّابق، ص87.

(3) Ropert Graves, Op. cit., p. 23.

أظهر لُورنس خلال عمله هذا مهارة كبيرة، وبدا واضحاً أنَّه غدا من الخُبراء في أعمال التّنقيب، وذاعت شُهرته؛ إذْ قال الجنرال اللّنبي (Allenby)[1] وهُو من المُهتمِّين بالآثار: "إنَّني كُلَّما حادثتُ لُورنس في الآثار كُنتُ أحسب الوالد (أيْ لُورنس) يتكلَّم مع التّلميذ الصّغير (اللّنبي)، فكُنتُ أستمع له، وأتعلَّم منه"[2].

وبعدما أدرك بترى الخبرة التي يتمتَّع بها لُورنس غيَّر موقفه منه، وطلب منه أنْ يحضر إلى موقع التّنقيب في العام القادم[3].

شهدت هذه الرّحلة مُقابلة مُهمَّة مع اللُّورد كتشنر (Kiteshener)[4] ويُعتقد أنَّها جاءت بطلَب من هوكارث. وأثناء المُقابلة سأل لُورنس كتشنر: لماذا وافقتْ بريطانيا على أنْ تتحكَّم ألمانيا بميناء الإسكندريَّة وهُو من الموانئ الحيويَّة؟ وقد كانت كُلٌّ من بريطانيا وفرنسا ورُوسيا والدّولة العُثمانيَّة قد اتَّفقت على أنْ تُطلق يد ألمانيا في ميناء الإسكندريَّة، كما وافقوا على السّماح للألمان بالاستمرار في المشروع الألماني الرّامي لمدِّ خطِّ سكَّة حديد برلين ـ بغداد[5]. فأجابه اللُّورد كتشنر أنَّه أخبر لندن مراراً، ولكنَّ وزارة الخارجيَّة لم تأخذ تلك التّحذيرات مأخذ الجدِّ، وما إنْ مضى من الوقت سنتان ونيِّف حتَّى نَشَبَتْ حرب عالميَّة[6].

---

(1) اللُّورد أدموند هنري اللّنبي: (1861 ـ 1936) قائد وسياسي بريطاني، اشترك في حرب جنوب أفريقيا، تولَّى منصب القائد العامّ لقُوَّات الشَّرْق الأوسط عام 1917، جَعَلَ القاهرة مركزاً لقيادته، كما تولَّى مهمَّة المندوب السّامي البريطاني لمصر، خَلَفاً لريجنالد ونكت في آذار 1919، حتَّى مايس 1925. انظر:

Erien Gardner, Allenby, London, Gassel, 1965.

(2) مُقتبس من: عبد الرّحمن الشّهبندر، الكُولونيل لُورنس، ص272.

(3) Robert Graves, Op. Cit., P. 23.

(4) هوارشيو هربرت كتشنر: (185 ـ 1916) ضابط وسياسي بريطاني وُلد بأيرلندا، والتحق بكُلِّيَّة وولتش، وفي كانون الثّاني 1899، عُيِّن حاكماً عاماً للسُّودان، وتولَّى في عام 1911، مهمَّة القُنْصُل البريطاني في القاهرة، ثُمَّ تولَّى مهمَّة القُنْصُل البريطاني في القاهرة بين 6 آب 1914، وحتَّى وفاته في 7 تمُّوز 1916. انظر:

Everymen S enoyclopsedia, Vol.7. P. 500.

(5) Lowell Thomas, Op. Cit., P. 33;

سُليمان مُوسى، لُورنس في الميزان، "مجلَّة الآداب"، بيرُوت، العدد 11، تشرين الثّاني 1955، ص43.

(6) Robert Graves, Op. Cit., P. 37.

ومع تسليمنا بصحَّة المُقابلة بينه وبين كتشنر، فبأيِّ صفة تمَّ استقبال لُورنس؟ هل استُقبل بصفة رجل يعمل بالآثار؟ أم بصفة عميل مُرتبط بجهة مُعيَّنة؟ وبأيِّ حقٍّ يُفاتح لُورنس اللُّورد كتشنر في واحدة من أكثر القضايا السّياسيَّة أهمِّيَّة وحساسيَّة؟ لابُدَّ أنَّ كتشنر استقبله بصفته الثّانية خُصُوصاً أنَّ الزّيارة جاءت بتوجيه من هوكارث، عميل الاستخبارات البريطانيَّة في المنطقة. ويُعطينا هذا دليلاً آخر مُضافاً إلى الأدلَّة التي ذَكَرْناها سابقاً، أنَّ لُورنس رُبَّما كان عميلاً للاستخبارات البريطانيَّة، على الرَّغم من عدم انضمامه رَسْمِيّاً إلى دائرة الاستخبارات البريطانيَّة حتَّى اندلاع الحَرْب العالميَّة الأُولى.

ـ عودة لُورنس مُجدَّداً إلى قرقميش:

عندما كان لُورنس في القاهرة تمَّ تكليف ليونارد وولي (oolleyW draLeon)[1] الذي كان في هذا الوقت في السُّودان للقيام بمهامِّ إدارة البعثة في قرقيش بدلاً من كامبل تُومبسون؛ إذْ أرسل أوامره إلى لُورنس بالتّعجيل بعودته إلى قرقميش، للإشراف على إعداد المقرِّ الجديد للبعثة؛ حيثُ وَصَلا إلى قرقميش بتاريخ 2 آذارعام 1911.

كان وُصُول وولي إلى قرقميش فاتحة جديدة لسلسلة من المُشكلات مع السُّلطات العُثمانيَّة، فبعد ازدياد عدد السُّيَّاح الأجانب شددَّت السُّلطات العُثمانيَّة الحراسة على المواقع الآثاريَّة خوفاً من سرقتها، فَضْلاً عن وُجُود بعثات ألمانيَّة كانت تُنقِّب في المنطقة نفسها، وعندما أراد وولي استئناف عمليَّات التّنقيب مَنَعَتْهُ السُّلطات العُثمانيَّة بحُجَّة أنَّ التّصريح

---

(1) ليونارد وولي: عالم آثار، وُلد في لندن، وَدَرَسَ في أُكسفُورد. عمل مُساعداً في مُتحف شموليان في أُكسفُورد. ذَهَبَ في رحلة آثاريَّة إلى بلاد النّوبة 1907 ـ 1911. عمل في قرقميش للفترة من 1922 ـ 1934. وعمل فترة من الوقت في منطقة أُور جنوب العراق. وخلال الحَرْب العالميَّة الأُولى عمل في مصلحة المُخابرات البريطانيَّة. وللفترة من1939 ـ 1943، عمل مُشرفاً آثاريّاً في وزارة الحَرْب مسؤولاً عن حماية الآثار في مناطق الحَرْب. قام بتأليف مجموعة من الكُتُب، للتّفاصيل انظر:

Everyman S Encyclopaedis, Vol. 12, P. 644.

الذي يحمله كان باسم هوكارث، وليس باسمه، ممَّا اضطُرَّه إلى الذّهاب بصُحبة لُورنس إلى قائمقام جرابلس، فوافق هذا على استئناف التّنقيب من قبَل وولي ولُورنس[1].

لم يكن هذا الخلاف الأوَّل من نوعه الذي ينشب بين وولي ولُورنس من جهة والسُّلطات العُثمانيَّة من جهة أُخرى؛ إذْ حَصَلَ خلاف مع حفيد مالك التَّلّ الذي تُنقِّب فيه البعثة البريطانيَّة[2]. وأُحيلت القضيَّة إلى المحاكم العُثمانيَّة، على الرّغم من أنَّ قوانين الامتيازات كانت تُجيز لهم إحالة تلك القضيَّة إلى المحاكم القُنْصُليَّة. وبسبب عدم وُجُود محاكم قُنْصُليَّة في تلك المنطقة، فقد نظرت فيها المحاكم المحلِّيَّة. وعلى أيَّة حال؛ استُدعي لُورنس إلى المحكمة؛ حيثُ اصطحب معه ورقة مُوقَّعة من وولي يُقرُّ فيها أنَّه هُو المسؤول عن أعمال التّنقيب في الموقع، ودخلت القضيَّة في مسائل قانونيَّة مُعقَّدة، فزعم وولي أنَّه حلَّها بقُوَّة السّلاح؛ إذْ هدَّد هيئة المحكمة، وأمر لُورنس بسرقة الوثائق، ومُغادرة المكان[3].

إنَّ الذي يهمُّنا من سرد هاتَيْن الحادثتَيْن هُو تأثيرهما على لُورنس؛ إذْ أُعجب بأُسْلُوب رئيسه وولي، وأخذ يقتدي به في تعامله مع الألمان العاملين في خطِّ سكَّة حديد برلين ـ بغداد؛ إذْ كان من الطّبيعي أنْ تنشأ بين لُورنس والألمان علاقات يُمكن أنْ نصفها بأنَّها مشوبة بالحذر؛ حيثُ أخذ لُورنس يضع العراقيل أمامهم، وقد اتَّبع عدَّة طُرُق في ذلك؛ منها أنَّه حمَّل سراً عدداً من البغال بعض الأنابيب التي تُستخدم لسَحْب المياه، إلى سُهُول قرقميش، وركَّبها على أكوام من الرّمل، وَجَعَلَهَا تظهر للألمان كأنَّها أفواه مدافع، فَكَتَبَ الألمان ـ على الفور ـ إلى القسطنطينيَّة وبرلين بأنَّ الإنكليز يُحصِّنون الأماكن المُهمَّة[4].

كانت مُعاملة لُورنس للعُمَّال العَرَب مُعاملة طيِّبة؛ إذْ كان يتقدَّمهم في أعمال الحفر، حتَّى جَعَلَهُم يشعُرُون بأنَّهم لا يعملون من أجل الحُصُول على بعض النُّقُود، بل حُبّاً في التّنقيب عن الآثار؛ إذْ أراد لُورنس ـ من خلال مُعاملته تلك ـ أنْ يسحب البساط من تحت

---

(1) دزموند ستيورات، لُورنس الأُسطورة والواقع، العدد 2558، ص38.

(2) لمزيد من التّفاصيل عن ملكيَّة التّل: راجع المصدر نفسه، ص39.

(3) المصدر نفسه، ص39.

(4) Lowell Thomas, Op. cit., P. 28.

أقدام الألمان بأنْ يسلبهم عُمَّالهم، مُستغلاً المُعاملة القاسية التي كان يُعامل بها العُمَّال العَرَب والأكراد، وَدَخَلَ في مُشاجرات عديدة مع المُهندسين الألمان دفاعاً عن حُقُوق هؤلاء العُمَّال. لكنَّه أراد - في الواقع - أنْ يضع المعوقات أمام الألمان، لتعطيل عملهم في سكَّة الحديد[1].

ارتبط لُورنس في قرقميش بعلاقة مع صبيٍّ عَرَبيٍّ يُدعى داهوم، تلك العلاقة التي يراها بعض المُؤرِّخين على أنَّها علاقة جنسيَّة[2]، ولو سلَّمنا بالشُّبهة التي يُضفيها هؤلاء المُؤرِّخون على تلك العلاقة، فإنَّ هدف لُورنس لم يكن جنسيّاً فحسب، بل إنَّه - من خلال علاقته بداهوم - كان يرمي تسخيره للأغراض الاستخباريَّة، فقد وَرَدَ في إحدى رسائله: "... يُعَدُّ داهوم شخصاً ذا فائدة، فإنَّه يستطيع قراءة بعض الكلمات"[3]، أيُّ فائدة تلك التي يُقدِّمها شخص يعرف قراءة بعض الكلمات؟ هل تُريد منه أنْ يُعلِّمه اللُّغة العَرَبيَّة كما ادَّعى فيما بعد[4]؟ لقد أمضى لُورنس شهرَيْن في مدرسة الإرساليَّة الأمريكيَّة في جبيل، ولم يتعلَّم إلاَّ النَّزر اليسير من اللُّغة العَرَبيَّة، فهل يعقل أنْ يتعلَّم من صبيٍّ عُمره 15 عاماً لا يستطيع قراءة إلاَّ بعض الكلمات البسيطة، ثُمَّ يمضي في رسالته فيقول: "...سأحاول أنْ أُركِّز عليه، سيكون الأفضل، لتدنِّي أفكار أهل القرية؟"[5] كما حاول لُورنس إبعاد داهوم عن تأثير الإرساليَّات التَّبشيريَّة الأمريكيَّة والفرنسيَّة التي كانت تجوب المنطقة؛ حيثُ كان يرغب في أنْ يبقيه مُسلماً؛ إذْ كَتَبَ للسَّيِّدة ريدر: "تذكَّري، يجب أنْ نُبقيه مُسلماً"[6]. إنَّ رغبة لُورنس في أنْ يبقى داهوم مُسلماً يُوضح لنا مدى نشاط الإرساليَّات التَّبشيريَّة، فَضْلاً عن أنَّ بقاء داهوم مُسلماً سيجعل مهمَّته - أيْ لُورنس - أسهل مع العَرَب العاملين في الموقع، لأنَّ تحوُّل داهوم إلى المسيحيَّة سيُؤدِّي - بالنَّتيجة - إلى انقلاب العُمَّال ضدَّ أعضاء البعثة البريطانيَّة، ممَّا يُعرِّض أعمال البعثة إلى التَّوقُّف، لما عُرف عن العَرَبي من شدَّة التَّمسُّك بدينه.

---

(1) Lowell Thomas, Op. cit., P. 30.

(2) انظر: ريتشارد الدنكتون، "المصدر السَّابق، ص81 - 82؛ سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص22.

(3) Quoted in: Malcolm Brawn, Op. Cit., PP. 39-40.

(4) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص88.

(5) Quoted in: Malcolm Brawn, Op. Cit., PP. 39-40.

(6) Quoted in: Ibid., P. 41.

اشترك لُورنس - أثناء وُجُوده في قرقميش - في بعض الأنشطة المشبوهة؛ حيثُ اشترك في تهريب بعض الآثار الحيثيَّة التي تمَّ العثُور عليها، بمُساعدة بعض الضبَّاط البَحْريِّين البريطانيِّين. وقد كان القُنْصُل البريطاني في حلب على علم مُسبق بتلك الأنشطة[1].

جَلَبَتْ تلك الأنشطةُ انتباهَ السُّلطات العُثمانيَّة، فأخذتْ بمُراقبة تحرُّكاته، وكان لُورنس على علْم بتلك المُراقبة، فقد كَتَبَ إلى هوكارث يُخبره بذلك؛ إذْ قال: "سأعود إلى ديف هويوك (Deve Huyuk) غداً، لأجمع بعض الأسلحة الحيثيَّة، ما لم تسبقني الشُّرطة إلى هُناك"[2]. وقد أسفرت عمليَّات المُراقبة عن إلقاء القبض عليه وزميله داهوم، وكانت التُّهمة المُوجَّهة إليه هي هُرُوبه من الخدمة العسكريَّة، على اعتبار أنَّه أحد الرّعايا العُثمانيِّين، بسبب الملابس التي كان يرتديها[3]. تعرَّض لُورنس وصاحبه داهوم إلى التّعذيب من قبَل السُّلطات العُثمانيَّة، ومن الغريب أنَّه لم يعترف بأنَّه مُواطن بريطاني ولديه إرادة سنيَّة تُبيح له التّنقيب والتَّجوُّل، والتي كانت كفيلة بالإفراج عنه. كما أنَّه لم يُخبر المستر فُونتانا القُنْصُل البريطاني في حلب بذلك، فما السّبب الذي دعا لُورنس إلى إخفاء شخصيَّته؟ يرى دزموند ستيورات بأنَّ سبب ذلك يكمن في أنَّه أراد أنْ يُشارك زميله داهوم عذابه، كنوع من أنواع اللّذَّة في تعذيب النَّفْس[4]. ويبدو أنَّ سبب امتناعه عن الكَشْف عن شخصيَّته، فَضْلاً عن وجاهة الرّأي السّابق، أنَّ لُورنس كان يعلم أنَّ العُثمانيِّين على معرفة تامَّة بشخصيَّته الحقيقيَّة، بأنَّه ذلك الشَّابَّ الكثير الحَرَكَة والتَّجوُّل المشبوه النّشاط، فحتَّى لو أخبرهم بحقيقة شخصه فإنَّ ذلك لا يُجدي نفعاً. وعلى أيَّة حال؛ استطاع الاثنان الهَرَبَ والالتحاق بموقع العمل مُجدَّداً.

وأثناء توقُّف العمل في التّنقيبات - وخُصُوصاً في فَصْل الصّيف الحارِّ - كان لُورنس يقوم مع زميلَيْه حمُّودى وداهوم برحلات إلى المناطق المُحيطة بالموقع الأثري، ففي صيف عام

---

(1) Ibid., P. 47.

(2) Quoted in: Ibid., P. 48.

(3) ومن بريدج ووُنستون تشرشل، لُورنس بطل الجزيرة. ترجمة مُحَمَّد بدران وأحمد حلمي علي، القاهرة، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، د. ت ص14؛ دزموند ستيورات، لُورنس الأُسطورة والواقع، العدد 2560، 4 تمُّوز، 1977، ص35.

(4) دزموند ستيورات، لُورنس الأُسطورة والواقع، العدد 2560، ص36.

1911م، قام لُورنس برحلة إلى شمال العراق[1] وقام برحلات إلى سُورية ولُبنان والأُردُن. هذه الرّحلات أفادت لُورنس؛ إذْ عمَّقت صلته بسُكَّان القُرى والقبائل التي كان يزورها، وأضافت إلى حصيلته من المعلومات معلومات جديدة عن الأوضاع الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والدِّينيَّة لسُكَّان تلك المناطق، فَضْلاً عن أنَّها طوَّرت مُفرداته في اللُّغة العَرَبيَّة[2].

شهدت قرقميش - كذلك - لقاء لُورنس مع السِّر هيوبرت يونك (Hubert Young) الذي وَصَفَ لُورنس أنَّه "ذُو تجربة غنيَّة"، وقد عملا معاً في فكِّ رُمُوز المخطوطات الحيثيَّة التي كان يونك يُجيدها على عكس لُورنس الذي لم يتمكَّن من حلِّ رُمُوزها[3].

ومن الجدير بالذِّكْر أنَّ لُورنس - طيلة عمله في قرقميش - لم يُسافر إلى إنكلترا إلاَّ مرَّتَيْن، وكانت رحلته الثّانية إليها في صيف عام 1913م، بصُحبة حمُّودى وداهوم، وقبل سفره؛ كَتَبَ إلى هوكارث وعائلته يُخبرهم بنبأ قُدُومه ورفاقه إلى إنكلترا. وتأتي دعوته هذَيْن الشّخصَيْن لزيارة إنكلترا، تقديراً لاهتمامهما به أثناء إصابته بالملاريا[4].

تُمثِّل فترة بقاء لُورنس وعمله في قرقميش واحدة من أخصب الفترات وأكثرها تأثيراً على شخصيَّته وتوجُّهاته، فقد كَشَفَتْ له سرَّ سحْر الشَّرْق، ذلك السِّحْر الذي جَذَبَ العشرات من الرَّحَّالة والآثاريِّين يجوبون قفاره وفيافيه لحلِّ رُمُوزه وألغازه، كما كانت قرقميش المدرسة التي تعلَّم فيها لُورنس أبجديَّة العمل الاستخباراتي، فقد أضحى على صلة حميمة مع ثلاثة من أبرز عُملائهم في الشَّرْق؛ وهُم هوكارث وليونارد وولي والآنسة جرترود بل. ولا يجب أنْ ننسى أنَّ فترة اشتغاله في قرقميش أوضحت لديه مكامن الضّعف والقُوَّة لدى سُكَّان المناطق التي زارها، وأقام فيها. هذا؛ فَضْلاً عن أنَّها؛ أيْ قرقميش، أضحت القاعدة الصّلبة التي انطلق منها لُورنس للعمل الاستخباراتي العَلَني، والمُساهمة في

---

(1) Richard Graves, Op. Cit., P. 18.

(2) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص22.

Malcolm Erawn, Op. cit., P. 50.

(3) Hubert Young, The Independent Arab, London, John Murray, 1933, P. 22.

(4) Robert Graves, Op. cit., PP. 34-35; Malcolm Brawn, Op. cit., P. 50.

صُنع قرارات بلاده، لذا؛ نراه يُكلَّف لأوَّل مرَّة - ومن جهة سياسيَّة مُهمَّة، وهي وزارة الخارجيَّة - بالذّهاب إلى صحراء سيناء مع ليونارد وولي لتزويدها بخرائط ومُخطَّطات للمنطقة استعداداً للحَرْب المُقبلة.

- رحلة لُورنس إلى سيناء:

أجبرتْ بريطانيا الدّولةَ العُثمانيَّة عام 1906م، تحت التّهديد بالحَرْب على أنْ تتخلَّى لمصر عن منطقة صحراويَّة واسعة على شكل مُعيَّن إلى الشّمال من قناة السُّويس بين البحر الأبيض وخليج العَقَبَة، وكانت وزارة الحَرْبيَّة البريطانيَّة ومصلحة المساحة المصريَّة تُوشك أنْ تنتهي في عام 1913، من مَسْح هذه المنطقة مَسْحاً عسكرياً، ووضع الخرائط لها. وعندما تطلَّب الأمر نَقْل أعمال المَسْح إلى الجانب الآخر من الحُدُود العُثمانيَّة ظهرت ثمَّة صُعُوبة، فلم يكن من المُمكن أنْ يسمح العُثمانيُّون بأنْ يقوم ضُبَّاط بريطانيُّون بوَضْع الخرائط داخل الأراضي العُثمانيَّة؛ إذْ إنَّهم نظروا إلى هذا العمل على أنَّه من أعمال التَّجسُّس، ولتلافي هذا الموقف؛ بادرت بريطانيا إلى دعوة "صُندُوق الاستكشاف الفلسطيني" بأنْ يُرسل باحثاً أثريَّاً للقيام بمَسْح هذه الأراضي التي وَرَدَ ذكْرها في الإنجيل، واختير وُولي أوَّل الأمر، ومن أجل اختصار المُدَّة، استُدعي لُورنس ليُشاطره القيام بهذه المهمَّة[1].

ففي الوقت الذي كان فيه لُورنس وليونارد وولي يقضيان إجازة الصّيف في حلب عام 1913، تلقَّيا برقيَّة من لندن، تطلب إليهما السّفر إلى سيناء للتفتيش عن الآثار التّاريخيَّة في المنطقة، أمَّا مَسْحها وتنظيم خرائط لها؛ فأوكلت مهمَّتها إلى الكابتن نيوكومب (New Combe)، وقد قُصد من عمل لُورنس وولي الآثاري التّغطية على الأهداف الحقيقيَّة للبعثة. فغادروا قرقميش في نهاية العام من أجل الالتقاء بالنّقيب نيوكومب الذي كان مسؤولاً عن أعمال البعثة[2] علم لُورنس مُنذُ البداية أنَّ مهمَّته تلك ليست مهمَّة علميَّة، بل هي مهمَّة

---

(1) ريتشارد الدنكتون، المصدر السّابق، ص103، فيليب نايتلي، مُحاربو الصّحراء جوهر تقسيم الشَّرْق الأوسط بعد الحَرْب العالميَّة الثّانية، مجلَّة آفاق عَرَبيَّة، العدد6، حُزيران، 1991، ص23؛

Robert Graves, Op. Cit., PP. 38-39.

(2) Leonard Woolley and T.E. Lawrence, The Wildrness Of Zin, London, Jonathan Cape, 1936, P. 11;

عسكريَّة وسياسيَّة بحتة، كما وَرَدَ في رسالته إلى أُمِّه التي بَعَثَ بها وهُو في البحر أثناء طريقه للالتحاق بالبعثة؛ قال: إنَّ مهمَّتهما الآثاريَّة كان الغرض منها جَلْب انتباه العُثمانيِّين نحوهما، حتَّى يُتاح المجال واسعاً للمُهندسين الذين هُم برئاسة نيوكومب للقيام بأعمالهم المَسْحيَّة على أكمل وجه[1].

وَصَلَ لُورنس وجماعته إلى غزَّة بداية شهر كانون أوَّل عام 1914، والتقوا هُناك بالدُكتُور ستر لينج (Dr. Sterling) والسَّيِّد أي. أي. كنيسفش (A.A. Knesevich) وكيل القُنْصُل البريطاني وابنه أميل. وقد قام هؤلاء الثَّلاثة بتقديم مُساعدات مُتنوِّعة لأعضاء البعثة؛ حيثُ وفَّروا لهم الخَدَمَ والمخازنَ والخيامَ[2].

قضى أعضاء البعثة يوماً واحداً في غزَّة، بعدها غادروها في 7 كانون الأوَّل عام 1914، إلى بئر السَّبع، مقرِّ الكابتن نيوكومب، وقضت البعثة ثلاثة أيَّام في بئر السَّبع، التقوا خلالها بقائمقام بئر السَّبع عرفان بك الذي قدَّم لهم المُساعدة، كما أنَّهم أقاموا علاقات طيِّبة مع العَرَب عن طريق الكابتن نيوكومب، الذي بدأ مهمَّته بالتَّعرُّف على رُؤساء العشائر، ليأمن لنفسه ولمَنْ معه من المُستكشفين التَّسامح من قبَل رجال العشائر[3].

توجَّهت البعثة بعد ذلك إلى منطقة تُدعى خلاسة (Khulase) وقد وَصَفَ لُورنس هذه المنطقة بقوله: "ومِمَّا يُميِّز خلاسة هي تلك التَّلال الصَّخريَّة التي تحوَّلت إلى كُثبان رمليَّة، وأصبحت المنطقة أكثر خُصُوبة، وقليلة الجدب، وبالقُرب من بقايا المدينة هُناك سهل واسع من تُربة خفيفة، لكنَّها خصبة، وهُو الجُزء المُهمُّ الذي سَكَنَهُ الأعراب؛ حيثُ تُوجد خيامهم

حسن صبري الخُولي، سياسة الاستعمار والصَّهيونيَّة تجاه فلسطين في النِّصف الأوَّل من القرن العشرين، المُجلَّد الأوَّل، القاهرة، دار المعارف، 1973، ص462.

(1) Malcolm Erawn, Op. cit., P. 56.

(2) Woolley and Lawrance, Op. Cit., P. 23; Malcolm Brawn, Op. Cit., P. 56.

(3) Woolley, and Lawrence, Op. Cit., P. 19.

بالقُرب من البئر..." أقامت البعثة في خلاسة أربعة أيَّام زارت خلالها كُلاً من رحيبة وساعدى (Rahiba)، وقامت بجولة إلى الشّمال؛ حيثُ تَمَّ الاطّلاع على بعض النّصب[1].

وفي 16 كانون أوَّل تحرَّكت البعثة إلى أسبيته (Esbeita) ثُمَّ إلى العوجة Auja؛ حيثُ كَتَبَ لُورنس وَصْفَاً مُسهباً لهذه المناطق، ضمَّنه تقريره الذي وَضَعَهُ عن رحلته تلك، ثُمَّ أسرعت البعثة بالعودة عن طريق درب الشّور، طريق القوافل القديم الذي يفصل بين فلسطين ومصر، بعدها أمضيا مع نيوكومب خمسة أيَّام في مقرِّه، كانا يقضيانها في المُناقشات حول عين قاديس Ainkadese مقرَّات تواجد الإسرائيليِّين خلال السّنوات الأربعين التي تاهوا فيها في الصّحراء، ولكنَّ لُورنس شدَّد في عدم كفاية عين قاديس، لتكون مقراً للقبائل الرَّحَّالة[2].

وعلى أيَّة حال؛ افترق كُلٌّ من وولي ولُورنس؛ إذْ اتَّجه وولي ليعمل باتِّجاه الشّمال في بئر السّبع، بينما استمرَّ لُورنس مُتَّجهاً إلى الجنوب إلى العَقَبَة، ثُمَّ إلى وادي عَرَبة، ثُمَّ إلى البتراء التي وَصَفَهَا بأنَّها أروع مكان في العالم، لا لأهمِّيَّة آثارها، ولكنْ؛ لألوان صُخُورها، وللشّقِّ العجيب الذي يتخلَّل مُرتفعاتها الشّامخة، وقال: إنَّ الإنسان لا يستطيع أنْ يُدرك روعتها وجمالها إلاَّ إذا شاهدها بعينه[3].

التقى لُورنس في العَقَبَة مع نيوكومب لمُواصلة عملهما في رَسْم الخرائط، لكنَّ قائمقام العَقَبَة الذي وَصَفَهُ لُورنس أنَّه "رجل سيِّء"، ادَّعى أنَّ لديه أنباء تُفيد بأنَّهما يعملان في مهمَّة تجسُّسيَّة، ويبدو أنَّه أُخبر من قِبَل السُّلطات العُثمانيَّة بطبيعة مهمَّتهما، فَمُنِعَ نيوكومب من رَسْم الخرائط، ومُنِعَ لُورنس من التقاط الصُّور الفُوتُوغرافيَّة، لكنَّ لُورنس استطاع الإفلات، وقام بالتقاط بعض الصُّور، كما استطاع - رغم المُراقبة - من الذّهاب إلى جزيرة في خليج العَقَبَة تُدعى (كريجة)، وذلك بواسطة قُرَب ماء فارغة. وقد وَصَفَ لُورنس هذه

---

(1) Woolley and Lawrence, Op. Cit., P. 24.

(2) Liddle Hart, Op. cit., PP. 31-32.
Woolley and Lawrence, Op. Cit., P. 12.

(3) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص23.

الجزيرة بأنّها مُمتلئة باللّحم" وربّما أطلق لُورنس هذا الوَصْف على الجزيرة لكثرة الطُّيور والحيوانات التي تعيش فيها[1].

وبعد أنْ تناهى إلى أسماع الحُكُومة البريطانيَّة أنَّ قائم مقام العَقَبَة لديه تعليمات من حُكُومته تُحرِّم التّنقيب في هذه المنطقة، أصدر كتشنر أوامره بإلغاء مهمَّة المَسْح العسكري، فعاد لُورنس من معان إلى دمشق بالقطار، ومن هُناك اتَّجه إلى قرقميش؛ حيثُ وَجَدَ كُلاً من هوكارث و وولي، الذي وَصَلَ - بدوره - إلى قرقميش، فعادا سويَّة إلى لندن[2].

عكف الاثنان - بعد عودتهما إلى لندن - على كتابة تقريرهما الذي سمَّياه (صحراء زن) (wilaerness of zin)[3] وقد اعترف لُورنس أنَّ النّتائج لم تكن جديدة، فقد سبقهما إليها الرَّحَّالة الفرنسيُّون والألمان والأمريكان والإنكليز؛ إذْ قال: "... وفي جهلنا عن مدى ما فعله هؤلاء، فإنّنا كرَّرنا مقداراً كبيراً من عملهم، خاصَّة في المواقع الأخيرة"[4] هذا من جهة النّتائج الآثاريَّة، إلاَّ أنَّ الاثنَيْن استطاعا إتمام عملهما العسكري؛ حيثُ أكملا رَسْم الخرائط لمنطقة سيناء.

إنَّ رحلة لُورنس تلك فَتَحَتْ له آفاقاً جديدة؛ إذْ إنَّه كسب معلومات جديدة عن منطقة لم يزرها من قبلُ، كما أنَّه تعامل مع سُكَّانها، وعرف طُرُقها، ورسم خرائطها، فَضْلاً عن أنَّ هذه الرّحلة مهَّدت السّبيل أمامه للانضمام إلى مكتب استخبارات القاهرة.

اندلاع الحَرْب العالميَّة الأُولى وانضمام لُورنس إلى الجيش البريطاني:

- عمل لُورنس في مكتب الاستخبارات البريطاني في القاهرة:

بعد أنْ غادر لُورنس قرقميش للمرَّة الأخيرة في حياته، وَمَكَثَ في إنكلترا عاكفاً على جَمْع مادَّة تقريره حول بعثته إلى سيناء بالاشتراك مع وولي اندلعت الحَرْب العالميَّة الأُولى[5].

---

(1) Malcolm Brawn, Op. cit., P. 58.

(2) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص23.

(3) سنتناول هذا التّقرير بالتّفصيل عند الحديث عن مُؤلَّفات لُورنس في الفصل الأخير من الرّسالة.

(4) Quoted in: Woolley and Lawrence, Op. cit., p. 17.

(5) كان تضارب مصالح الدُّول الاستعماريَّة هُو سبب اندلاع الحَرْب العالميَّة الأُولى، ولكنَّ الشّرارة التي ألهبت فتيل الحَرْب هي مقتل ولي عهد النّمسا والمجر الأرشيدوق فرانس فرديناند وزوجته في 28 حُزيران 1914، في سراييفو عاصمة البُوسنة والهرسك من قبَل مُنظَّمة اليد السّوداء الصّربيَّة السِّرِّيَّة، انتهت الحَرْب بانتصار الحُلفاء على دُول الوسط في 11 تشرين الثّاني 1918. للتّفاصيل انظر: عُمر الدّيراوي، الحَرْب العالميَّة، بيرُوت، دار العلم للملايين، 1982.

أراد لُورنس أنْ يحصل على وظيفة في وزارة الحَرْبيَّة البريطانيَّة تتعلَّق بالمجهود الحَرْبي، فتوسَّط لدى نيوكومب الذي أوصى به خيراً لدى زميل له في سلك الاستخبارات العسكريَّة، لكنَّ جُهُودهم ذَهَبَتْ أدراج الرّياح؛ حيثُ رُفض طَلَبُ لُورنس للتَّطوُّع[1].

لقد اختلف مُؤرِّخو سيرة لُورنس حول أسباب رَفْض طَلَب لُورنس للتَّطوُّع، فيدَّعي لويل تُوماس (Loweell Thomss)، أنَّه حاول التَّطوُّع كجُنْدي بسيط، لكنَّ اللّجنة الطِّبِّيَّة رَفَضَتْ طَلَبَهُ بسبب قصر قامته، حتَّى خاطبه أحد الأطباء قائلاً:

"ارجعْ يا بُنيَّ إلى أُمِّكَ، وانتظرْ الحَرْب القادمة، فستكون صحَّتكَ أحسن قليلاً من الآن"[2] أمَّا رُوبرت جريفز (Robert Graves)؛ فيذكر أنَّ طَلَبَ لُورنس للتَّطوُّع قد رُفض بسبب الطّلبات المُتزايدة على مكاتب التّجنيد في بريطانيا للتَّطوُّع في الجيش بصُورة مُؤقَّتة[3].

ويبدو أنَّ الرّأيَيْن مُرتبطان ببعضهما، فإنَّ كَثْرة المُتطوِّعين للخدمة في صُفُوف القُوَّات البريطانيَّة قد جَعَلَتْ المسؤولين عن التَّطوُّع لا يقبلون تطوُّع مَنْ يرون فيه أنَّه غير قادر على ذلك؛ سواء صحِّيَّاً أو بَدَنيَّاً، من هُنا؛ جاء رَفْضُ طَلَب لُورنس؛ إذْ رأت فيه اللّجنة شخصاً غير مُؤهَّل للخدمة العسكريَّة، وذلك لأسباب صحِّيَّة، بينما كانت لدى لُورنس رغبة جامحة في التَّطوُّع في صُفُوف القُوَّات البريطانيَّة؛ حيثُ إنَّه كَتَبَ إلى المسز ريد أنْ تبعث له مُسدَّسَيْن من الشَّرْق، فقامت بإرسالهما له بالبريد[4]، فَكَتَبَ لها رسالة شُكر، وفي هذه الرّسالة كَشَفَ لُورنس عن موقفه حيال دُخُول الدّولة العُثمانيَّة الحَرْب؛ إذْ يقول: "... ينتابني خوف شديد من أنَّ الأتراك (العُثمانيِّيْن) لا ينوون الدُّخُول في الحَرْب، فقد يكون من الخير أنْ نُصغِّر من حجمهم، لنجعلهم مُجرَّد آسيا الصُّغرى"[5]. ويعني هذا أنَّ الإدارة البريطانيَّة ترغب في دُخُول الدّولة العُثمانيَّة الحَرْب، ليكون لها مُبرِّر للاستيلاء على مُمتلكاتها.

---

(1) مُقتبس من فيليب نايتلي، وكُولن سمبسون، المصدر السّابق، ص47.

(2) Loweel Thomas, Op. cit., P. 37.

(3) نقلاً عن: ريتشارد الدنكتون، المصدر السّابق: ص123.

(4) نقلاً عن: ريتشارد الدنكتون، المصدر السّابق: ص123.

(5) حَصَلَتْ شُحَّة كبيرة بالأسلحة في إنكلترا، بعد اندلاع الحَرْب العالميَّة الأُولى، لذلك بَعَثَ لُورنس إلى السَّيِّدة ريدر لكي يحصل منها على هذَيْن المُسدَّسَيْن، انظر الدنكتون، المصدر السّابق، ص123.

لم يُسلم لُورنس نفسه لليأس، بل بدأ بالبَحْث عن منافذ جديدة للدُّخُول إلى الجيش، فتوجَّه نحو هوكارث عسى أنْ يجد له عملاً، فاستطاع الأخير أنْ يحصل له على عمل في شُعبة المُخابرات التّابعة لهيئة أركان العمليَّات العسكريَّة، وكان واجبه في البداية القيام بمهمَّة رَسْم الخرائط لصحراء سيناء.

إنَّ سبب قبول تعيين لُورنس - على ما يبدو - هُو جهل الضُّبَّاط العاملين في هذه المُؤسَّسة الحيويَّة بكُلِّ ما يتعلَّق بطُرُق صحراء سيناء، وإنَّ معرفة هؤلاء الضُّبَّاط بالمناطق والطُّرُق المُرشَّحة لتقدُّم القُوَّات البريطانيَّة سيجعلهم قادرين على وَضْع الخُطط اللاَّزمة للهُجُوم والدّفاع، فَضْلاً عن خبرة لُورنس في رَسْم الخرائط؛ إذْ وَصَفَهُ أحد الصُّحُفيِّين "أنَّه واحد من هؤلاء الذين يجعلون الخرائط تتحدَّث"[1].

باشر لُورنس عمله في هذا المكتب، دُون أنْ يحمل أيَّ صفة عسكريَّة، فقد كان يعمل بالملابس المَدَنيَّة، ممَّا أثار حنق بعض الضُّبَّاط عليه؛ إذْ صرخ أحد الضُّبَّاط في وُجهه قائلاً: "اغربْ عن وجهي، أريد أنْ أُكلِّم ضابطاً"، وقد كان لهذه الحادثة أثرها في السّعي للحُصُول على رُتبة عسكريَّة للُورنس، وبالفعل؛ حَصَلَ على رُتبة مُلازم ثان مُؤقَّت في الجيش البريطاني[2].

إنَّ دُخُول الدّولة العُثمانيَّة الحَرْب إلى جانب ألمانيا، أضافت عبئاً جديداً على بريطانيا؛ إذْ حتَّم عليها توجيه جُزء من مجهودها الحَرْبي في هذا الاتِّجاه، وهذا يتطلَّب اهتماماً مُتزايداً بالمُؤسَّسات العسكريَّة العاملة في هذا المجال، وكان مكتب استخبارات القاهرة أحد تلك المُؤسَّسات؛ إذْ حظي باهتمام مُتزايد، لما يحمله من أهمِّيَّة في تزويد بريطانيا بالتّقارير عن الأوضاع في الدّولة العُثمانيَّة ومُستعمراتها المُختلفة في الشَّرْق، لذلك - وبناء على ما تقدَّم -

---

(1) Daily Herald Newspaper, London, dated 9th, Augast, 1920.

(2) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب ص24. ومن الجدير بالذِّكْر أنَّ قوانين الجيش البريطاني تُجيز للعاملين في المهمات السّياسيَّة والعسكريَّة المُرتبطة بالمجهود الحَرْبي أنْ يحملوا رُتباً مُؤقَّتة، ابتداءاً من أصغر رُتبة، وتنتهي برُتبة جنرال، حسب أهمِّيَّة العمل الذي يقوم به الشّخص، هذه الحالة طُبِّقت على لُورنس؛ إذْ مُنح رُتبة مُلازم ثان، وأخذ يتدرَّج في الرُّتب، حتَّى حَصَلَ على رُتبة كُولونيل (عقيد)، ولكنْ؛ بمُجرَّد انتهاء الحَرْب نراه يفقد رُتبته تلك. انظر: صُبحي العُمري، المصدر السّابق: ص23.

رُفد هذا المكتب بالعديد من الأشخاص من ذوي الخبرة في منطقة الشَّـرْق الأدنى، وكـان مـن بين هؤلاء الأشخاص نيوكومب وليونارد وولي، بالإضافة إلى لُورنس[1].

أبحر لُورنس باتِّجاه القاهرة في 9 كانون الأوَّل 1914، بعد أنْ رُقِّـي إلـى رُتبـة كـابتن مـن قِبَل هيئة الأركان، وعند وُصُوله وزُملائه إلى القاهرة، لم يكن هُناك ثمَّة مكتـب مـن النّاحيـة الفعليَّة، لذا؛ تعاونوا في إنشـاء هـذا المكتـب، والحُصُـول علـى المعلومـات، وتوفير الأجـهزة اللاسلكيَّة، إلاَّ أنَّ العمل الأهمَّ الذي قاموا به كخُطوة أُولى هُو البَحْث عن العُملاء، لتكوين شبكة خاصَّة بالمكتب[2].

وكان لكُلِّ عُضْو من أعضاء المكتب عمله الخاصَّ به؛ إذْ كُلِّـف ليونـارد وولـي بـالبَحْث عن عُملاء وتأسيس شبكة استخبارات، أماَّ جُـورج لويـد Goerge Lioyed فقـد كـان عملـه جَمْع المعلومات والتّقارير عن العراق، كما أنَّ هربرت يونك كان مُختصّاً بالشُّؤُون العُثمانيَّة. أمَّا مهمَّة لُورنس؛ فبالنَّظَر لإلمامه بأوضاع القبائل العَرَبيَّة في سُورية وما جاورها؛ فقد أُوكلـت إليه، بالإضافة إلى مهمَّته الرّسميَّة في رَسْم الخرائط، مهمَّات عديدة، كان من أهمِّـها تكويـن شبكة من العُملاء، فَضْلاً عن استجواب الأسرى العُثمانيِّين الذين يُجلَبون إلى القاهرة[3].

اكتمل طاقم المكتب بانضمام ديفيد هوكارث صاحب الخـبرة الكبـيرة في شُـؤُون الشَّـرْق الأدنى، الذي كان له تأثير واضـح علـى لُورنـس، فبواسـطته كـان يصـل صوتـه إلـى الدّوائـر السّياسيَّة في لندن، نَظَراً لما يتمتَّع به من سُمْعَة ومكانة مرموقة في هذه الدّوائر.

وكـان آخـر مَـنْ انضـمَّ إلـى المكتـب هـي الأنسـة جرتـرود بـل، التـي اسـتُقبلت مـن قِبَـل هوكارث ولُورنس في أواخـر شـهر تشـرين الثّـاني عـام 1915، وكلَّفوهـا بواجبـها الـذي كـان يتضمَّن المُساعدة في ملء الأضابير السِّرِّيَّة بمعلوماتها عن القبـائل العَرَبيَّـة وشُـيُوخها، نَظَـراً لمـا تحمله الآنسة من معلومات ثرَّة عن تلك القبائل[4].

---

(1) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص24.

(2) Malcolm Brawm, Op. Cit., P. 68.

(3) Ibid, PP. 67-69.

(4) مُحَمَّد يُوسُف إبراهيم، المصدر السّابق، ص41.

نَجَحَ لُورنس في بداية عمله، بتجنيد أحد العُملاء، ويُدعى (تشارلس بوتاجي)[1]؛ حيثُ أبدى استعداداً واضحاً للقيام بهذه المهمَّة، وبما أنَّه من الرّعايا العُثمانيِّيْن فإنَّ التّجنيد سيكون مصيره في حالة عودته إلى حيفا، لذا؛ كُلِّف بالتَّنقُّل بين موانئ شرقي البحر المُتوسِّط وتزويد لُورنس بمعلومات عن الجواسيس العُثمانيِّيْن، وعن الأشخاص المشبوهين مُقابل مقدار من المال، وكان لُورنس يُسهِّل له الانتقال عن طريق سُفُن الحُلفاء[2].

كما كان لُورنس يقوم باستجواب بعض الأسرى والفارِّين من الرّعايا العُثمانيِّيْن.

وكان أكثر ما يُركِّز في أسئلته حول التّنظيمات السّياسيَّة والأحوال الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة في الأقاليم التي ينتمي إليها هؤلاء الأسرى الفارُّون[3]، إنَّ مَنْ يقوم بهذه الأعمال ينبغي ألاَّ يكون ضابطاً بسيطاً، بل ممَّنْ يتمتَّعون بميِّزات لم يكن غيره من الضُّبَّاط يتمتَّع بها، من هذه الميِّزات: هي أنَّ لُورنس ذُو معرفة بشُعُوب المنطقة وأحوالها، فَضْلاً عن أنَّه استطاع الاستفادة من شخصيَّة مُتنفِّذة لخدمته، وهي شخصيَّة ديفيد هوكارث لإيصال خُططه ومُقترحاته إلى الدّوائر السّياسيَّة في لندن، لذلك نراه يُكلَّف بمهمَّة تُعَدُّ من أغرب المهامِّ، وهي دراسة إمكانيَّة قيام ثورة مُسلَّحة في العراق، وفكِّ الحصار عن القُوَّات المُحاصرة في الكُوت.

ـ مهمَّة لُورنس السِّرِّيَّة في العراق:

بعد دُخُول الدّولة العُثمانيَّة الحَرْب إلى جانب دُول الوَسَط، أصبحت جميع مُستعمراتها في حالة حرب. ولمَّا كان العراق يحتلُّ موقعاً مُهمّاً على طريق الهند، دُرَّة التّاج البريطاني؛ رغبت بريطانيا بتأمين هذه الطّريق، فَجَهَّزَتْ حَمْلَة لاحتلال العراق بقيادة الجنرال ديلامين (Delamin)، واحتلت القُوَّات البريطانيَّة البَصْرَة، ثُمَّ القرنة، فالعمارة، وتقدَّمت باتِّجاه النّاصريَّة، واحتلَّتها، وطوال سنة كاملة توالت خسائر القُوَّات العُثمانيَّة، مُقابل

---

(1) مسيحي من أهالي حيفا يبلغ من العمر 18 عاماً، فرَّ من باخرة إيطاليَّة، وقدم إلى القاهرة، قدَّم طَلَبَاً للتَّطوُّع في الجيش البريطاني؛ حيثُ رُفض طَلَبُهُ، وعرض عليه أنْ يُصبح عميلاً لمكتب استخبارات القاهرة.

(2) فيليب نايتلي، وكُولن سمبسون، المصدر السّابق، ص49.

(3) عبد الرّحمن الشّهبندر، الكُولُونيل لُورنس، ص269، سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص25 ـ 26.

انتصارات بريطانيَّة كبيرة[1]. إلاَّ أنَّ هذه الانتصارات لم تستمرّ طويلاً؛ إذْ استطاع العُثمانيُّون إلحاق الهزيمة بالبريطانيِّين في معركة سَلْمان باك، فاضطُرَّ طاونزند قائد القُوَّات البريطانيَّة إلى الانسحاب إلى الكُوت؛ حيثُ حُوصرت الحامية البريطانيَّة هُناك لُمدَّة خمسة أشهر، من أوائل كانون الأوَّل 1915م، إلى أواخر نيسان عام 1916م[2].

أُرسلت عدَّة حَمَلات لإنقاذ القُوَّات المُحاصرة، وَنَشَبَتْ عدَّة معارك، إلاَّ أنَّ جميعها باءت بالفشل الذّريع[3]. كما حاولت القيادة البريطانيَّة الاتِّفاق مع القيادة الرُّوسيَّة للإسراع في تقدُّم قُوَّات الجنرال باراتوف لتهديد خُطُوط انسحاب الجيش العُثماني، إلاَّ أنَّ الرُّوس تماهلوا في هذا الأمر نتيجة التّنافس القائم بين كُلٍّ من رُوسيا وبريطانيا على مناطق النُّفُوذ[4].

بعدما كَشَفَتْ القيادة البريطانيَّة جميع أوراقها على مائدة الحصار، لم يبقَ لديها إلاَّ أنْ تلعب الورقة الأخيرة غير المألوفة، فقد قرَّر كتشنر الرُّكُون إلى خُطَّة لم يكن لها مثيل في تاريخ الحُرُوب، لما عرف عنه من اللُّجُوء إلى الخُطط المُلتوية في وقت الأزمات، وهي مُحاولة رشوة القائد العُثماني خليل باشا قائد القُوَّات العُثمانيَّة التي تُحاصر الكُوت. واختير لُورنس مع اثنَيْن من زُملائه، وهُما أوبرى هربرت (bertreH) عُضْو مجلس العُمُوم البريطاني لكونه

---

(1) لمزيد من التّفاصيل عن الاحتلال البريطاني للعراق راجع: أرنولد ولسن، بلاد ما بين النّهرَيْن بين ولاءَيْن، ترجمة فُؤاد جميل، ج1/ بغداد، دار الشُّؤُون الثّقافيَّة العامَّة، 1992، ص36 ـ 438، علي الوردي، لَمَحَات اجتماعيَّة من تاريخ العراق الحديث، الجُزء الرّابع، بغداد، مطبعة المعارف، 1977، ص90 ـ 344.

(2) للتّفاصيل عن حصار القُوَّات البريطانيَّة في الكُوت، وما كَابَدَتْهُ من مشقَّات؛ راجع:

F. W. G. Sandes, In Kut Captivity, London, 1919; Ronald Miller, Kut the death of An Army, London, Seckerand warbury, 1969; Russell Braddon, the siege, London, Jonathan cape, 1969.

(3) للتّفاصيل عن هذه المعارك؛ راجع: شُكري محمُود نديم، حرب العراق 1914 ـ 1918، بغداد، مطبعة النّجاح، 1954، ص194 ـ 213.

(4) هذا التّنافس هُو الذي جعل الرّوس يسحبون قُوَّاتهم من أرضروم في عام 1916، ممَّا جعل الموانئ وسكك الحديد في القُوقاز تحت رحمة الاستراتيجيَّة العُثمانيَّة، ممَّا عرَّض الجناح الشّمالي الشَّرْقي في إيران إلى تهديد خطير خلال المرحلة الأخيرة من الحَرْب، وخَلَقَ وَضْعَاً في أذربيجان وداغستان، أضرَّ إضراراً كبيراً في موقف بريطانيا في الشَّرْق. للتّفاصيل؛ راجع:

P.R.O., F.O., 371-5030-E 8063/ Jul 12,1920, Memorandum on changes in the General International situation Since the Date of the main British, Commitments Regarding the Middle East.

دبلوماسياً بارعاً، ويجيد اللُّغة التُّركيَّة، والعقيد بيج (Biege) الذي كان يعمل ضابطاً في قسم الاستخبارات، للقيام بهذه المهمَّة، التي وُصفت بأنَّها "واحدة من أغرب المهمَّات في التّاريخ العسكري البريطاني"[1].

يرى لُورنس أنَّ سبب اختياره لهذه المهمَّة، هُو قيامه بمهمَّة مُشابهة في أرضروم، كما صَرَّحَ بذلك لكاتب سيرته ليدل هارت (Liddel Hart) عن سبب اختياره، فأجاب قائلاً: "لقد وضعتُ الغرنادوق نيقولاس (قائد القُوَّات الرُّوسيَّة) على تماسٍّ مع بعض الضُّبَّاط العَرَب المُتمرِّدين في أرضروم... لذلك؛ فإنَّ مجلس الحَرْب اعتقد بأنِّي سأفعل الشّيء نفسه في بلاد الرّافدَيْن"[2]. ويبدو أنَّ تبرير لُورنس هذا بعيد عن الواقع؛ إذْ إنَّ أرضروم احتُلَّت من قبَل الرُّوس بسبب الحالة السَّيِّئة التي كان عليها الجيش الثّالث العُثماني، وضعف الإمدادات والتّعزيزات العُثمانيَّة. أمَّا السّبب الحقيقي لاختياره لهذه المهمَّة؛ فيعود إلى ثقة القيادة البريطانيَّة بالقُدرات الذّهنيَّة التي يتمتَّع بها لُورنس، فَضْلاً عن إتقانه لأُسْلُوب التّفاوض، ومعرفته بأحوال البلاد الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والسّياسيَّة والدِّينيَّة.

وقبل وُصُول لُورنس إلى البَصْرَة، تلقَّى قائد القُوَّات البريطانيَّة في البَصْرَة الجنرال برسي ليك (Leck) برقيَّة بَعَثَ بها الجنرال رُوبرتسون (Robertson)، رئيس أركان حرب الجيش البريطاني بتاريخ 29 آذار، وهذا نصُّها: "تعليمات سريَّة جداً للقائد شخصياً. سيصل الكابتن لُورنس إلى البَصْرَة، قادماً من مصر في الثّلاثين من آذار، وحوالي هذا التّاريخ، ليتشاور معكم في إمكانيَّة رشوة خليل باشا أو نجيب باشا، من قُوَّاد الجيش العُثماني في العراق، من أجل تسهيل فكِّ الحصار عن طاوزند. ويُمكنكم أنْ تصرفوا في هذا السّبيل مبلغاً لا يتجاوز مليون جُنيه، ولَمَّا لم يكن بالإمكان العُثُور فوراً على وسيط من أهل البلاد ليُرافق لُورنس، فقد تتمكَّنون من العُثُور على وسيط في البَصْرَة"[3].

---

(1) وميض جمال عُمر نظمي، الجُذُور السّياسيَّة والفكريَّة والاجتماعيَّة للحَرَكَة القوميَّة العَرَبيَّة الاستقلاليَّة في العراق، بيرُوت، مركز دراسات الوحدة العَرَبيَّة، 1984، ص110، إنتوني كاتنغ، ولويل تُوماس، المصدر السّابق، ص38.

(2) Ronald Miller, Op. Cit., p. 252.

(3) مُقتبس من: فيليب نايتلي، وكُولن سمبسون، المصدر السّابق، ص52.

وهكذا؛ فإنَّ لُورنس لم يُكلَّف بمهمَّة واحدة، فبالإضافة إلى مهمَّته في تقديم الرّشوة إلى خليل باشا، فقد كُلِّف بمُحاولة خَلْق المتاعب للعُثمانيِّين بإثارة السُّكَّان المحلِّيِّين، وكان الغرض الأساسي منها هُو تخفيف الضّغط عن القُوَّات البريطانيَّة المُحاصرة في الكُوت[1]. فَضْلاً عن القيام بمهمَّة إيجاد نوع من التّوافق والانسجام في رَسْم السّياسات المُشتركة بين مدرستَيْ الهند والقاهرة[2].

غادر لُورنسُ الإسكندريَّةَ في الثّاني والعشرين من آذار عام 1916، على ظهر الباخرة رُويال جُورج (Royal George) مُتوجِّهاً إلى البَصْرَة، مارّاً بالكُويت، وعند وُصُوله البَصْرَة؛ كان في استقباله في دار القيادة العسكريَّة كُلٌّ من الآنسة جرترود بل، وكامبل تُومبسون الذي كان نائب رئيسه في بعثة التّنقيب في قرقميش؛ حيثُ مَكَثَ في البَصْرَة ثلاثة أيَّام[3]. وفي فترة إقامته في البَصْرَة؛ التقى لُورنس مع برسي كُوكس (Bercy Cox)[4]، ودار الحديث بينهما حول موضوع الجَمْعيَّات العَرَبيَّة وسياسة الدّولة العُثمانيَّة. ولم يتَّفق الاثنان في التّحريض على قيام ثورة عَرَبيَّة في العراق ضدَّ الوُجُود العُثماني. و بعد هذا اللّقاء، وَصَفَ لُورنسُ كُوكسَ بأنَّه كان جاهلاً في موضوع الجَمْعيَّات العَرَبيَّة السِّرِّيَّة والسّياسات العُثمانيَّة. والحقيقة أنَّه لم يكن جاهلاً حسب ما ادَّعى لُورنس، بل إنَّه لا يُعير أهمِّيَّة لمسألة استخدام العَرَب كوسيلة من وسائل تثبيت النُّفُوذ البريطاني في المنطقة؛ إذْ كانت أفكاره على طَرَفَيْ نقيض مع أفكار لُورنس وتوجُّهاته.

---

(1) بُوند رافسكي، سياستان إزاء العالم العَرَبي، ترجمة خيري الضّامن، مُوسكُو، دار التَّقدُّم، 1975، ص85.

(2) سنُحاول عرض صُورة عن الخلاف بين هاتَيْن المدرستَيْنْ في المبحث الخاصّ بمهمَّة لرُونس في المكتب العَرَبي من هذا الفَصْل.

(3) Malcolm Brawn, Op. Cit., P. 83.

(4) برسي كُوكس، ضابط بريطاني، رافق الحَمْلَة البريطانيَّة على العراق عام 1916، عمل في الخليج العَرَبي بمهمَّة رئيس المُقيمين السّياسيِّين، شغل منصب المندوب السّامي في العراق عام 1920، بعد عزل أرنولد ولسن، وكيل الحاكم المَدَني العامّ، للتّفاصيل؛ انظر:

Phllipe Graves, The Life Of Sir Bercy Cox, London, Hutchinson, N.D.

Phllipe Graves, The Life Of Sir Bercy Cox, London, Hutchinson, N.D.

كما أبدى كُوكس في هذا اللّقاء مُعارضته الشّديدة للفكْرة التي طَرَحَهَا عليه لُورنس، وهي مجيء عزيز علي المصري[1]، ومُحَمَّد شريف الفاروقي[2]، لغرض القيام بمهمَّة فَصْل العناصر العَرَبيَّة من الجيش العُثماني، والقيام بحَرَكَة ضدَّ العُثمانيِّين. ووافقه في هذا الرّفض الجنرال ليك، بحُجَّة أنَّ هاتَيْن الشّخصيَّتَيْن غير مرغوب بوُجُودهما في العراق، بسبب الآراء التي يحملانها، والتي وَصَفَهَا بأنَّها "تقدُّميَّة كثيراً"[3].

وقد نَجَحَ لُورنس - أثناء وُجُوده في البَصْرَة - في توثيق علاقته بالآنسة جرترود بل، التي كَتَبَتْ عن لقائها معه في البَصْرَة قائلة: "لقد دبَّت بيننا الحياة في هذا الأُسبُوع، بظُهُور لُورنس الذي بُعث كضابط اتِّصال من مصر، وَجَرَتْ بيننا أحاديث شيِّقة، وَوَضَعْنَا خُططاً هائلة لحُكْم الكون"[4].

هذا؛ وقد بدأ لُورنس نشاطه من أجل تنفيذ المهمَّة الأُولى التي كُلِّف بها؛ وهي: "إيجاد وسيط من أهالي البَصْرَة" من أجل "تسهيل مهمَّة فكِّ الحصار عن طاوزند"، حسب ما جاء في نصِّ البرقيَّة، فالتقى - هُناك - بإحدى الشّخصيَّات الوَطَنيَّة؛ وهُو سُليمان فيضي[5].

---

(1) عزيز علي المصري، (1879 - 1965) قائد عسكري أصله من البَصْرَة، دَرَسَ بالمدرسة الحَرْبيَّة في إستانبول، وتخرَّج عام 1904. انضمَّ إلى جَمْعيَّة تُركيا الفتاة، شارك بتأليف جَمْعيَّة العهد السِّرِّيَّة، وشغل عدَّة مناصب سياسيَّة وعسكريَّة في القاهرة لحين وفاته. للتّفاصيل؛ انظر: خير الدِّين الزّركلي، الأعلام، المُجلَّد الرّابع، بيرُوت، دار العلم للملايين، 1979، ص321.

(2) مُحَمَّد شريف الفاروقي (1891 - 1920)، ضابط عراقي من أهالي الموصل، من أعضاء جَمْعيَّة العهد السِّرِّيَّة، أُسر من قبَل الإنكليز عام 1915. عيَّنه الشّريف حُسَيْن مندوباً له في القاهرة، وأعفاه عام 1917. عاد إلى العراق، واغتيل فيه عام 1920. للتّفاصيل؛ انظر: خير الدِّين الزّركلي، الأعلام، المُجلَّد السّادس، ص158.

(3) سُليمان مُوسى: الحَرَكَة العَرَبيَّة سيرة - المرحلة الأُولى للنّهضة العَرَبيَّة الحديثة 1908 - 1924، بيرُوت، 1977، ص166 - 167.

(4) مُقتبس من: "ريتشارد الدنكتون، المصدر السّابق، ص152.

(5) سُليمان فيضي: (1885 - 1951) حُقُوقي وأديب وُلد بالموصل، دَرَسَ في الإعداديَّة العسكريَّة ببغداد، وأصدر جريدة الإيقاظ في البَصْرَة عام 1909. انتُخب عام 1914، نائباً عن البَصْرَة في مجلس النُّوَّاب العُثماني. عمل مُدرِّساً في مدرسة الحُقُوق ببغداد للفترة من 1920 - 1922. أصبح عُضْواً في محكمة الاستئناف في بغداد، ثُمَّ نائباً عن البَصْرَة عام 1935. للتّفاصيل؛ انظر: خير الدِّين الزّركلي، الأعلام، المُجلَّد الثّاني، ص131 - 132.

إنَّ المصدر الوحيد الذي بين أيدينا، والذي تحدَّث عن مهمَّة لُورنس تلك، هُو مُذكّرات سُليمان فيضي؛ حيثُ تَرَكَ لنا وَصْفاً كاملاً لما دار بينه وبين لُورنس، وممَّا ذَكَرَهُ أنَّ لُورنس استدعاه إلى مقرِّ السُّلطة البريطانيَّة في البَصْرَة، وبعد عبارات المُجاملة؛ عُرض عليه "القيام بثورة" على حَدِّ تعبير سُليمان فيضي[1]، والسُّؤال الذي يتبادر إلى الذّهن، هُو لماذا اختار لُورنسُ سُليمانَ فيضي بالذّات؟

يُحدِّد سُليمان فيضي عدَّة عوامل للإجابة عن هذا السُّؤال، كان من أهمِّها، أنَّه كان نائباً مُعارضاً للاتِّحاديِّين في مجلس المبعوثان العُثماني، وأحد أعضاء جَمْعيَّة العهد السِّرِّيَّة، فَضْلاً عن عمله على بثِّ الفكْرة القوميَّة العَرَبيَّة في العراق[2].

حاول لُورنس تقديم مُغريات عديدة لإقناع سُليمان فيضي للقيام بهذه المهمَّة، وَوَعَدَهُ بأنَّه يضع جميع إمكانيَّات بريطانيا الماديَّة والعسكريَّة في خدمته، ولكنَّ جُهُوده باءت بالفشل أمام إصرار سُليمان فيضي على رَفْض المهمَّة[3]. وحاول فيضي تقديم أسباب مُقنعة تجعله يرفض مهمَّة القيام بثورة، كونه رجلاً حَضَرِيّاً لا تُسانده عشيرة، ولا زعامة تقليديَّة، وأنَّه لم يكن مُعادياً للعُثمانيِّين، بل حاول إفهام لُورنس أنَّ البريطانيِّين هُم أعداؤه[4]، وبدلاً من التّعاون معه؛ عَرَضَ عليه الاتِّصال بالسَّيِّد طالب النّقيب[5] في منفاه بالهند، للقيام بهذه المهمَّة، لكنَّ لُورنس رَفَضَ الاتِّصال بطالب النّقيب بسبب موقف الحُكُومة البريطانيَّة غير الوُدِّي تجاهه، ثُمَّ رشَّح سُليمان فيضي أحمد باشا الصّانع - وهُو من وُجهاء البَصْرَة - للقيام بهذه المهمَّة.

---

(1) سُليمان فيضي، في غمرة النّضال، بيرُوت، دار القلم، 1974، ص203.

(2) المصدر نفسه، ص204.

(3) وميض جمال عُمر نظمي، المصدر السّابق، ص110.

(4) سُليمان فيضي، المصدر السّابق، ص211 - 212؛ سُليمان مُوسى، الحَرَكَة العَرَبيَّة...، ص166.

(5) طالب النّقيب: (1862). زعيم سياسي عراقي، وُلد بالبَصْرَة، وتعلَّم فيها. عُيِّن حاكماً على الإحساء، ثُمَّ عُضْواً في مجلس النُّوَّاب العُثمانيِّين، نُفي إلى الهند من قبَل بريطانيا. عُيِّن وزيراً للدّاخليَّة في العراق، ثُمَّ نُفي إلى الهند للمرَّة الثّانية، نتيجة مُعارضته لبريطانيا. للتّفاصيل؛ انظر: حُسَيْن هادي الشّلاه، طالب النّقيب ودوره في تاريخ العراق الحديث، رسالة ما جستير غير منشورة، جامعة عين شمس، 1981.

وحدَّد للُورنس الأسباب التي تجعلـه قـادراً علـى القيـام بـها، منـها أنَّـه ذُو نُفُـوذ كبـير في البَصْرَة، ويرتبـط بعلاقـات متينـة مـع شُـيُوخ المنتفـك، تُوفِّـر لـه القُـوَّة والحمايـة للقيـام بعمـل كهذا[1].

طَلَبَ لُورنس من سُليمان فيضي ـ بعـد ذلـك ـ الاتِّصـال ببعـض الضُبَّاط الموجُودين في البَصْرَة، ومُفاتحتهم بأمر الثورة، وهُم كُلٌّ من مولود مُخلص، وعلي جودت الأيُّوبي، وعبد الله الدُّليمي، وكان موقفهم ـ أيْ الضُبَّاط ـ مُطابقاً تماماً لموقف سُليمان فيضي، في رَفْض المهمَّة التي جاء من أجلها لُورنس[2].

وعلى أيَّة حال؛ فشل لُورنس في مهمَّته الأُولى فَشَلاً ذريعاً، ولم تجد مُحاولاتـه في ثَنْـي سُليمان فيضي عن موقفه نَفْعَاً يُذكَر، فتوجَّـه إلـى الخُطُـوط الأماميَّـة في الكُـوت لتنفيـذ المهمَّـة الثّانية، وهي مُحاولة فكِّ الحصار عن قُـوَّات طـاونزند، بتقديـم الرّشـوة إلـى القـائد العُثمـاني خليل باشا.

وقبل وُصُول لُورنس إلى جَبَهَات القتال، كان الجنرال قد أرسل رسالة إلـى علـي نجيـب باشا وخليل باشا بتاريخ 26 نيسان من عام 1916، يطلب فيها هُدنـة لُمدَّة عشـرة أيَّام لغـرض بدء المُفاوضات بين الطَّرَفَيْن، استناداً إلى الأوامر التي تلقَّاها من قيادته، والتي تُخوِّله البدء في المُفاوضات. وفي صباح اليوم التّالي؛ ابتدأت المُفاوضات بين الجانبَيْن في وسـط النّهر؛ حيـثُ عرض رشوة على خليل باشا؛ وهـي دَفْعُ مليـون بـاون لقـاء إطـلاق سـراح حاميـة الكُـوت، وتعهُّد قُوَّاته بعدم الدُّخُول في معركة ضدَّ العُثمانيِّيْن طيلة مُدَّة الحَرْب. فأبرق خليل باشـا إلـى أنـور باشـا لمعرفـة موقفـه مـن العـرض البريطـاني، فمـا كـان مـن الأخـير إلاَّ رفضـه، وَطَلَـبَ استسلام الحامية بدُون قَيْد أو شَرْط، ثُمَّ بَعَثَ الجـنرال طـاونزند إلـى الجـنرال ليـك في البَصْـرَة يُخبره بتطوُّرات المُفاوضات، وموقـف أنـور باشـا منـها، فـاقترح عليـه ليـك زيـادة المبلـغ إلـى

(1) علي الوردي، المصدر السّابق، الجُزء الرّابع، ص273 ـ 274.

(2) سُليمان فيضي، المصدر السّابق، ص215.

مليونَيْ باون مع تقديم عدد من الأسرى العُثمانيِّين يُساوي عدد أفراد الحامية البريطانيَّة المُحاصرة في الكُوت[1].

كان لُورنس خلال فترة المُفاوضات تلك على مقربة من خُطُوط القتال، يرقب سَيْرها. فتلقَّى برقيَّة من قيادة الجنرال ليك تُخبره بالتّوجيه إلى خُطُوط القتال، ومعه رفاقه، وهُم كُلٌّ من أُوبرى هربرت، والعقيد بيج، لغَرَض تقديم العرض الجديد إلى خليل باشا[2].

وَصَلَ الثّلاثة، كُلٌّ من لُورنس، وأُوبري هربت، وبيج، إلى المواقع العُثمانيَّة في 29 نيسان عام 1916، بعد مُشقَّات كثيرة صادفَتْهُم في طريقهم، وفي اليوم نفسه؛ اجتمعوا بخليل باشا، وعند بدء المُفاوضات، سأل خليل باشا عن النُّقُود، فَعَرَضَ عليه العقيد بيج مبلغ المليونَيْ باون، لكنَّ خليل باشا رَفَضَ العرض مُجدَّداً، فقد كان مُمسكاً بجميع الأوراق على حَدِّ تعبير لُورنس[3]؛ أيْ الاستسلام دُون قَيْد أو شَرْط. فتمَّ تحويل مجرى المُفاوضات باتِّجاه آخر، وهُو مسألة الأسرى الجرحى من البريطانيِّين، ومسألة العَرَب سُكَّان الكُوت، ثُمَّ مصير الجنرال طاونزند شخصياً. سأل لُورنس عن موقف خليل باشا من النُّقطة الأُولى، موضوع الأسرى والجرحى البريطانيِّين، فأجاب خليل باشا: أنَّه سيقوم بتبادل هؤلاء بالجُنُود العُثمانيِّين الأسرى، ولكنَّه أصرَّ أنْ يكونوا بخير، وليسوا جرحى، وأنَّه سيقوم بتبادل البريطانيِّين بالعُثمانيِّين، والهُنُود بالعَرَب، ثُمَّ غيَّر رأيه بعد قليل، وأكَّد عدم مُوافقته على دُخُول الجُنُود العَرَب كجُزء من شُرُوط التّبادل؛ إذْ إنَّه أصدر عليهم حُكْماً بالإعدام، وقال لأُوبري هربرت: "يُمكن إرسالهم لي إنْ أحببتَ، لكنِّي أصدرتُ حُكْم الإعدام بحقِّهم مُسبقاً، إنِّي أرغب بإعدامهم"[4]. ثُمَّ بَحَثَ لُورنس في مسألة مصير العَرَب من سُكَّان

---

(1) Briton Cooper Busch, Britain, India, and the Arab, 1914-1921, California, University of California pres, 1971, pp. 102-105; Russell Braddon, Op Cit., 250;

وانظر أيضاً: سليم طه التّكريتي، استسلام الحامية الإنكليزيَّة في الكُوت، "آفاق عَرَبيَّة"، العدد 3، تشرين الثّاني 1977، ص53.

(2) علي الوردي، المصدر السّابق، ج4، ص276.

(3) Malcolm Brawn, Op. Cit., P.83.

(4) Quoted in: Ronald Miller, Op. Cit., P.276.

الكُوت، وأوضح أنَّ هؤلاء السُّكَّان قد أظهروا شُعُور الصّداقة نحو بريطانيا بصُورة عامَّة، إلاَّ أنَّه لم يُطلَب منهم الاشتراك فعليّاً بالعمليَّات العسكريَّة، فأكَّد خليل باشا أنْ لا نيَّة لديه بالتّشدُّد في هذا الأمر، ولكنَّه لم يلتزم بهذا الأمر، فأعدم عدداً من السُّكَّان أثناء دُخُوله البلدة[1]. أمَّا المسألة الأخيرة التي تمَّ الاتِّفاق عليها؛ فهي مصير الجنرال طاونزند، فأجاب خليل باشا قائلاً: "لا داعي للقلق بشأن طاونزند، سيكون بخير"[2].

وبينما كانت المُفاوضات مُستمرَّة، أصدر طاونزند أوامره بتدمير المدفعيَّة الموجودة في الكُوت، بعدما أدرك أنْ لا جدوى من هذه المُفاوضات، وأخذت الأعلام البيضاء تُرفع من على خنادق القتال البريطانيَّة، دلالة على الاستسلام، وَدَخَلَتْ القُوَّات العُثمانيَّة البلدة في اليوم نفسه الذي جَرَتْ فيه مُفاوضات لُورنس وزُملائه مع خليل باشا[3]. فعاد لُورنس إلى البَصْرَة بخُفَّي حنين بعد أنْ استسلمت القُوَّات البريطانيَّة في الكُوت؛ حيثُ قضى فيها ما يُقارب من خمسة أيَّام يُعدُّ العُدَّة للعودة إلى القاهرة.

وبعد عودته إلى القاهرة؛ قدَّم تقريراً عن العراق، وضمَّنه نَقْدَهُ لنوعيَّة الأحجار المُستعملة في الطّباعة الحَجَريَّة، ونظام رُسُوِّ السُّفُن على الأرصفة النَّهْريَّة، وعن كفاءة الرّافعات العاملة في تفريغ السُّفُن، كما وجَّه فيه نَقْداً لأُسْلُوب إدارة السّكك الحديديَّة، وأهمُّ من هذا كُلِّه ضمَّن تقريره نَقْداً شديداً للقيادة البريطانيَّة العُليا في أُسْلُوب إدارتها لحَمْلَة العراق[4].

جُوبهت زيارة لُورنس ومهمَّته في العراق بمُعارضة شديدة من قبَل الضُّبَّاط البريطانيِّين الموجودين في البَصْرَة؛ إذْ استُقبل - هُناك - ببرُود من قبَل بعضهم، وقد كَتَبَ لُورنس "... كان للإدارة المحلِّيَّة البريطانيَّة موقف الاعتراض القوي لمجيئي، وَوَصَفَ ضابطٌ منهم مهمَّتي (التي لم يعرفوها حقّاً) بأنَّها غير مُشرِّفة"[5].

---

(1) عبد المُنعم النّاصر، المصدر السّابق، ص28.

(2) Quoted in: Ronald Miller, Op. Cit., P.276.

(3) علي الوردي، المصدر السّابق، ج4/ ص277.

(4) عبد المُنعم النّاصر، المصدر السّابق، ص28.

(5) المصدر نفسه، ص19 - 20.

ويبدو أنَّ هذا الاعتراض لم يكن نتيجة موقف شخصي من لُورنس، بقدر ما كان نتيجة اختلاف في الآراء حول أساليب رَسْم السّياسة البريطانيَّة في المنطقة العَرَبيَّة، بين جناحَيْ مُؤسَّسة السّياسة الخارجيَّة البريطانيَّة، وهُما مدرسة الهند، ومدرسة القاهرة.

ونجد من المُناسب في هذا الموضع إعطاء صُورة واضحة عن أفكار مُؤيِّدي المدرسَتَيْن، وأساليبهم في تطبيق السّيطرة البريطانيَّة على المنطقة العَرَبيَّة.

كان من أبرز دُعاة المدرسة الأُولى كُلٌّ من السِّربرسي كُوكس، وأرنولد ولسن (A.T.Wilson)[1]. وسنت جُون فلبي (Philpy)[2]. اعتقد هؤلاء أنَّ مصلحة بريطانيا تتطلَّب سيطرتها على الجزيرة العَرَبيَّة والعراق وبلاد فارس؛ بسبب الثّروات النّفطيَّة التي تحويها تلك البُلدان، كما اعتقدوا أنَّ جُهُود العَرَب الحَرْبيَّة ليست ذات نَفْع في إحراز بريطانيا للنّصر في الحَرْب، مُستندين في ذلك إلى عدَّة مُبرِّرات منها؛ أنَّهم كانوا يخشون أنْ تُؤدِّي ثورة العَرَب ضدَّ العُثمانيِّيْن إلى تحريض مُسلمي الهند ضدَّ الوُجُود البريطاني، كما أنَّ هذا التّعاون قد يؤجج المشاعر القوميَّة لدى العَرَب لغرض المطالبة بالاستقلال، وهذا ما لا يوافقون عليه إطلاقاً، ودعاة هذه المدرسة ميالون إلى التّعاون مع ابن سعود وتهيئته لزعامة العَرَب.

أمَّا مدرسة القاهرة؛ فيُمثِّلها كُلٌّ من لُورنس، وكلبرت كلايتون (Gi Ibert Clayton)[3]، وديفيد هوكارث، والآنسة جرترود بل، فكان رأيهم أنَّ من مصلحة بريطانيا

---

(1) أرنولد ولسن: (1884 ـ 1940) أحد ضُبَّاط الحَمْلَة البريطانيَّة على العراق، تولَّى منصب وكيل الحاكم المَدَني العامّ في العراق خَلَفاً للسِّربرسي كُوكس عام 1918م، حَدَثَتْ ثورة العشرين في عهده، أُقصي من منصبه في العراق، لفشله في إدارة الحَمْلَة في العراق، عمل في شركة النّفط البريطانيَّة ـ الفارسيَّة. للتّفاصيل؛ انظر: أرنولد ولسن، المصدر السّابق، ص437.

(2) سنت جُون فلبي: (1884 ـ 1960)، من الشّخصيَّات البريطانيَّة المشهورة، عمل مُوظَّفاً في حُكُومة الهند، ثُمَّ عمل مع هيئة عمل برسي كُوكس في العراق. تقلَّد عدَّة مناصب في العراق منها: حاكماً سياسيّاً في منطقة العمارة، مُساعداً شخصيّاً لبرسي كُوكس في العراق، مُستشاراً لوزارة الدّاخليَّة في الحُكُومة العراقيَّة المُؤقَّتة، كما شغل منصب المندوب السّامي البريطاني في شرق الأُردُن، كما عمل مُستشاراً لابن سُعُود. تُوفِّي ببيرُوت، للتّفاصيل؛ انظر:
Elizabeth Monroe, Philby of Arabia, London, Butller and Tanner, 1973;
نجدة فتحي صفوت، مس بيل وفلبي في العراق، "آفاق عَرَبيَّة"، العدد 8، 1978.

(3) كلبرت كلايتون: (1875 ـ 1929) ضابط وسياسي بريطاني. عمل في المهمَّات العسكريَّة للجيش البريطاني للفترة من 1910 ـ 1917، ثُمَّ تولَّى منصباً سياسيّاً في العراق، وهُو المندوب السّامي البريطاني بين آذار وأيلول عام 1929.

السّيطرة على مصر وسُورية، والمناطق المُقدّسة في الجزيرة العَرَبيَّة، وضرورة التّعاون مع العَرَب، واستغلال المشاعر القوميَّة لغَرَض تحقيق مصلحة بريطانيا، وذلك بإعطائهم وُعُوداً بالاستقلال تحت المُراقبة البريطانيَّة، كما أنَّهم رشَّحوا الشّريف حُسَيْن لزعامة العَرَب[1].

ـ عمل لُورنس في المكتب العَرَبي في القاهرة:

عندما كان لُورنس يقوم بمهمَّته في العراق، كان المكتب العَرَبي في القاهرة[2] يُواصل مهامَّه التي أعلن عنها بأنَّها: "دراسة وتطوير السّياسة البريطانيَّة فيما يختصُّ بالشُّؤُون العَرَبيَّة وجَمْع المعلومات"[3]، أمَّا أهدافه غير المُعلنة؛ فهي العمل على اتِّباع أساليب جديدة لتعميق السّيطرة البريطانيَّة في المنطقة العَرَبيَّة، وأقصد بتلك الأساليب التّعاون مع العَرَب، واستغلال الشُّعُور القومي لإشعال ثورة عَرَبيَّة ضدَّ العُثمانيِّيْن، وبما أنَّ لُورنس كان من المُتحمِّسين لهذا الأُسْلُوب، فإنَّ عَمَلَهُ في المكتب العَرَبي جاء مُوافقاً لرغباته.

---

(1) لمزيد من التّفاصيل عن آراء هاتَيْن المدرستَيْن؛ راجع: مُحَمَّد يُوسُف إبراهيم، المصدر السّابق، ص43 ـ 44، بنواميشان، عبد العزيز آل سُعُود سيرة بطل ومولد مملكة، ترجمة عبد الفتّاح ياسين، بيرُوت، دار الكاتب العَرَبي، د.ت، ص141؛ ل. كارل براون، السّياسة الدّوليَّة والشَّرْق الأوسط، ترجمة عبد الهادي حُسَيْن جياد، بغداد، دار الشُّؤون الثّقافيَّة، 1987، ص124 ـ 127.

(2) أُنشئ المكتب العَرَبي باقتراح من مارك سايكس أثناء جولته في الشَّرْق الأوسط، وليس من قبل المس بل، كما يرى البعض. انظر: مُحَمَّد يُوسُف إبراهيم القريش، المصدر السّابق، ص44 ـ 45. وكان هدفه تنسيق السّياسة البريطانيَّة في المنطقة وجَمْع المعلومات. وتمَّت المُصادقة على اقتراح سايكس في اجتماع عُقد في لندن بتاريخ 7كانون الثّاني 1916، وقد وُضعت مجموعة تعليمات عامَّة في شهر شُباط من العام نفسه، أُوكل إلى مكماهون تنفيذها في اليوم السّابع عشر من شهر شُباط، وأُوكلت مهمَّة إدارته إلى كلايتون، كونه رئيساً لمكتب استخبارات القاهرة، ولكنَّ إدارة المكتب ـ من النّاحية الفعليَّة ـ كانت مُوكلة إلى ديفيد هوكارث. وقد ضمَّ المكتب مجموعة من أكفأ السّياسيِّين والعسكريِّين البريطانيِّين؛ أمثال رُونالد ستورس، جُورج لويد، مارك سايكس، كُورنواليس، نيوكومب، باركر، هربرت يُونك، بالإضافة إلى لُورنس. وقد أشغل المكتب ثلاث غُرف في فندق سافوي في القاهرة، مقرّاً له، لمزيد من التّفاصيل؛ انظر:

Briton Cooper Busch, Op. Cit., pp. 102-105;

حميد حمدان التّميمي، البَصْرَة في عهد الاحتلال البريطاني 1914 ـ 1918، رسالة ماجستير مُقدّمة إلى جامعة بغداد، كُلّيّة الآداب، 1978، ص562؛ كارل براون، المصدر السّابق، ص124 ـ 127.

(3) حميد حمدان التّميمي، المصدر السّابق، ص130.

فبعد أنْ عاد لُورنس من العراق؛ أُثيرت في طريقه المصاعب، من قبَل بعض الضبَّاط العاملين معه في مكتب استخبارات القاهرة، بسبب نَقْده المُتكرِّر لأُسْلُوب عَمَلهم، وخُصُوصاً؛ لأساليب رُؤسائه؛ إذْ دأب على تصحيح أخطائهم باستمرار، ممَّا أثار غضبهم وحُنقهم عليه، حتَّى وُصف بأنَّ "وقاحته لا تُطاق"، وقد حاول هؤلاء الضبَّاط القيام بعمل ما ضدَّ لُورنس، وهُو مُحاولة نَقْله إلى جبهات القتال، خُصُوصاً إذا ما علمنا أنَّ القيادة البريطانيَّة دأبت في وقت الحَرْب على إجراء مُناقلة للضبَّاط من جبهات القتال، وبالعكس. حتَّى إنَّ ليدل هارت يعتقد أنَّ هؤلاء الضبَّاط خطَّطوا لاعتقال لُورنس[1].

ويبدو أنَّ هذه لم تكن الأسباب الحقيقيَّة التي دَفَعَتْ هؤلاء الضبَّاط إلى اتِّخاذ موقف مُعاد من لُورنس، بل إنَّ الحُظوة التي كان يتمتَّع بها لُورنس عند القيادة البريطانيَّة، وموقفه المُشجِّع للتّعاون مع العَرَب، وضرورة مُساعدتهم للقيام بثورة ضدَّ العُثمانيِّين تحقيقاً لهدف بريطانيا في السّيطرة على المنطقة، هي الأسباب الحقيقيَّة التي دَفَعَتْ هؤلاء الضبَّاط للعمل ضدَّه، ولكنَّ جُهُودهم تلك تحطَّمت أمام العلاقة المتينة التي كان يتمتَّع بها مع مجموعة من أبرز السّاسة والعسكريِّين في المنطقة، ومنهم على سبيل المثال؛ الجنرال كلبرت كلايتون رئيس مكتب الاستخبارات، وديفيد هوكارث، ورُونالد ستورس (Ronald Storss)[2]؛ إذْ رتَّب له هؤلاء نَقْله من ملاك مكتب الاستخبارات التّابع لوزارة الحَرْبيَّة إلى ملاك المكتب العَرَبي التّابع لوزارة الخارجيَّة؛ حيثُ قُدِّر له أنْ يعمل مع هذه المجموعة التي وَصَفَهَا "بجماعة الرّجال المُتوحِّشين" الذين يعمر قلب كُلٍّ منهم إيمان راسخ بنُبْل الغاية التي يُحاربون من أجلها[3].

أشرفَ المكتب العَرَبي على إصدار نَشْرة سرِّيَّة تُعنى بالشُّؤُون العَرَبيَّة سُمِّيتْ "النَّشْرة العَرَبيَّة"، هدفها الأساسي توجيه عمل المُوظَّفين السّياسيِّين البريطانيِّين في كُلٍّ من الهند ومصر

---

(1) نقلاً عن ريتشاد الدنكتون، ص154.

(2) رُونالد ستورس: (1881 ـ 1950) سياسي بريطاني، عُيِّن مُوظَّفاً بوزارة الماليَّة المصريَّة عام 1909، ثُمَّ سكرتيراً شرقيّاً لدى المندوب السّامي البريطاني في القاهرة، ثُمَّ حاكماً عسكريّاً للقُدس. للتّفاصيل؛ انظر: أحمد عطيّة الله، المصدر السّابق، ص614.

(3) عبد المُنعم مُصطفى، المصدر السّابق، ص28.

والسُّودان والعراق، وجَعْلهم على اطِّلاع بكامل التّفاصيل التي تجري في المنطقة العَرَبيَّة. وأوكلت مهمَّة الإشراف على إعداد هذه النَّشْرة إلى لُورنس؛ حيثُ أشرف على الأعداد الأُولى منها، ثُمَّ أوكلت مهمَّة الإشراف هذه إلى كُورنواليس، بعد مُغادرة لُورنس إلى الجزيرة العَرَبيَّة[1]. وقد أفاد لُورنس من النَّشْرة العَرَبيَّة؛ حيثُ أصبحت له مَنْفَذاً مُهماً للإفصاح عن أفكاره وآرائه السّياسيَّة والعسكريَّة، وإيصالها إلى الدّوائر السّياسيَّة في لندن، فَضْلاً عن بيان أخطاء بعض السّاسة والعسكريِّيْن هُناك.

وأثناء عمل لُورنس في هذا المكتب تهيَّأت له فُرصة، استطاع استغلالها بذكائه أيَّما استغلال، وأقصد بها رحلته مع رُونالد ستورس إلى الجزيرة العَرَبيَّة؛ تلك الرّحلة التي قَذَفَتْهُ في أتُون الثّورة العَرَبيَّة، والتي كانت العاملَ الأَهَمَّ في شُهرته العريضة.

(1) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص27.

الفَصْل الثَّاني:

دور لورنس في المرحلة الأُولى من الثَورة العَرَبيَّة (المعارك الحجازيَّة)

مدخل:

دَخَلَتْ الدّولة العُثمانيَّة الحَرْب إلى جانب ألمانيا في 29 تشرين الأوَّل عام 1914، وأصبحت في حالة حرب مُعلَنَة مع بريطانيا، عندها أرسل اللُّورد كتشنر وزير الحَرْبيَّة البريطاني برقيَّة إلى رُونالد ستورس Ronald Storrs السّكرتير الشَّرْقي لدار الاعتماد البريطاني في القاهرة، جاء فيها رسالة إلى الشّريف الحُسَيْن بن عليّ، فحواها أنَّ بريطانيا ترغب في مُساندة العَرَب مع وُعُود إلى الشّريف حُسَيْن بعدم المَسَاس بمركزه في إمارة مكَّة، وحماية الحجاز من كُلِّ اعتداء خارجي، فَضْلاً عن إعطائه وَعْداً بالاعتراف به خليفة للمُسلمين[1].

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ هذه البرقيَّة لم تكن الاتِّصال الأوَّل الذي جرى بين السُّلطات البريطانيَّة والشّريف حُسَيْن، بل سَبَقَتْهُ اتِّصالات ومُباحثات عدَّة بين الشّريف عبد الله الحُسَيْن ورُونالد ستورس ابتداءاً من شباط 1914، عندما كان الشّريف عبد الله يقوم بزيارات مُتعدِّدة إلى إستانبول مارّاً بالقاهرة. ولم تُبد بريطانيا - خلال تلك المُباحثات - تشجيعاً يُذكَر، بل كانت رُدُود أفعالهم مُثبِّطة للآمال. ومع أنَّ تلك المُباحثات كانت فاشلة من النّاحية العَمَليَّة، إلاَّ أنَّها ساعدت بريطانيا على فَهْم حقيقة الهُوَّة التي تفصل العَرَب عن العُثمانيِّين، وأنَّ

---

(1) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص30.

العَرَب عازمون على إعلان الثّورة، مهما كلّف الأمر[1]. ولكنّ الشّريف حُسَيْن ارتأى أنْ يتريّث في مسألة إعلان الثّورة لاعتبارات عديدة، يأتي في مُقدّمتها شُعُورُهُ بالولاء للدّولة العُثمانيّة، وأَمَلُهُ في مَنْح العَرَب الحُكْم الذّاتي، فَضْلاً عن أنّ تمسُّكه الشّديد بالعقيدة الإسلاميّة جَعَلَتْهُ يتردّد كثيراً في إعلان الثّورة ضدّ خليفة المُسلمين[2] وقد أثبتت الأحداث التّالية أنّ الثّورة لابُدّ منها، بعد أنْ أَمَرَ جمال باشا باعتقال الزُّعماء الوطنيّين في سُورية ولُبنان وفلسطين، وتقديمهم للمحاكمة أمام المجلس العُرفي العسكري، الذي حَكَمَ عليهم بالإعدام، لمُعارضتهم سياسة الاتّحاد، ولتغطية فشله في حَمْلَة السّويس[3].

أدرك الشّريف حُسَيْن - بعد تلك الأحداث - أنّ الاتّحاديّين ينوون تصفية جميع العناصر الوطنيّة في كُلٍّ من سُورية وفلسطين ولُبنان والحجاز، وأنّ دوره آت لا محالة.

لذلك؛ آثر الإسراع للاتّصال ببريطانيا مُجدّداً، لمعرفة مدى استعدادها في مُساندة العَرَب في حالة إعلانهم الثّورة على الدّولة العُثمانيّة. ومن هُنا؛ جاءت مُذكّرته التي رَفَعَهَا إلى السّرهنري مكماهون (McMahon)، المندوب السّامي البريطاني في مصر بتاريخ 14 حُزيران 1915، والتي أعلن فيها رغبة العَرَب بالاستقلال، طالباً من بريطانيا مُساعدتهم على تحقيقه بقُوّة السّلاح. واستمرّت هذه المُراسلات حتّى شهر آذار 1916، وقد عُرفت - فيما بعد - "بمُراسلات حُسَيْن مكماهون"[4].

وعلى الرّغم من ذلك؛ لم يكن الشّريف حُسَيْن ميّالاً للإسراع بإعلان الثّورة، بسبب ضعف قُدراته الماديّة والعسكريّة، تُقابله على الجانب العُثماني قُوّة عسكريّة نظاميّة تمتلك أسلحة حديثة، هذا من جانب، ومن جانب آخر؛ أراد الشّريف حُسَيْن - بتأخير إعلان الثّورة -

---

(1) جُورج أنطونيُوس، يَقَظَةُ العَرَب تاريخ حَرَكَة العَرَب القوميّة، ترجمة ناصر الدّين الأسد وإحسان عباس، بيرُوت، دار العلم للملايين، و1966، ص207.

(2) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص 30 - 31.

(3) أحمد قدري، مُذكّراتي عن الثّورة العَرَبيّة الكُبرى، دمشق، مطابع ابن زيدون، 1956، ص42 - 43.

(4) للمزيد من التّفاصيل عن مُراسلات حُسَيْن مكماهون؛ راجع:

J.C. Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East.
A Documentary Record: 1914-1956, Vol.2, New York, Octagon Books, 1972, p.p. 13-17;
سُليمان مُوسى، الثّورة العَرَبيّة الكُبرى وثائق وأسانيد، عمّان، دار الثّقافة والفُنُون، 1966، ص 20 - 47.

كَسْبَ الوقت اللاّزم للتّزوُّد من حُلفائه بالأسلحة والمعدّات اللاّزمة التي تُمكِّن من القيام بمهمَّة إعلانها على أكمل وجه، وكان مُقرّراً أنْ يكون شهر آب عام 1916، موعداً نهائيّاً للبدء بعمليّات الثّورة، إلاّ أنَّ حَدَثاً آخر أقنع الشّريف حُسَيْن بضرورة التّعجيل في أمر الثّورة، وهُو وُصُول فرقة عُثمانيَّة جديدة إلى سُورية قوامها 3500 جُنْدي بقيادة خيري بك. تحرّكت هذه الفرقة من دمشق إلى المدينة المُنوَّرة في طريقها إلى اليمن. فظنَّ الشّريف حُسَيْن أنَّ هذه الفرقة مُوجَّهة ضدَّه، بهَدَف خَلْعه من منصبه، والقضاء على آمال العَرَب بالثّورة[1].

كان لقُدُوم هذه القُوّات، وما تحمله من أسلحة حديثة، أثره في التّعجيل بأمر الثّورة التي أعلنها الشّريف حُسَيْن في التّاسع من شعبان من عام 1334، المُصادف العاشر من حُزيران عام1916. وهكذا ابتدأت العَمَليّات الحَرْبيَّة؛ إذْ انتصر العَرَب على الحاميات التُّرْكيَّة بمكَّة المُكرَّمة في اليوم الأوَّل من الثّورة، ثُمَّ حُرِّرت مدينة جدَّة في اليوم الثّالث، بعدها؛ حُرِّرت الطّائف من قبَل الشّريف عبد الله[2].

ولكنَّ النّجاح الذي أحرزه العَرَب في كُلٍّ من مكَّة وجدَّة والطّائف، لم يتكرَّر في المدينة المُنوَّرة، التي توجَّهت إليها قُوّات عَرَبيَّة بقيادة الشّريفَيْن فَيْصَل وعليّ، فما إنْ سمع العُثمانيُّون بنبأ تحرُّك العَرَب لاحتلال المدينة المُنوَّرة، حتَّى تحصَّنوا داخل أسوارها، مُطمئنِّين أنَّ العَرَب لن يجرؤوا على مُهاجمتها وفيها قبر الرّسول مُحَمَّد صلى الله عليه وسلَّم، خوفاً من أنْ تُصيبه إحدى القذائف. فما كان من فَيْصَل إلاّ أنْ وزَّع رجاله، وسيطر على طريق الحجّ المُؤدِّية إلى المدينة المُنوَّرة، لقَطْع الإمدادات أمام القُوّات العُثمانيَّة. أمَّا العُثمانيُّون؛ فقاموا بطَرْد السُّكّان العَرَب من المدينة المُنوَّرة، وأصلحوا خطَّ سكَّة الحديد الذي يربط دمشق بالمدينة المُنوَّرة لنقل الإمدادات الضّروريَّة، فَضْلاً عن قيامهم بتحصين المدينة بشكل جدّي، خوفاً من تعرُّضها لهُجُوم قد يشنُّه العَرَب[3].

---

(1) جُورج أنطُونيُوس، المصدر السّابق، ص289.

(2) عبد الله بن الحُسَيْن، مُذكّرات الملك عبد الله بن الحُسَيْن، بيرُوت، 1965، ص108 ـ 118؛
T.E Lawrence, Oriental Assembly, London, William's and Norgats, 1947, p.p. 103-104.

(3) أنتوني ناتنغ ولويل تُوماس، المصدر السّابق، ص47 ـ 48.

كانت المدينة المُنوَّرة ـ بالنّسبة للعُثمانيِّين ـ هي مركز ثقلهم في الجزيرة العَرَبيَّة ، لذا ؛ فإنَّ فُقدانها يعني فُقدان وُجُودهم نهائيّاً في الحجاز ، يُساندهم في هذا الرّأي حُلفاؤهم الألمان الذين شنّوا حَمْلَة دعائيَّة واسعة في الصُّحُف المُوالية لهم ، للتّقليل من شأن العمل الذي قام به الشّريف حُسَيْن . ومن أجل مُواجهة الحَمْلَة الإعلاميَّة الألمانيَّة قرَّرت بريطانيا بشخص رُونالد ستورس إصدار طابَع بريدي يُمثِّل الحجاز ، إعلاناً منها ـ أيْ بريطانيا ـ أنَّ دولة جديدة قد أُنشئت في الجزيرة العَرَبيَّة ، وأنَّها حليفتها . في هذه الفترة ؛ كان لُورنس يُتابع أخبار الثّورة العَرَبيَّة من مقرِّه في المكتب العَرَبي في القاهرة ؛ حيثُ كُلِّف بأوَّل مهمَّة تتعلَّق بها ، وهي إيجاد تصميم مُناسب لذلك الطّابَع البريدي ، فتجوَّل لُورنس وستورس في المُتحف الإسلامي في القاهرة ، وتوصَّل لُورنس إلى تصميم الطّابَع البريدي الذي كان عبارة عن كلمة "مكَّة المُكرَّمة" مُحاطة بإطار من الزُّخرف الإسلامي ، وقد أثار هذا العملُ إعجابَ الملك جُورج الخامس (George 5.)[1] ملك المملكة المُتَّحدة ، فأصدر أوامره بجَلْب عدَّة طوابع ، ليضمَّها إلى مجموعته الشّخصيَّة[2] .

ومع استمرار حصار المدينة المُنوَّرة ؛ شَعَرَ العَرَبُ بعدم مقدرتهم على مُواصلة القتال ؛ حيثُ نَفَدَتْ ذخيرتهم وأموالهم التي كانوا يملكونها ، فَضْلاً عن أسلحتهم ؛ إذْ كانت قديمة ، مُقارنة بالأسلحة الحديثة التي تمتلكها القُوَّات العُثمانيَّة ، ممَّا دعا الشّريف حُسَيْن إلى طَلَب المُساعدة من حُلفائه الإنكليز ، استناداً إلى ما اتُّفق عليه بموجب مُراسلاته مع مكماهون ، والوُعُود التي قَطَعَتْهَا بريطانيا له لمُساعدته في حالة نُشُوب الثّورة . لقد أسفر التّعاون والتّنسيق بين كُلٍّ من بريطانيا وفرنسا من جهة ، والشّريف حُسَيْن من جهة أُخرى على إرسال عدَّة بعثات عسكريَّة مع بعض القُوَّات الرّمزيَّة ، فَضْلاً عن تعيين بعض الضُّبَّاط بمهمَّات أدامت الصّلة والتّرابط بين قُوَّات الثّورة العَرَبيَّة وقُوَّات الحُلفاء ، وكان من بين هؤلاء الضُّبَّاط الجنرال

---

(1) جُورج الخامس ، (1865 ـ 1936) ملك المملكة المُتَّحدة البريطانيَّة العُظمى وأيرلندا ، حَكَمَ بين سنة 1910 وحتَّى وفاته عام 1936 ، في فترة مُضطربة من التّاريخ البريطاني . للتّفاصيل ؛ انظر :
The Encyclopaedia Americana, Vol. 12, New York, 1976, p. 512.

(2) دزموند ستيورات ، لُورنس الأُسطورة والواقع ، العدد 2562 ، 18 تمُّوز 1977 ، ص36 .

ريجنالد ونكت Reginald Wingate [1] الذي كان يشغل منصب حاكم السُّودان العامّ؛ إذْ كُلِّف بإدامة التّعاون، وفَتْح جسر لمُساعدة العَرَب، وما يحتاجون إليه من أسلحة ومعدّات عن طريق ميناء بُور سُودان، كما تمّ نَقْل الكُولُونيل ولسن (C.E.Wilson) من منصب حاكم مُقاطعة البحر الأحمر إلى منصب قُنْصُل بريطانيا لدى الشّريف حُسَيْن في جدّة[2].

لم يقتصر دَعْم الثّورة على بريطانيا وحدها، بل امتدّ إلى فرنسا؛ حيثُ أرسلت قُوّة رمزيّة مُكوّنة من بطاريّة مدفعيّة خفيفة وبعض الجُنُود المغاربة بقيادة اللّفتنانت كُولُونيل (المُقدّم) بريمونـد (Bremond)[3]. ومثّل إرسال هذه البعثة بداية لتدخُّل فرنسا في الحجاز، ودليلاً على المُنافسة المحمومة بينها وبين بريطانيا، التي انتهت - كما سنرى - باحتلال فرنسا لسُورية.

ومن الجدير بالذّكْر أنّ تلك المُساعدات التي قدّمتها بريطانيا لقُوّات الثّورة العَرَبيّة في بداية الثّورة تكاد لا تُذكَر[4]، مُقارنة بضخامة العمل الذي أُلقي على عاتق القُوّات العَرَبيّة؛ إذْ إنّ الكثير من الأسلحة التي قدّمها البريطانيُّون لقُوّات الثّورة أُخرجت من الخدمة، بل إنّهم لم يُبادروا إلى إرسال الخبراء.. أخّروا ذلك لعدّة أشهر. وفي هذا الصّدد يقول لُورنس: "... إنّ قُوّات العَرَب العاملة في الميدان لم تُزوّد بوسائل الارتباط اللاّزمة، ولم تُعط أيّة معلومات عسكريّة للإشراف، ولم تُقدّم لهم أيّة مشورة تكتيكيّة واستراتيجيّة"[5].

---

(1) ريجنالد ونكت (1861 - 1953) ضابط وإداري بريطاني خَدَمَ في الهند وعَدَن 1881 - 1883. شارك في العمليّات العسكريّة على الحُدُود السُّودانيّة 1889 - 1891، وفي كانون الأوّل 1916، أصبح مندوباً ساميّاً في مصر خَلَفاً للسّرهنري مكماهون. انظر:

Ronaid Wingate, Wingate of the Sudan, London, Jhen Murray, 1955.

(2) Ibid., P.188.

(3) Maurice Lares, T.E Lawrence La France Et Les Francais, Tome 1, Paris, 1978, P. 389.

(4) يذكر نُوري السّعيد في مُذكّراته أنواع وكميّات الأسلحة التي أُرسلت إلى قُوّات الثّورة العَرَبيّة، ويُحدّدها بـ: بطاريّة مُكوّنة من أربع مدافع قوس عيار 5و4، عقدة بطاريّة صحراء عيار 18 رطل، بطاريّة جبليّة عيار 75، 2 رطل، ثمانية رشّاشات فيكرس، و200 صُنْدوق رُمّانات يدويّة، و100 صُنْدُوق من الدّيناميت، إضافة إلى كميّات من البنادق.
راجع: نُوري السّعيد، مُذكّرات نُوري السّعيد عن الحركات العسكريّة للجيش العَرَبي الحجاز وسُورية 1916 - 1918، بيرُوت، الدّار العَرَبيّة للموسُوعات، 1987، ص28.

(5) مُقتبس من: سُليمان مُوسى، الإنجليز والثّورة العَرَبيّة، "مجلّة دراسات عَرَبيّة"، بيرُوت، السّنة الثّانية، العدد 8، حُزيران 1966، ص42.

ويبدو أنَّ سبب إحجام بريطانيا عن تقديم مُساعدة حقيقيَّة لقُـوَّات الثّورة العَرَبيَّـة، هُـو أنَّها خشيت مـن أنْ تستخدم تلـك الأسلحة الحديثة ضدَّهـا، بعـد أنْ تستقرَّ الأُمُـور لصـالح العَرَب، فَضْـلاً عـن أنَّـها أرادت أنْ يكـون الفَضْـل لتحقيـق الانتصـار علـى القُـوَّات العُثمانيَّـة وإخراجهم من البلاد العَرَبيَّة للقُـوَّات البريطانيَّـة. وهـذا ممَّـا يُساعدها ـ بالتّالي ـ علـى فـرض شُرُوطها على العَرَب، وهـي مُتـأكِّدة أنَّ العَـرَب لا يُمكنـهم مُعارضتـها، لكونـها قـد حـرَّرت بلادهـم. ويُمكـن أنْ نُضيـف سـبباً آخـر؛ وهُـو أنَّ المُنافسـة الخفيَّـة والحـذرة مـع فرنسـا تجعـل بريطانيا تحسب لأيِّ تصرُّف تُقدم عليه في الحجاز ألف حساب، خوفاً من إثارة حفيظتها.

ـ اتّصالات لُورنس المُبكِّرة برجال الثّورة العَرَبيَّة:

في نطـاق اهتمامـها بـالثّورة العَرَبيَّـة أرسـلت بريطانيـا رُونـالد سـتورس، في زيـارة لجـدَّة مُنتصـف شـهر تشـرين الأوَّل عـام 1916، لغـرض التَّعـرُّف علـى أوضـاع الثّـورة العَرَبيَّـة عـن كَثَب، ومعرفة ما يُمكن أنْ تُقدِّمه بريطانيا من مُسـاعدات، بعدمـا أدركـت بريطانيـا أنَّ قُـوَّات الثّورة العَرَبيَّة في وضع حرج، ولا تستطيع مُواصلة القتال. أمَّا لُورنس؛ فقد قدَّم طَلَبَاً للقيادة في القاهرة بمَنْحه إجازة لمُدَّة عشـرة أيَّـام يقضيـها في الحجـاز، وَطَلَـبَ مـن رُونـالد سـتورس أنْ يصحبه في رحلته التي فَتَحَتْ له آفاقاً واسعة للعمل في جيش الثّورة العَرَبيَّة؛ حيثُ استطاع أنْ يستغلَّها ـ أيْ الزّيارة ـ الاستغلال الأمثل، وأنْ يُوظِّفها لخدمة أغراضه ومُخطَّطاته[1].

ويبدو أنَّ لُورنس لم تكن تهمُّـه الإجازة بقـدر مـا كـانت ذريعـة لمُرافقـة سـتورس لمعرفـة إمكانيَّات الثّورة العَرَبيَّة ومعرفة قادتها، والتَّعرُّف علـى آخـر العمليَّـات التـي قـامت بـها تلـك القُوَّات، خُصُوصاً إذا ما علمنا أنَّه كان أكثر الرّجال العاملين في المكتب العَرَبي حماسة للثّـورة العَرَبيَّة، وكان يردُّ على آراء رُؤساء المُعارضة للثّورة بشدَّة لاذعة؛ حيثُ كان يعتقـد أنَّ الثّـورة إذا فشلت، فإنَّ سبب فشلها لن يكون ـ مُطلقـاً ـ تقصـيراً مـن جـانب العَـرَب، بـل إهمـال مـن جانب بريطانيا في تقديم المُساعدة والمشورة العسكريَّة والفنِّيَّة[2]. غادر لُورنس بصُحبة رُونـالد

---

(1) سُليمان مُوسى الحُسَيْن بن عليّ والثّورة العَرَبيَّة الكُبرى، عمَّان، دار النّشر والتّوزيع، 1957، ص112؛
Robert Graves, Op. cit., P. 91; Jhon Bagot Glubb, Britain and the Arabs, Astudy of firty years, 1908 to 1958, London, Hoider and Stoughton, 1959, P. 80.

(2) أنتوني ناتنغ ولويل تُوماس، المصدر السّابق، ص50 ـ 51.

ستورس الذي وَصَفَه: "لُورنس الصّغير رفيقه ذُو القوى العقليَّة الرّاجحة"[1]. على ظهر الباخرة لاما (Lama). وكان على ظهر الباخرة عزيز عليّ المصري الذي كان ذاهباً للالتحاق بقُوَّات الثّورة العَرَبيَّة؛ حيثُ تعرَّف على لُورنس. وقد وَصَلَتْ الباخرة إلى جدَّة، وكان في استقبال كُلٌّ من لُورنس وستورس الكابتن ولسن القُنْصُلُ البريطانيُّ في جدَّة الذي اصطحبهم إلى القُنْصُليَّة البريطانيَّة، وبعد أنْ تمتَّعوا بقسط من الرّاحة، أجرى لهم التّرتيبات اللاّزمة للقاء الشّريف عبد الله بن الحُسَيْن[2].

وَصَلَ الشّريف عبد الله إلى جدَّة، واجتمع بكُلٌّ من لُورنس وستورس، وقد حضر هذا الاجتماع كُلٌّ من الكُولُونيل ولسن القُنْصُل البريطاني في جدَّة، وعزيز عليّ المصري، الذي التحق بقُوَّات الثّورة كما أشرنا، وفي هذا الاجتماع عُرضت برقيَّة وَرَدَتْ من القيادة البريطانيَّة، وقام بقراءتها رُونالد ستورس، فحواها، أنَّ الحُكُومة البريطانيَّة ارتأت - بعدما رأت أنَّ الثّورة سبَّبت لها بعض المتاعب في الهند - أنْ تسحب البعثات العسكريَّة التّابعة لها ولفرنسا، ولكنَّها ستستمرُّ بتزويد الثّورة بالأسلحة والعتاد والأموال، فَسَبَّبَ هذا النّبأ إزعاجاً كبيراً للشّريف عبد الله؛ إذْ كانت القُوَّات العَرَبيَّة بحاجة ماسَّة إلى الفنّيّين لعدم إجادتها استخدام الأسلحة الحديثة، فما كان من الشّريف عبد الله إلاَّ التّلويح بورقة المُصالحة مع العُثمانيّين، لغرض إجبار بريطانيا على الإذعان لمطالب العَرَب العسكريَّة، ولكنَّه لم يكن جاداً في أمر الصُّلح معهم، وبعد وُصُوله إلى المُعسكر الذي يُقيم فيه، طَلَبَ منه كُلٌّ من لُورنس وستورس مُقابلته مُجدَّداً، وأخبراه بأنَّهما طَلَبَا من حُكُومتهما العُدُول عن موقفها. فَرَفَضَ الشّريف عبد الله رَفْضَاً قاطعاً. وقال لهم: "لا أحيد عن رأيي قَيْد شعرة"، ولكنَّه أمهلهم اثنتَيْ عشرة ساعة، لغرض المُوافقة[3].

كان موقف لُورنس في هذه المُقابلة موقف المُترقِّب، الذي أدرك أنَّ الثّورة لا تنقصها الأسلحة أو الأعتدة بقدر ما هي بحاجة إلى شُعلة من القيادة تُؤجِّج أوارها، وتسير بها على

---

(1) Ronald Storrs, Orientaition, London, Readers Union Ltd., 1939, P. 17.

(2) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، بيرُوت، المكتبة الأهليَّة، 1971، ص25 - 26.

(3) عبد الله بن الحُسَيْن، المُذكّرات، ص123.

درب النّجاح. وقال بهذا الصّدد: "... كانت شُكُوكي تنحصر في أنَّ الثّورة لا ينقصها إلاَّ الزّعامة القويَّة، ولا تنقصها المواهب أو الحنكَة السّياسيَّة، وبكلمة مُوجزة: كانت الثّورة بحاجة إلى الحماس أو الشُّعلة الوهَّاجة التي تحرق الصّحراء، وتُحوِّلها إلى نار مُتأجِّجة"[1].

لم يجد لُورنس في شخص الشّريف عبد الله تلك الشُّعلة اللاَّهبة التي تقود الثّورة؛ إذْ كان مُتأكِّداً أنَّه لا يصلح ليكون زعيماً للثّورة، وذلك لبُرُودته المُفرطة ومزاحه الكثير ومنطقه القوي الذي ينفعه في وقت السِّلم[2].

بعدها تحوَّل مجرى الحديث إلى الوَضْع العسكري للثّورة العَرَبيَّة، الذي أصبح لُورنس طَرَفاً فيه بعدما كان يُؤدِّي دور المُراقب؛ إذْ شَرَحَ لهم الشّريف عبد الله الأسباب التي دَعَتْ إلى عدم احتلال المدينة المُنوَّرة، وأنحى باللاَّئمة على البريطانيِّين، لعدم اهتمامهم بمسألة قَطْع خُطُوط السّكك الحديديَّة، وأخبرهم أنَّ قبيلة حرب - وهي من أكبر قبائل الحجاز - قد انضمَّت إلى جانب العُثمانيِّين، يقيناً منهم أنَّ الثّورة ستعود عليهم بالدّمار، بعدما أدركوا تباطؤ البريطانيِّين في مُساعدة الثّورة، ثُمَّ اقترح الشّريف عبد الله إيفاد فرقة عسكريَّة من المُسلمين إلى رابغ للمُساعدة في دَحْر القُوَّات العُثمانيَّة في حالة هُجُوم القُوَّات العَرَبيَّة على المدينة المُنوَّرة، تلك النُّقطة التي كانت مثار خلاف بين لُورنس والشّريف عبد الله. فكان رأي لُورنس أنَّ الجيش البريطاني لا يحوي جُنُوداً من المُسلمين، كما أنَّ مسألة النّقل البحري تُعَدُّ مسألة في غاية الأهمِّيَّة، ذلك أنَّ بريطانيا لا تستطيع إبقاء سُفُن الحُمُولة فارغة إلى أجل غير مُسمَّى[3].

ويبدو أنَّ لُورنس قد نَسَبَ آراء عزيز عليّ المصري لنفسه في هذه النُّقطة بالذّات؛ إذْ كان مُعارضاً لفكْرة نُزُول قُوَّات إسلاميَّة، فقد كانت فكْرته تقسيم جيش الثّورة العَرَبيَّة إلى قسمَيْن: القسم الأوَّل يقوم بالقتال بصُورة مُنتظمة كباقي الجُيُوش، ويتألَّف من المصريِّين والعراقيِّين المُسلمين الذين وَقَعوا أَسْرَى، والقسم الثّاني عبارة عن جحفل سيَّار مُزوَّد بأسلحة خفيفة، تكون مهمَّته التَّحرُّك وراء خُطُوط العُثمانيِّين لإثارة الرُّعب والارتباك، وقَطْع

---

(1) مُقتبس من: لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص27.

(2) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص47.

(3) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص29؛ أنتوني ناتنغ ولويل تُوماس، المصدر السّابق، ص52 - 53.

خُطُوط الإمداد العُثمانيَّة[1] باتِّباع أُسْلُوب حرب العصابات، ويستطيع أفراد هذا الجيش غير النّظامي اللُّجُوء إلى قواعد في الصّحراء، بعد توجيه ضرباتهم، يختفون فيها؛ حيثُ يتمُّ تموينهم وتدعيم قُوَّاتهم[2].

إنَّ المبادئ التي تبنَّاها لُورنس فيما بعد، وهي القيام بحرب العصابات، هي التي جَعَلَتْ بعض الكُتَّاب الغربيِّين ينسبون إليه الفَضْل في استخدام هذا التّكتيك في معارك الثّورة العَرَبيَّة، ذلك التّكتيك الذي أشار إليه عزيز عليّ المصري مُنذُ بداية وُصُوله إلى الحجاز[3]. ولكنْ؛ لا يُنكَر أنَّ لُورنس قد اشترك في بعض العمليَّات التي كانت تقوم بها القُوَّات العَرَبيَّة. وقام بتنظيم تلك الحَرْب بعد أنْ غادر عزيز عليّ المصري إلى القاهرة، وُفق المبادئ التي أشار إليها، وفي ذلك يقول: "إنَّ حرب العصابات فكْرة، ونُفُوذ، ووحدة لا تنقسم، ولا تُوجد لها مُؤخِّرة ولا مُقدِّمة، وإنَّما تنشر قُوَّتها في كُلِّ مكان كأنَّها الغاز"[4] يُعطينا اشتراك لُورنس في تلك المُحادثات التي كُلِّف ستورس بإجرائها مع الشّريف عبد الله دليلاً على أنَّ مجيئه إلى الحجاز لم يكن ترويحاً عن النَّفْس، بل كان مُكلَّفاً بمهمَّة البَحْث عن قائد لثورة العَرَب، والاتِّفاق معه على أهمِّ القضايا التي من شأنها دَفْع عجلة الثّورة إلى أمام، وتحقيق النّصر على الدّولة العُثمانيَّة، وإلاَّ كيف يطلب منه ستورس مُقابلة فَيْصَل في مُعسكره، وتكوين فكْرة عن الأوضاع في تلك الأماكن، وهُو لم يُكلَّف بصُورة رسميَّة بذلك؟! وكيف تُقدم القيادة البريطانيَّة على قبول تقاريره، ما لم يكن مُكلَّفاً فعلاً بتقديمها؟!

وعلى أيَّة حال؛ فقد أخبر ستورس الشّريف عبد الله "أنَّه من الضّروري تكوين فكْرة شاملة عن الأوضاع في رابغ، ولابُدَّ من سَفَر لُورنس إلى هُناك لتحقيق ذلك"[5].

---

(1) نُوري السّعيد، المصدر السّابق، ص36.

(2) دزموند ستيورات، لُورنس الأُسطُورة والواقع، العدد 2562، 18 تمُّوز 1977، ص38.

(3) Jhon Baylis, Ken Both, John Carnett, Phil Willians contemparary strategy theories and policies, London, 1975, P. 75;

وللاطِّلاع على أفكار لُورنس عن حرب العصابات؛ راجع:

T. E. Lawrence, Oriental Assembly, P. P. 132. 134.

(4) مُقتبس من: "جريدة الأهالي"، العدد 550، 14 تشرين الأوَّل 1960.

(5) مُقتبس من: لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص29.

وادَّعى لُورنس أنَّ القائد العامَّ كان مُهتماً بإيفاده إلى هـذه المهمَّة[1]. ولـو صحَّ ادِّعـاؤه هذا، فإنَّه يُعطينا دليلاً آخر على أنَّ مهمَّته كانت مُوجَّهة من قبَـل المكتب العَرَبي، ولـم تكـن بناءً على رغبته لزيارة الحجاز في إجازة استراحة واستجمام كمـا يدَّعي، ولـم يكـن الشّريف عبد الله مُخوَّلاً للبتِّ في أمر خطير كزيارة ضابط بريطـاني إلـى مُعسـكر الشّـريف فَيْصَـل، بـل كانت تلك الأُمُور من اختصاص الشّريف حُسَيْن، وله وحده الحقُّ في البَتِّ. فما كان منـه إلاَّ الاتِّصال بوالده في مكَّة، لاستحصال مُوافقته على سَفَر لُورنس إلى مُعسكر الشّريف فَيْصَل، وبعد تدخُّل رونالد ستورس، وافق الشّريف حُسَيْن على إيفاد لُورنـس إلـى مُعسـكر فَيْصَـل، ولكنْ؛ على مَضَض، لكونه شخصيَّة حذرة مُشـكِّكة، فَكَتَبَ الشّـريف عبـد الله رسـالة إلـى أخيه الشّريف عليّ يطلب من تأمين سَفَر لُورنس إلى مُعسكر الشّريف فَيْصَل[2].

وبعد هذا الاجتماع، وبعد مُضيِّ ثمانية أيَّام علـى وُجُوده في جدَّة، أبـرق لُورنـس إلـى رئيسه كلبرت كلايتون (Gilbert Clayton) يُخبره بنتائج مُباحثاته مع الشّريف عبد الله، وممَّا جاء في هذه البرقيَّة المُؤرَّخة في 17 تشرين الأوَّل 1916:

"حَضَرَ اجتماعَ اليوم: ولسن ستورس، الشّريف عبد الله، عزيز المصري، وأنا، لا أحد يعرف حقيقة الموقف في رابغ، عزيز المصري سيذهب معي غداً إلـى رابـغ. يبـدو أنَّ الشّـريف عبد الله يرغب في أنْ تكون القُوَّة الأجنبيَّة في رابغ نُقطة ارتكاز، إذا لم ينجح الهُجُوم المُشـترك على المدينة... عزيز المصري يـرى أنْ قُـدُوم اللّـواء الإنكليـزي ليـس ضروريـاً ولا حكيمـاً، وهُو يقول إنَّ الطّريقة الوحيدة لاستمرار العَمَليَّات العسكريَّة... هُـو وُجُـود ضُبَّـاط أركـان إنكليز في رابغ يتعاملون مُباشرة مع الشّريف عليّ والشّريف فَيْصَل، دُون الرُّجُـوع بالتّفـاصيل إلى شريف مكَّة الذي يخافونه جميعهم..."[3].

غادر كُلٌّ من لُورنس ورفاقه جدَّة، مُتوجِّهين إلى ميناء رابغ لمُقابلة الشّـريف علـيّ الـذي كان باستقبالهم، أمَّا رُونالد ستورس؛ فقد تَرَكَ لُورنس وحده في ميدان الثّورة، وقفل راجعـاً

---

(1) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص47.

(2) المصدر نفسه، ص48.

(3) مُقتبس من: سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص48 ـ 49.

إلى القاهرة[1]. وفي هذا اللّقاء عبَّر لُورنس عن إعجابه بالشّريف عليّ؛ حيثُ وَجَدَه شاباً طيِّب القلب، صريحاً، واسع الثّقافة، عصبيّ المزاج، ولكنَّه وَجَدَهُ مُتعباً إلى حَدٍّ كبير[2]. أمَّا الشّريف علي؛ فقد كان حذراً من وُجُوده، إذْ لم يكن يرغب بمجيئه، ولكنْ؛ نُزُولاً عند رغبة والده قام باستقباله. كما تعرَّف لُورنس أثناء زيارته للشّريف عليّ على الشّريف زيد الذي أبدى رأيه فيه بقوله: "كان زيد خُجُولاً، هادئاً، مُتردِّداً. . . . وقد لاحظتُ على الفور أنَّه غير مُتحمِّس للثّورة. وقد علمتُ - بعد ذلك - أنَّ والدته كانت تُركيَّة"[3] ويبدو أنَّ هذا الرّأي يُجانب الحقيقة كثيراً، نَظَراً لما أبداه الشّريف زيد من شجاعة كبيرة؛ إذْ كان قائداً لأحد الجُيُوش، وقدَّم خدمات كبيرة للثّورة العَرَبيَّة، حتَّى إنَّ لُورنس يعترف في مواضع مُختلفة من أعمدة الحكْمَة السّبعة بهذا الفَضْل، فهُو يقول إنَّ الشّريف زيد كان يتولَّى قيادة نصف الجيش إلى الشّمال من وهيدة، وكان يُؤدِّي واجباته بهمَّة عظيمة[4]. وتعرَّف لُورنس أثناء وُجُوده في رابغ على نُوري السّعيد الذي كان الشّخصيَّة الثّانية بعد عزيز عليّ المصري[5].

تعامل الشّريفان عليّ وزيد تعاملاً حذراً مع لُورنس، وكانا مُتحفِّظَيْن مُتردِّدَيْن في السّماح له بالذّهاب إلى مُعسكر الشّريف فَيْصَل، وقد راقبه الشّريف عليّ، وَمَنَعَهُ من الاختلاط بقُوَّاته، لكي لا يتعرَّف أحد على شخصيَّته؛ إذْ كان يخشى عليه من عبيده، كما عيَّن الشّريف عليّ أحد رجاله، ليكون مُرافقاً ودليلاً له في الصّحراء[6].

وفي 21 تشرين أوَّل 1916، وبعد مسيرة شاقَّة وَصَلَ لُورنس ومُرافقه إلى مُعسكر الشّريف فَيْصَل في قرية تُدعى "حمرا" في وادي الصّفراء.

---

(1) Rondall Baker, King Hussain and the Kingdom of Hejez, cambridge, Oleander Press, 1979, P. 125.

(2) Elie Kedourie, England and the Middle East, London, Bowes, 1956, P. 101;

أنتوني ناتنغ ولويل تُوماس، المصدر السّابق، ص57.

(3) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص33.

(4) نقلاً عن سُليمان مُوسى، الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى الحَرْب في الأُردُن 1017 - 1918، مُذكّرات الأمير زيد، عمَّان، ص32.

(5) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص32.

(6) صُبحي العُمري، المصدر السّابق، ص33، أنتوني ناتنغ ولويل تُوماس، المصدر السّابق، ص57 - 58.

وَصَفَ لُورنس ـ في كتابه أعمدة الحكْمَة السّبعة ـ كيفيَّة استقباله من قبَل الشّريف فَيْصَل بقوله: "... وتوقَّفنا أمام باب أحد المنازل الذي يحرس بابه عبدٌ يحمل سيفاً مُذهَّباً... فَفَتَحَ لنا البابَ، وَتَقَدَّمَنَا داخل قاعة كبيرة، وتبعناهُ، فرأينا رجلاً طويلاً أبيض يقف قُرب باب أسود ينتظر وُصُولي بفارغ الصّبر، وما إنْ وقع نَظَري عليه حتَّى تأكَّد لي أنَّ هذا الرّجل هُو الشّخص الذي جئتُ إلى بلاد العَرَب لأبحث عنه، وأيقنتُ ـ ما إنْ رأيتُهُ ـ أنَّه هُو الزّعيم الذي سيقود الثُّوَّار والثّورة العَرَبيَّة إلى أهدافها"[1].

جاء ترشيح لُورنس للشّريف فَيْصَل لقيادة العَرَب مُتأخِّراً بعض الشّيء؛ إذْ أنَّ الوَطَنيِّين في الأستانة ودمشق وبيرُوت قد سبقوه في اختيار الشّريف فَيْصَل زعيماً للثّورة العَرَبيَّة، بعدما رأوا فيه إمكانيَّات للتّعاون معه لم يجدوها في غيره من أُمراء العَرَب آنذاك، خُصُوصاً بعد أنْ فشلوا في تأليب ابن سُعُود ضدَّ العُثمانيِّين[2].

وبعد عبارات المُجاملة التّقليديَّة، تساءل الشّريف فَيْصَل عمَّا إذا كان المكان قد أعجبه، فأجابه لُورنس أنَّه جميل، ولكنَّه بعيد عن دمشق[3]. وكان لإجابة لُورنس وقع سيِّئ في نُفُوس الحاضرين، فما كان من فَيْصَل إلاَّ مُعالجة الموقف بقوله: "الحمد لله، فإنَّه يُوجد أتراك أقرب إلينا من دمشق"[4].

لم يُطلق لُورنس كلامه هذا جُزافاً، بل أراد توجيه أنظار العَرَب في عَمَليَّاتهم العسكريَّة إلى الشّمال نحو دمشق بدلاً من الدّاخل، وتَرَكَ مُحاصرة المدينة المُنوَّرة، لقد كانت دمشق ـ بالنّسبة إليه ـ تُمثِّل نُقطة ارتكاز وقاعدة صلبة للتّغلغل الاستعماري البريطاني، وكان يُدرك ـ مُنذُ البداية ـ أطماع فرنسا فيها، فأراد أنْ يسدَّ الطّريق أمامها باحتلال دمشق؛ حيثُ عبَّر عن

---

(1) مُقتبس من: لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص42:

Ernest Main, IRAQ From Mandate to Independence, Vol. 2, London, George Allenard Ltd., 1935, P. 56.

(2) أنيس صايغ، في مفهوم الزّعامة السّياسيَّة من فَيْصَل الأوَّل إلى جمال عبد النّاصر، بيرُوت، المكتبة العصريَّة، 1965، ص41 ـ 42.

(3) Lowell Thomas, Op. cit., P. 55.

(4) مُقتبس من: علاء جاسم مُحَمَّد، الملك فَيْصَل الأوَّل ودوره السّياسي في الثّورة العَرَبيَّة وسُورية العراق 1883 ـ 1933، بغداد، 1990، ص32.

ذلك بقوله : "إنْ شئنا ضمان السّلام في جنوبي سُورية والسّيطرة على جنوبي بلاد ما بين النّهرَيْن وجميع المُدُن المُقدّسة ، فيجب أنْ نحكم دمشق مُباشرة ، أو عن طريق حُكُومة صديقة غير إسلاميَّة"[1] .

إذنْ ؛ فقد كانت دمشق - بالنّسبة للُورنس - مفتاحاً للشَّرْق العَرَبي ، وكان يُريد "وَضْعَ القوى كُلِّها في جانب ، ورَبطَ سُورية بالحجاز" على حَدِّ تعبير الكاتب فرنان وميليه"[2] .

مثّلت زيارة لُورنس لمُعسكر الشّريف فَيْصَل بادرة أمل جديدة لجيش الثّورة العَرَبيَّة ، بعد أنْ مرَّت الثّورة بفترات حرجة للغاية ؛ إذْ كانت قُوّاته بحاجة ماسَّة إلى مُساعدة بريطانيا لتُزوِّدها بالسّلاح والعتاد والأموال ، وكان لُورنس - بالنّسبة للشّريف فَيْصَل - يُمثِّل جسراً يستطيع من خلاله نَقْل رغباته وطَلَبَاته إلى القيادة البريطانيَّة . أمَّا لُورنس ؛ فقد أدرك هذه الحقيقة الماثلة أمام عينَيْه ، فأراد أنْ يستغلَّ هذا التَّوجُّه عند الشّريف فَيْصَل ، لخداع العَرَب وفَسْخ التّكتُّل الإسلامي لتحقيق السّيطرة البريطانيَّة على الشَّرْق الأوسط . وفي ذلك يقول : "أهدافنا الرّئيسة : تفتيت الوحدة الإسلاميَّة ، ودَحْر الإمبراطوريَّة العُثمانيَّة ، وتدميرها"[3] .

اجتمع لُورنس بالشّريف فَيْصَل للمرَّة الثّانية ، وكان حاضراً في هذا الاجتماع الضّابط العراقي مولود مُخلص[4] ، الذي وَصَفَهُ بقوله : " . . . . عَرَبي مُتطرِّف من العراق . . وكان

---

(1) مُقتبس من : زُهدي الفاتح ، لُورنس على خُطى هرتزل ، ص13 . فيليب نايتلي ، وكُولن سمبسون ، المصدر السّابق ، 68 .

(2) فرنان ويليه ، الأُسُس التّاريخيَّة لمُشكلات الشَّرْق الأوسط ، ترجمة نجدة ماهر وطارق شهاب ، بيرُوت ، المكتب التّجاري للطّباعة والتّوزيع ، 1960 ، ص64 .

(3) مُقتبس : خيريَّة قاسميَّة ، عوني عبد الهادي أوراق خاصَّة ، بيرُوت ، مركز أبحاث مُنظَّمة التّحرير الفلسطينيَّة ، 1974 ، ص26 .

(4) مولود مُخلص : ضابط عراقي ، وُلد في الموصل عام 1885م ، تخرَّج في المدرسة العَرَبيَّة في إستانبول ، وعُيِّن ضابطاً في الجيش العُثماني السّادس في العراق . اشترك في العديد من المعارك إبَّان الحَرْب العالميَّة الأُولى ، وانضمّ إلى الجَمْعيَّات السِّرِّيَّة العَرَبيَّة ، ثُمَّ التحق بقُوّات الثّورة العَرَبيَّة ، وشارك مُشاركة فعَّالة في قيادتها ، تسلَّم العديد من المناصب في الحُكُومة العراقيَّة . تُوفّي في 4 آب 1951 ، للتّفاصيل ؛ راجع : مُحَمَّد حُسَيْن الزُّبيدي ، مولود مُخلص باشا ودوره في الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى وتاريخ العراق المُعاصر ، بغداد ، دار الحُرِّيَّة للطّباعة ، 1989 .

أوّل ضابط نظامي يلتحق بجيش فَيْصَل"[1]. وفي هذا الاجتماع أخبر لُورنس فَيْصَلاً وحاشيته بحقيقة مهمّته، والتي لخّصها بمعرفة التّقدُّم الذي أحرزته الثّورة العَرَبيَّة، ومعرفة الخُطط المُستقبليَّة التي ينوي الشّريف فَيْصَل القيام بها، ومعرفة ما تحتاج إليه قُوّات الثّورة من مُساعدة، لكي يتضمّنها تقريره الذي سيرفعه عن سَيْر الثّورة إلى رُؤسائه في القاهرة[2]، وفي هذا الاجتماع؛ شكا إليه مولود مُخلص سُوءَ تسليح القُوّات العَرَبيَّة، وقلّة الإمدادات والعتاد والأسلحة، وخُصُوصاً المدافع، حتّى صَرَخَ في وجه لُورنس قائلاً: "نحنُ لا نطلب منكَ أنْ تكتب تاريخنا" إنّ ما نُريده هُو الحَرْب، والحَرْب فقط، حتّى نقضي عليهم، أعطني بطاريّة من مدافع شناريدر الجبليَّة وبعض الرّشّاشات. وأنا أكتبُ لك نهايتهم بيدي..."[3].

ثُمّ حدّثه الشّريف فَيْصَل عن الحركات العسكريَّة حول المدينة المُنوّرة، وعن هُجُوم القائد العُثماني فخري باشا على "قُرى العوالي" وقَتْل سُكّانها بمَنْ فيهم النّساء والأطفال. وأوضح له الشّريف فَيْصَل خُطط القُوّات العُثمانيَّة التي تتمثّل برغبتهم في احتلال مكّة نَظَراً للمرُونة التي كانت قُوّاتهم تتمتّع بها في حركتها وسُهُولة توجيهها إلى ميناء رابغ، بعدها شَرَحَ له خُطّته العسكريَّة المُتضمّنة التّوجُّه نحو خطّ سكّة حديد الحجاز[4] خلف المدينة المُنوّرة، بالتّعاون مع شقيقه الشّريف عليّ، في الوقت الذي يقوم الشّريف عبد الله بمُهاجمة المدينة المُنوّرة من الشّرْق، مُتوافقاً مع هُجُوم الشّريف زيد على وادي الصّفراء، ليشلّ القُوّة العُثمانيَّة، ويجعلها غير قادرة على الحَرَكَة، وبذلك؛ تكون المدينة المُنوّرة مُهدّدة بهُجُوم القُوّات العَرَبيَّة من جهات ثلاثة[5].

---

(1) مُقتبس من: لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص43.

(2) أنتوني ناتنغ ولويل تُوماس، المصدر السّابق، ص5660.

(3) مُقتبس من: لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص46؛ سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص52.

(4) سكّة حديد الحجاز: كان أوّل مَنْ طَرَحَ فكْرة إنشاء هذه السّكّة هُو الدّكتُور زامبل الألماني الأصل الأمريكي الجنسيَّة عام 1864م، ولكنّ الفكْرة دَخَلَتْ حيّز التّنفيذ عام 1900 م، في عهد السّلطان عبد الحميد الثّاني، وهُو يربط الشّام بالحجاز، وكانت الغاية من بنائه نَقْلَ الحُجّاج إلى الأراضي المُقدّسة، وإحكام السّيطرة العثمانية على أقاليم إمبراطوريّتهم، وبقي هذا الخطّ عاملاً حتّى سيطرة ابن سُعُود على الحجاز؛ إذْ أمر بتدميره نهائياً. للتفاصيل: خالد حمُّود السّعدون، مُقاومة القبائل لسكّة حديد الحجاز، أسبابها، تطوُّراتها خلال العامَيْن 1908 ـ 1909، مُجلّة الدّارة، الرّياض، العدد2، 1988، ص 46 ـ 47، العدد 1104، المُجلّد 29، 1901، ص 970 ـ 980.

(5) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص45 ـ 46.

أُعجب لُورنس بخُطط الشّريف فَيْصَل العسكريَّة، وَخَرَجَ بانطباع مفاده أنَّه رجل مُفعَم بالذّكاء، يمتلك خبرة علميَّة في التّكتيك الحَرْبي، ومعرفة بالسّلوك الأُورُوبي، ناتجة عن خدمته العسكريَّة مع العُثمانيِّين، وعمله في مجلس المبعوثان العُثماني[1].

كما أوضح الشّريف فَيْصَل للُورنس في هذا الاجتماع حقيقة حاجة العَرَب المُلحَّة لصداقة بريطانيا؛ إذْ قال له: "... ألا تعتقد أنَّ الضّرورة تدفعنا إلى بريطانيا.

يسرُّنا أنْ نكون أصدقاء مُشاركين لهم.. لكنَّنا لسنا من الرّعايا البريطانيِّين، وكم نكون سُعداء لو كان هُناك توازن في القوى بيننا وبين بريطانيا"[2].

إنَّ إعجاب لُورنس بشخصيَّة الشّريف فَيْصَل ومُخطَّطه، لم يكن يبدو إعجاباً شخصياً تتحكَّم به طبيعة ومُيُول الشّخص المُقابل - أيْ فَيْصَل - بقدر ما كانت تتحكَّم به المصلحة من وراء هذا الإعجاب؛ إذْ لم يكن إعجاباً حقيقياً "مثالياً"، فعندما سُئل لُورنس من قبَل كاتب سيرته ليدل هارت عن سبب جَعْله فَيْصَلاً قائداً مَلْحَمياً في تقاريره أجاب قائلاً: "إنَّ ذلك هُو الطّريق الوحيد لجَعْل بريطانيا تدعم العَرَب؛ لأنَّ التّشجيع المادِّي هُو مطلب أساسي للضّابط البريطاني النّموذجي"[3].

وأثناء إقامة لُورنس في مُعسكر الشّريف فَيْصَل، قام بجولة تفتيشيَّة لقُوَّاته؛ حيثُ كان يودُّ التَّعرُّف على أحوالها، ليُضمِّنها تقريره الذي سيرفعه إلى القيادة البريطانيَّة[4].

وفي خلال هذه الزّيارة؛ كوَّن بعض الآراء والانطباعات عن مقدرة البدو القتاليَّة، ومن هذه الآراء أنْ البدو لا يصلحون إلاَّ للدّفاع، فَضْلاً عن عدم رُضُوخهم لقيادة عامَّة تُوجِّههم، بل كانوا يستمدُّون أوامرهم من شيخ عشيرتهم، إضافة إلى خوفهم من المدفعيَّة

---

(1) علاء جاسم مُحَمَّد، المصدر السّابق، ص30.

(2) نقلاً عن: سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص53.

(3) Quoted in: Elik Kedurie, England and Middle East, P. 101.

(4) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص53.

العُثمانيَّة ؛ حيثُ كانوا يظنُّون أنَّ إمكانيَّة الأسلحة على قدر ما يصدر منها من أصوات . لذلك ؛ أدرك أنْ تزويد العَرَب بالمدافع سيدفع عجلة الثّورة خُطُوات كبيرة إلى أمام[1] .

اجتمع لُورنس بالشّريف فَيْصَل مُجدَّداً ، واعداً إيَّاه أنْ يبذل جهده للحُصُول على الإمدادات من أجل الثّورة ، وأخبره أنَّ القُوَّات البريطانيَّة ستُقيم قاعدة في ميناء يَنْبُع ، مهمَّتها تزويد جيش الشّريف فَيْصَل بالإمدادات ، كما وَعَدَهُ بمُفاتحة القيادة البريطانيَّة بأنْ تُرسل له بعض الضبَّاط من الأسرى ، فَضْلاً عن إرسال الضبَّاط البريطانيِّين ، ليكونوا حلقة الوصل بينه وبين القيادة البريطانيَّة . ثُمَّ غادر وادي الصّفراء مُتَّجهاً إلى يَنْبُع ، برفقة بعض الحُرَّاس الذين عيَّنهم فَيْصَل لمُرافقته إلى هُناك[2] .

مَكَثَ لُورنس في يَنْبُع خمسة أيَّام ، ثُمَّ استقلَّ الباخرة المُتَّجهة إلى جدَّة ، والتي كانت تُقلُّ - بدورها - أميرال البحر ويمس (Wemyss)[3] قائد الأُسْطُول البريطاني في البحر الأحمر ، وما إنْ علم لُورنس أنَّ ويمس يودُّ الذّهاب إلى بُور سُودان ، ومنها بالقطار إلى الخُرطوم لمُقابلة ونكت ، الذي كان من أشدِّ المُتحمِّسين للثّورة العَرَبيَّة ، وكان يقوم بمهمَّة إدامة الصّلة والتّرابط بين قُوَّات الثّورة وبين القيادة البريطانيَّة ، حتَّى طَلَبَ مُرافقته ، ليعرض تقريره على ونكت[4] .

أسفرت زيارة لُورنس للخُرطوم عن مُقابلته للجنرال ونكت ، فَعَرَضَ عليه تقريره عن الثّورة العَرَبيَّة ، مُضمِّناً إيَّاه حاجة العَرَب إلى خبرة عدد من الضبَّاط الفنِّيِّين البريطانيِّين الذين

---

(1) لُورنس ، الثّورة العَرَبيَّة ، ترجمة كامل صموئيل مسيحه ، بيرُوت ، مطبعة صادر ، د . ت ، ص32 - 33 ؛ لُورنس أعمدة الحكْمَة السّبعة ، ص50 - 51 .

(2) لُورنس ، أعمدة الحكْمَة السّبعة ، ص52 .

(3) كَتَبَ لُورنس يصفُ هذه الشّخصيَّة أنَّها شديدة الاهتمام بالثّورة العَرَبيَّة ، قام بزيارة جدَّة عدَّة مرَّات ، لتقديم أيَّة مُساعدات مُمكنة للعَرَب ، كما زوَّد العَرَب بالمدافع والرّشَّاشات والمُساعدات الفنِّيَّة . وَوَضَعَ إمكانيَّات الأُسْطُول البريطاني ، لتقديم أيَّة معونة يطلبها العَرَب ؛ حيثُ وَصَفَ لُورنس هذه المُساعدات بقوله : "... لولا المُساعدات المُمتازة التي قدَّمها الأميرال ويمس . . للعَرَب لكانت غَيْرة السَّيِّد أرشيالد موراي (archibald. Murray) القائد العام للقُوَّات في مصر على ثورة الشّريف قد قضت عليها حال نُشُوبها"؟ انظر المصدر نفسه ، ص53 - 54 .

(4) سُليمان مُوسى ، لُورنس والعَرَب ، ص56 .

يتكلّمون اللُّغة العَرَبيَّة، إلاَّ أنَّ الجنرال ونكت أرسل في 7تشرين الثّاني برقيَّة إلى القيادة البريطانيَّة يطلب فيها إنزال لواء بريطاني في رابغ. تلك الخُطَّة التي عارضها لُورنس، على الرّغم من أنَّها رُفضت من قبَل رئيس الأركان البريطاني[1].

كان كُلٌّ من لُورنس وونكت مُتَّفقَيْن على ضرورة مُساعدة العَرَب لإنجاح ثورتهم، ولكنَّهما اختلفا في أُسْلُوب وطبيعة تلك المُساعدة، وكان هذا الاختلاف ناتجاً عن طبيعة الرّجلَيْن، فَونكت كان عسكرياً بالدّرجة الأُولى، وكان يُريد حرباً نظاميَّة عن طريق جُيُوش مُنظَّمة، وكان يرى أنَّ رغبة لُورنس في مُساعدة العَرَب الفنِّيَّة وعدم إرسال قُوَّات أجنبيَّة إلى الحجاز سيُؤدِّي - بالتّالي - إلى تعزيز القُوَّة الدّفاعيَّة لدى العَرَب، بخلاف لُورنس الذي كان ينفر من وُجُود قُوَّات أجنبيَّة في الحجاز، إكمالاً للصُّورة الرُّومانيَّة التي رغب برَسْمها للثّورة العَرَبيَّة، فَضْلاً عن أنَّ خُطَّة ونكت كانت تحظى بتأييد رئيس البعثة العسكريَّة الفرنسيَّة اللّفتنانت كُولُونيل (مُقدَّم) بريسون، لذا؛ أدرك لُورنس أنَّ نُزُول تلك القُوَّات يعني احتلال دمشق، وإعطاء فرنسا موطئ قدَم فيها، وهذا ما لا يسمح به أبداً، نظراً لكراهيته الشّديدة لفرنسا، تلك الكراهية التي لاحظها الكثير من الأشخاص الذين عملوا معه، فهذا لُونارد وولي يقول: "كان لُورنس - مُنذُ عهد بعيد - عدواً لفرنسا في الشّام، وإنَّ هذا الشُّعُور هُو مفتاح الكثير من تصرُّفاته التي أتاها فيما بعد"[2]، فَضْلاً عن أنَّ إرسال تلك القُوَّات سيُؤدِّي - حسب رأي لُورنس - إلى تقاعس العَرَب عن القتال، وإلقاء سلاحهم، والذّهاب إلى منازلهم، وهذا ما يُفقده دوره الرُّومانتيكي في قيادة الحَرْب[3] الذي عبَّر عنه بوُضُوح بقوله: "... إنَّ بريموند كان واقعيّاً في الحَرْب، مثلما كان واقعيّاً في الحُبِّ، شأنه شأن بني وطنه... فيبدو أنَّه لا ينظر إلى الحياة نظرة الحالم كما يفعل البريطانيُّون"[4]. وقد وَصَفَ لُورنس القتال الدّائر في الحجاز بقوله: إنَّه نوع من القتال لا يُجيده قوم كالبدو.. فهُنا لا أثر لمُكافآت، أو أوامر، أو آمرين، أو مأمورين، أو أطبَّاء، أو حسابات"[5].

---

(1) المصدر نفسه، ص56.

(2) مُقتبس من: ريتشارد الدنكتون، المصدر السّابق، ص168.

(3) Rebert Graves, OP. cit., P. A113-114; Liddle Hart, OP. cit. P. p123-124.

(4) مُقتبس من: ريتشارد الدنكتون، المصدر السّابق، ص169.

(5) Quoted in: T. E. Lawrence, Oriental Assembly, P. 133.

وعلى الرّغم من أنَّ ونكت كـان مـن أولئـك الرّجـال المُتحمِّسـين للثّـورة العَرَبيَّـة، لكـنَّ لُورنس أدرك أنَّ خُطَّته تتعارض تماماً مع ما كان يُفكِّـر بـه ونكـت. ومـن الجديـر بـالذِّكْر؛ أنَّـه ـ أثناء وُجُود لُورنس في الخُرطوم ـ صَدَرَت الأوامر بنَقْل ونكت إلـى منصـب المنـدوب السّـامي البريطاني في القاهرة بـدلاً مـن السِّرهنري مكمـاهون[1] لذلـك ارتـأى أنَّـه مـن الأجـدر تقديـم تقريره الذي كان يتضمَّن تلـك الخُطَّـة إلـى رئيسـه كلايتـون، الـذي رَفَعَـهُ ـ بـدوره ـ إلـى السِّـر أرشيبالد مُوراي (Sir Archibald Murray) قائد القُوَّات البريطانيَّة في مصـر؛ حيـثُ لاقـت أفكاره ترحيباً حاراً من قبَل هذه الشّخصيَّة، نَظَراً لتوافقها مع الخطِّ العامِّ للتّكتيـك العسـكري البريطاني، فبريطانيا لم تكن مُستعدَّة لإرسال جُزء من قُوَّاتـها إلـى الحجـاز، في الوقـت الـذي كانت في أشدِّ الحاجة إلى قُوَّات إضافيَّة على الجبهة الأُورُوبيَّة، فَضْلاً عن أنَّ البريطانيِّين كانوا يُريدون القتال بالحراب العَرَبيَّة، ولم تكن لهم أيَّة مصلحة في أنْ يُحقِّق العَرَب انتصـاراً سـريعاً يُمكن أنْ يُؤدِّي بهم إلى المُطالبة بتنفيذ بُنُود مُراسلات حُسَيْن ـ مكماهون، التـي تتعـارض مـع ما كان يسعى إليه البريطانيُّون بالاتِّفاق مع فرنسا حول اقتسام البـلاد العَرَبيَّـة، ومـع الصّهاينـة حول تأسيس وطن قومي لليهُود[2].

ونتيجة للآراء التي حَمَلَهَا تقرير لُورنس، والتي استصوَبَتْهَا القيادة البريطانيَّة، كُلِّف من قبَل رُؤسائه بـالعودة إلـى الحجـاز، للعمـل بصُـورة دائمـة مـع الأمير فَيْصَـل[3] بصفـة ضـابط ارتبـاط، مهمَّتـه تقديـم الإرشـاد، وليكـون حلقـة وصـل بـين القيـادة البريطانيَّـة وبـين الأمـير فَيْصَل[4]. وقد ادَّعى لُورنس أنَّه رَفَضَ المهمَّة في بادئ الأمر، مُتذرِّعـاً بكراهيتـه للمسـؤوليَّة، خُصُوصاً أنَّ مهمَّة المُستشار تتطلَّب مسؤوليَّات كبيرة[5].

---

(1) Ronald Wingate, Op. cit., P, 188.

(2) بُوندرافسكي، المصدر السّابق، ص111.

(3) سوف نُطلق على أبناء الشّريف حُسَيْن لَقَبَ أُمراء بدلاً من أشراف، تبعاً لاتِّخاذ والدهم الحُسَيْن بن عليّ لَقَبَ ملك الحجاز بتاريخ 2تشرين الثّاني 1916.

(4) Liddle Hart, Op. cit., P. 125.

(5) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبع، ص57.

كما تذرَّع لُورنس بأنَّ القيادة البريطانيَّة قد أرسلت في طَلَب بعض الضبَّاط للعمل مع جُيُوش الثّورة العَرَبيَّة، ولا داعي لوُجُوده بالقُرب من الأمير فَيْصَل، فأخبره كلايتون أنَّ على القيادة البريطانيَّة رَبْطَ الأمير فَيْصَل بها، وعليها ـ من أجل ذلك ـ أنْ تُؤمِّن له الإمدادات التي يطلبها بأقصى سُرعة[1].

ـ مهمَّة لُورنس كضابط ارتباط ودوره في تحرير منطقة الوجه:

بتاريخ الثّامن من كانون الأوَّل؛ وَصَلَ لُورنس إلى حيثُ يُعسكر جيش الأمير فَيْصَل في يَنْبُع، المنطقة التي أصبحت قاعدة لتموين جيشه؛ حيثُ بدأت الإمدادات تُحمَل تباعاً عن طريق بُور سُودان[2]. وخلال وُجُوده في يَنْبُع؛ تدرَّب لُورنس على استعمال الدِّيناميت على يد الضّابط البريطاني غارلاند، الذي كان يقوم بمهمَّة تدريب العَرَب على استعمال الدِّيناميت، في نطاق المُساعدات التي قدَّمتها القيادة البريطانيَّة للثّورة العَرَبيَّة[3].

فُوجئ لُورنس بأنَّ الموقف العسكري لقُوَّات الثّورة العَرَبيَّة سيِّئ للغاية؛ إذْ مُنيت قُوَّات الأمير زيد بهزيمة قاسية في منطقة وادي الصّفراء، واضطُرَّت قُوَّات الأمير فَيْصَل إلى التّراجع إلى يَنْبُع النّخل "نخل مُبارك"، وأرغمت قُوَّات الأمير عليّ على التّراجع إلى ميناء رابغ. كما أنَّ الهُجُوم العُثماني استطاع أنْ يُوقف تحرُّك قُوَّات الأمير عبد الله من مكَّة المُكرَّمة. وهكذا استطاع العُثمانيُّون الإفلات من خُطَّة الحصار التي كان من المُقرَّر أنْ تقوم بها الجُيُوش الثّلاثة لإبقاء القُوَّات العُثمانيَّة في المدينة المُنوَّرة[4].

غادر لُورنس ميناء يَنْبُع مُتوجِّهاً إلى منطقة نخل مُبارك للالتحاق بالأمير فَيْصَل؛ حيثُ لقيه جالساً مع بعض من قُوَّاده يُملي عليهم أوامره، ويتسلَّم منهم تقاريرهم، ثُمَّ قضى مُدَّة يومَيْن يُراقب الأمير فَيْصَل ورجاله، ويستمع إلى أحاديثهم وشكواهم، ويدَّعي لُورنس أنَّه

---

(1) صُبحي العُمري، المصدر السّابق، ص34.

(2) عبد المُنعم مُصطفى، المصدر السّابق، ص49، صُبحي العُمري، المصدر السّابق، ص34.

(3) عبد المُنعم مُصطفى، المصدر السّابق، ص49.

(4) عبد الله بن الحُسَيْن، المُذكّرات، ص127، إنتوني ناتنع ولويل تُوماس، المصدر السّابق، ص73.

أُعجب أيَّما إعجاب بأساليب الأمير فَيْصَل في القيادة، وجُهُوده في رَفْع معنويَّات رجاله، وقُوَّة تحمُّله، وضبطه لأعصابه في وقت الملمَّات[1].

ولتسهيل مهمَّة لُورنس بين قُوَّاته؛ اقترح عليه الأمير فَيْصَل ارتداء الملابس العَرَبيَّة؛ لأنَّه كان - حتَّى هذا الوقت - يرتدي البزَّة الرَّسْميَّة على اعتبار أنَّه ضابط سُوري، ولقد أراد الأمير فَيْصَل - من وراء هذا الاقتراح - تسهيل عمل لُورنس وحركته بين قُوَّاته، ولكنَّ لُورنس اعتبر تلك الملابس تكريماً له، وعدَّ نفسه من الأشراف؛ حيثُ يقول: ". . إذا ما ارتديتُ الثِّياب التي سيُقدِّمها لي، فإنَّ رجال العشائر سيُعاملونني كأحد رُؤسائهم"[2].

ولقد أصبح تأثير تلك الملابس واضحاً إلى درجة جَعَلَتْهُ يُوصي زُملاءه الضبَّاط الآخرين بارتداء اللِّباس العَرَبي، كما يلبس الأشراف من العَرَب، لكونه مُلائماً ومُريحاً لحركتهم[3].

ويبدو أنَّ في هذا الأمر شيئاً من المُبالغة من قِبَل لُورنس؛ إذْ إنَّ من عادة العَرَب تقديم الملابس كهديَّة لضُيُوفهم، تكريماً لهم ولمجيئهم، وليس لمَنْحهم سُلطة رُؤساء العشائر.

عاد لُورنس إلى يَنْبُع ليُمارس مهامَّ عمله الجديد، الذي استهلَّه بمُحاولة تنظيم أُمُور الدِّفاع عن يَنْبُع، فأبرق إلى القُنْصُل البريطاني في جدَّة بتاريخ 6 كانون أوَّل 1916، يُخبره بضرورة عمل استطلاع جوِّي فوق بير سعيد وبير جابر ووادي الصَّفراء، وكان هدفه معرفة استحكامات القُوَّات العُثمانيَّة في هذه المناطق، لكون التَّقارير الواردة حول تلك الاستحكامات مُتباينة وغير دقيقة، لاعتمادها على الوُكلاء المحلِّيِّين في المنطقة[4].

كما طَلَبَ من الكابتن بويل (Boyle) تأمين حماية ساحليَّة من قِبَل الأُسْطُول البريطاني لميناء يَنْبُع[5].

---

(1) لُورنس، أعمدة الحِكْمَة السَّبعة، ص64.

(2) مُقتبس من: المصدر نفسه، ص68.

(3) "مجلَّة الدُّستُور"، لندن، العدد 378، 3 حُزيران 1995، ص55.

(4) عبد المُنعم النَّاصر، المصدر السَّابق، ص30.

(5) لُورنس، أعمدة الحِكْمَة السَّبعة، ص69.

وفي هذه الفترة؛ تراجعت قُوَّات الأمير فَيْصَل مرَّة أُخرى إثر هُجُوم قام به العُثمانيُّون على منطقة نخل مُبارك "يَنْبُع النّخل" التي كان يُعسكر بها جيش فَيْصَل، بقُوَّة تقدر بثلاثة أفواج بقيادة غالب بك، وكان سبب تراجع قُوَّات فَيْصَل هُو تقهقر عشيرة جُهَيْنَة التي كانت تُمثِّل الجناح الأيسر لجيش الأمير فَيْصَل، لكنَّ الأُسْطُول البريطاني ضيَّع على القُوَّات العُثمانيَّة فُرصة احتلال يَنْبُع النّخل، بإرساله المدافع التي بدأت تصل إلى الميناء، كما وَصَلَتْ - في الوقت ذاته - خمس سُفُن لتأمين الحماية، فَضْلاً عن جُهُود غارلاند (Garland) الذي قام بتحصين سُور المدينة، وهكذا فشلت القُوَّات العُثمانيَّة في حَمْلَتها تلك[1].

غادر لُورنس يَنْبُع إلى ميناء رابغ، للاجتماع بالكُولُونيل ولسن، القُنْصُل البريطاني في جدَّة، الذي وَصَلَ إلى رابغ، لعقد اجتماع، هدفه الاتِّفاق على الخُطوة التّالية، والتي كانت تتمثَّل بمُطاردة القُوَّات العُثمانيَّة، وإلحاق الهزائم بها.

وكانت الخُطَّة تقضي بأنْ يقوم الأميران زيد وعليّ بالتّمركز في الموانئ المُطلَّة على البحر "يَنْبُع ورابغ"، كما كان على قُوَّات الأمير عبد الله أنْ تقوم بحَرَكَة التفاف حول المدينة المُنوَّرة، لتهديد سلامة سكَّة حديد الحجاز، التي يعتبرها العُثمانيُّون عَصَبَ الحياة بين دمشق والمدينة. أمَّا مهمَّة الأمير فَيْصَل؛ فتتمثَّل باحتلال ميناء الوجه. ولتسهيل عمل تلك القُوَّات ونجاح خُطَّة الهُجُوم وُضعت مُدمِّرات بريطانيَّة مُقابل منطقة الهُجُوم المُرتقب لتقديم مُساعدتها للقُوَّة المُهاجمة، وتحتوي إحدى هذه المُدمِّرات على قُوَّة عَرَبيَّة قوامها خمسمائة جُنْدي مع بعض الوحدات البحريَّة البريطانيَّة التي أُوكلت إليها مهمَّة تقديم العون لقُوَّات الأمير فَيْصَل وحماية مُؤخِّرة جيشه[2].

وبينما كانت الاستعدادات قائمة للتّحضير للهُجُوم المُرتقَب على ميناء الوجه، نرى لُورنس يقوم بأوَّل عمليَّة عسكريَّة من نوعها في الثّورة العَرَبيَّة؛ إذْ اصطحب معه قُوَّة مُؤلَّفة

---

(1) لُورنس، ثورة في الصّحراء، ص48.

(2) أنتوني ناتنغ ولويل تُوماس، المصدر السّابق، ص81. يعتقد الباحث شاكر خليل نصَّار أنَّ خُطَّة احتلال ميناء الوجه قد وُضعت من قبل لُورنس. انظر: شاكر خليل نصَّار، المصدر السّابق، ص16. بينما يذكر لُورنس - صراحة - أنَّ ولسن القُنْصُل البريطاني في جدَّة هُو صاحب فكْرة الهُجُوم على الوجه. انظر: لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص75.

من خمسة وثلاثين رجلاً، وكانت وُجهتهم أحد مُعسكرات القُوَّات العُثمانيَّة، فقاموا بمُهاجمته، وقفلوا راجعين إلى يَنْبُع، ويدَّعي لُورنس أنَّه أراد - بهذا العمل - أنْ يُعوِّد نفسه على شنِّ تلك الغارات[1].

أجرى الأمير فَيْصَل اتِّصالاً مع الأمير عبد الله، الذي كان يُعسكر في الحناكيَّة، وطَلَبَ منه أنْ يتقدَّم إلى الغرب من المدينة المُنوَّرة في وادي العيص، وكان هدف الأمير من هذه الحَرَكَة هُو مُحاولته تأمين مُؤخَّرة جيشه من هَجَمَات العُثمانيِّين، ولمَنْع أيَّة حَرَكَة التفاف قد يقوم بها الجيش العُثماني. فغادر الأمير عبد الله الحناكيَّة إلى وادي العيص، وبدأ بمُهاجمة محطَّات سكَّة الحديد في مُحاولة منه لتهديد خُطُوط مُواصلات القُوَّات العُثمانيَّة، وإشغالها عن مُراقبة تحرُّكات قُوَّات الأمير فَيْصَل[2].

ومن خلال ما كَتَبَهُ لُورنس عن هذه الحَرَكَة؛ نستطيع أنْ نستنتج أنَّ اقتراح انتقال الأمير عبد الله من موقع الحناكيَّة إلى وادي العيص كان من بنات أفكاره؛ حيثُ يقول "... لذلك وجدنا أنَّه من العار أنْ نتركه دُون عمل (الأمير عبد الله) واتَّفقنا أنا وفَيْصَل على استدعائه من الحناكيَّة، والطَّلب إليه أنْ يحتلَّ وادي عيص"[3].

لكنَّ الكاتب سُليمان مُوسى يرى أنَّ هُناك مُبالغة في هذا الأمر، وأنَّ الأمير عبد الله أتمَّ انتقاله بدُون أنْ يستلم أيَّة تعليمات من لُورنس، بل إنَّه كان يعرف هدفه مُسبقاً[4].

ومهما يكن من أمر انتقال الأمير عبد الله، فيبدو أنَّ انتقاله جاء كخُطوة مُشتركة قام بها كُلٌّ من الأمير فَيْصَل ولُورنس.

ومن أجل الاتِّفاق ومُناقشة آخر التَّصوُّرات في الثَّورة العَرَبيَّة، وَصَلَ رُونالد ستورس إلى جدَّة بتاريخ 11 كانون الأوَّل عام 1916، بطَلَب من الملك حُسَيْن، وعقد هُناك اجتماعَيْن

---

(1) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السَّبعة، ص79، سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص63؛ عبد المُنعم النَّاصر، المصدر السَّابق، ص34.

(2) عبد الله بن الحُسَيْن، المُذكِّرات، ص120، أمين المُيِّز، عودة إلى اتِّفاقيَّة فَيْصَل - وايزمن، القسم الثَّاني، ص52.

(3) مُقتبس من: لُورنس، أعمدة الحكْمَة السَّبعة، ص79.

(4) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص64.

معه، ومِمَّا ذُكر عن هذَيْن الاجتماعَيْن أنَّ الملك حُسَيْن طَلَبَ إنزال قُوَّة من المُسلمين تُقدَّر بـ 1500 رجل للدّفاع عن رابغ، بدلاً من نُزُول قُوَّات بريطانيَّة، كما جرت مُناقشات طويلة حول الموقف من الثّورة مع كُلٍّ من ولسن، وجُود لويد، وبريمون، والكُولُونيل برنابى المندوب الإيطالي، ومِمَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ لُورنس لم يكن مدعواً لهذه الاجتماعات. وفي الثّالث عشر من كانون أوَّل 1916، عُقد اجتماع آخر بين رُونالد ستورس وبين الأمير فَيْصَل، ولم يكن لُورنس حاضراً لهذا الاجتماع. كما أنَّ رُونالد ستورس لا يُشير إليه في مُذكّراته، مِمَّا يدلُّ دلالة واضحة على أنَّه لم يكن له ذلك الشّأن في بداية الثّورة العَرَبيَّة، بل كان ضابطاً بريطانيّاً كغيره من زُملائه الضبَّاط. وقد دارت في هذا الاجتماع مُناقشة الموقف العسكري، فَطَلَبَ الأميرُ فَيْصَل أنْ تقوم السُّفُن البريطانيَّة بحماية جناح القُوَّات العَرَبيَّة، وحماية ميناءي رابغ وينْبُع في حالة هُجُوم تلك القُوَّات على الوجه[1].

هكذا أُنهيَتْ الاستعدادات الخاصَّة بزَحْف الأمير فَيْصَل وجيشه إلى منطقة الوجه. فبدأت قُوَّاته بالتَّحرُّك يوم 3 كانون الثّاني عام 1917. أمَّا لُورنس؛ فقد استقلَّ إحدى السُّفُن البريطانيَّة المُرابطة في يَنْبُع[2]، ليقوم بمهمَّة إدامة الصّلة بين قُوَّات فَيْصَل والأُسْطُول البريطاني المُرابط في البحر الأحمر؛ حيثُ أبحر مع الكابتن بويل (Boyle) والمُلازم فيكرى (Viokery) إلى مُعسكر الأمير فَيْصَل لإجراء التّرتيبات اللاَّزمة لبدء الهُجُوم، وَطَلَبَ من بويل أنْ يقوم بإرساء إحدى سُفُنه في ميناء شرم حسبان ليُزوِّد القُوَّات المُهاجمة بالماء[3].

تحرَّكت القُوَّات العَرَبيَّة بقيادة الأمير فَيْصَل، يُرافقها بعض الضبَّاط البريطانيِّين - كان في مُقدِّمتهم لُورنس - من يَنْبُع، فَدَخَلَتْ ميناء أُمِّ لج بعد أسْر حاميتهما العُثمانيَّة[4].

---

(1) المصدر نفسه، ص64.

(2) ريتشارد الدنكتون، المصدر السّابق، ص175؛ سُليمان مُوسى، لُورنس العَرَب، ص64 - 65.

(3) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص83 - 84، يُوسُف الحكيم، ذكريات يُوسُف الحكيم، سُورية والعهد الفَيْصَلي، بيرُوت، المطبعة الكاثُوليكيَّة، د.ت، ص14؛ جلال يحيى، الثّورة العَرَبيَّة، بدُون معلومات طَبْع، ص180.

(4) نُوري السّعيد، المصدر السّابق، ص51؛

Lewell Thomas, Op. cit., P. 80.

وبتاريخ 18 كانون الثّاني عام 1917، عاودت قُوّات الأمير فَيْصَل تحرُّكها من أُمِّ لج. وفي هذه الأثناء؛ التحق بالقُوّات الكُولُونيل نيوكومب Newcombe رئيس البعثة العسكريَّة، بعد أنْ عاد من القاهرة، وقد ساهم المطر الكثيف في تأخير جيش الأمير فَيْصَل، الذي كان من المُقرَّر أنْ يُحاصر الوجه من البرِّ، في الوقت الذي تقوم به السُّفُن البريطانيَّة بدَكِّ المواقع العُثمانيَّة بمدافعها. فَوَصَلَ الوجه في 25 كانون الثّاني، وفي الوقت الذي كان كُلٌّ من الكابتن بويل والمُلازم فيكري قد استوليا عليها بمُساعدة بعض البدو ومفرزة من الجُنُود البريطانيِّين[1].

ومن الواضح أنَّ دور لُورنس في هذه المعركة لم يكن دوراً رئيساً كما لاحظنا؛ إذْ إنَّه لم يشترك في الاجتماعات التي كانت تُعقد لمُناقشة خُطَّة الهُجُوم، بل اقتصر دوره على تنسيق التّعاون بين القُوّات البريطانيَّة والقُوّات العَرَبيَّة، فقد كان لُورنس مُنشغلاً - في هذه الفترة - بمُحاولته إبعاد مُنافسيه من الضُّبّاط البريطانيِّين؛ إذْ دَخَلَ في خلاف حادٍّ مع المُلازم فيكري، ويبدو أنَّ لُورنس كان يخشى أنْ يحتلَّ فيكري مكانة أرفع من مكانته لدى الأمير فَيْصَل؛ إذْ إنَّه يمتلك مُؤهِّلات لا يمتلكها لُورنس، منها - مثلاً - أنَّه كان ضابطاً مُحترفاً يُجيد التّخطيط للمعارك، فَضْلاً عن إجادته اللُّغة العَرَبيَّة بطلاقة، الأمر الذي لا يُجيده لُورنس تماماً. لذلك؛ نرى لُورنس ينتهز الفُرص للانتقاص من مقدرته العسكريَّة، خشية منه على مركزه لدى الأمير فَيْصَل، كما أنَّه كان يُوبِّخه أمام مسامع وأبصار الجُنُود العَرَب بعد احتلال مدينة الوجه. وكان تصرُّف لُورنس ناتجاً عن شُعُوره من أنَّ الذي احتلَّ منطقة الوجه هُو المُلازم فيكري مع قُوّاته، وبذلك أفقده سَبْقَ تحقيق الفَضْل لنفسه في هذا النّصر، فَشَعَرَ بخيبة أمل، جرّاء التّغيير الذي حَصَلَ في أوّل مُخطّطاته، علماً أنَّ قُوّات الأمير فَيْصَل وَصَلَتْ إلى المدينة، بعد ثلاثة أيّام من احتلالها[2].

يعتقد أحد الباحثين أنَّ لُورنس حاول التّقليل من شأن الاستيلاء على المدينة[3].

---

(1) Richard Graves, Op. cit., P. 39;

مُصطفى الشّهابي، مُحاضرات في الاستعمار، الجُزء الثّاني، القاهرة، معهد الدّراسات العَرَبيَّة العالية، 1956، ص71.

(2) أنتوني ناتنغ ولويل تُوماس، المصدر السّابق، ص86.

(3) ريتشارد الدنكتون، المصدر السّابق، ص197.

ويبدو أنَّ التّقليل من شأن الانتصار لم يكن يرجع - بالدّرجة الأساس - إلى عدم أهمِّيَّة المدينة من النّاحية الاستراتيجيَّة، كما حاول هذا الباحث إثباته، بقدر ما كان لُورنس يرى أنَّ التّقليل من شأن الانتصار في المدينة هُو - في حَدِّ ذاته - تقليل من قُدرات المُلازم فيكري، الذي حقَّق الانتصار في منطقة الوجه؛ حيثُ أكَّد أهمِّيَّة احتلال المدينة بقوله: ". . وأصبحت الثّورة في مأمن من الخطرن بعد أنْ احتلَّت الوجه"[1].

غادر لُورنسُ الوجهَ مُتوجِّهاً إلى القاهرة في 27 كانون الثّاني عام 17، لتقديم تقرير مُفصَّل لقيادته في المكتب العَرَبي عن الانتصارات التي حقَّقها الجيش الشّمالي، ولطَلَب المزيد من المُساعدات للجُيُوش العَرَبيَّة[2]. ولا يُستبعَد أنْ يكون لُورنس قد قام - أثناء رحلته تلك - بالوشاية بمُنافسه المُلازم فيكرى لإخلاء السّاحة أمامه[3]، أمَّا أنْ يكون هدف رحلته هُو الوشاية بأحد الضُّبَّاط؛ فهذا أمر مُستبعَد حتماً، ويكفيه أنْ يشكوه إلى رئيسه الكُولُونيل نيوكومب رئيس البعثة العسكريَّة البريطانيَّة، خُصُوصاً إذا ما علمنا أنَّ لُورنس كان يحتفظ بعلاقات حَسَنَة مع نيوكومب، نتيجة عمله السّابق في صحراء سيناء، ويبدو أنَّ صُدُور أمر نَقْل المُلازم فيكرى جاء بسبب عدم تحمُّسه للعمل في صُفُوف القُوَّات العَرَبيَّة. فبعد أنْ أدركت القيادة البريطانيَّة أنَّ الثّورة العَرَبيَّة اجتازت "عُنق الزّجاجة" بنجاح، كان من الواجب عليها مدُّها بالمُساعدات الضّروريَّة، والتَّخلُّص من الأشخاص غير المُبالين للتّعامل مع هذا المبدأ، وهُو "مُساعدة الثّورة"، والذي كان المُلازم فيكري أحدهم حسب ما يدَّعيه لُورنس[4].

فُوجئ لُورنس - أثناء وُجُوده في القاهرة - بوُجُود أحد مُنافسيه؛ وهُو الجنرال الفرنسي بريمون، ولكنْ؛ ما العمل الذي جاء من أجله إلى القاهرة؟ فقد وَقَعَ انتصار الجُيُوش العَرَبيَّة، ودُخُولها ميناء الوجه وُقُوع الصّاعقة على رأس بريمون، نتيجة رغبته المُلحَّة في تحديد الثّورة في جنوب الجزيرة العَرَبيَّة، والعمل على عرقلة سَيْرها إلى الشّمال؛ لأنَّ في ذلك خَطَراً يُهدِّد

---

(1) مُقتبس من: لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص93.

(2) Richard Graves, Op. cit., P. 39.

(3) سُليمان مُوسى، لُورنس، ص68.

(4) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص85.

المصالح الفرنسيَّة، ذلك لأنَّ حَرَكَة الجُيُوش العربيَّة إلى الشّمال معناه احتلال دمشق، وإقامة حُكْم عَرَبي فيها، وهذا ما يُخالف الأهداف الاستعماريَّة الفرنسيَّة. لذا؛ كان من رأي بريمون القيام بحَمْلَة مُشتركة بريطانيَّة ـ فرنسيَّة لاحتلال ميناء العَقَبَة، لقَطْع الطّريق أمام الجُيُوش العَرَبيَّة من التَّقدُّم إلى الشّمال[1].

تقدَّم بريمون نحو لُورنس، وهنَّأه على الانتصار الذي حقَّقته القُوَّات العَرَبيَّة في منطقة الوجه، ثُمَّ أثنى على قُدراته العسكريَّة وانتصاراته التي حقَّقها، وقال له:

"... إنَّني كُنتُ أعتقد دائماً بأنَّكَ رجل تتمتَّع بمواهب عسكريَّة نادرة"[2]. ويدَّعي لُورنس أنَّ بريموند طلب مُساعدته في تنفيذ خُطَّته الرّامية إلى احتلال ميناء العَقَبَة بحَمْلَة أنكلو ـ فرنسيَّة مُشتركة، بعد أنْ أخذ يشرح له أهميَّة هذا الميناء والفوائد المُتوخَّاة من احتلاله، وأخبره لُورنس أنَّه يعلم بالأهميَّة التي يتمتَّع بها ميناء العَقَبَة، ولكنَّه لا يستطيع مُساعدته في تنفيذ خُطَّته، لأنَّها تعني أنَّ مواقع القُوَّات البريطانيَّة ستُصبح تحت سيطرة المدفعيَّة العُثمانيَّة المُتركِّزة في التّلال المُطلَّة على السّاحل. لذا؛ فمن الأفضل أنْ تقوم الجُيُوش العَرَبيَّة غير النّظاميَّة باحتلالها عن طريق تسلُّقها تلك التّلال[3].

حاول لُورنس أنْ يسحب البساط من تحت أقدام بريمون، ويُحبط خُططه في احتلال العَقَبَة بقُوَّة مُشتركة، ليس خوفاً على مصلحة العَرَب، بقدر ما كان يسعى من وراء ذلك إلى إحباط المُخطَّطات الفرنسيَّة في بلاد الشّام، وإفساد العلاقات العَرَبيَّة ـ الفرنسيَّة.

فعاد إلى الوجه، لكي يُخبر الأمير فَيْصَل بنوايا بريمون وخُططه، ويُحذِّره من خُطُورة الأخذ بمشورته، لذا؛ كانت مُقابلة الأمير فَيْصَل لبريمون مُقابلة عاصفة مليئة بالاتّهامات من قِبَل الطَّرَفَيْن[4].

---

(1) Richard Graves, Op. cit., P. 40.

(2) مُقتبس من: أنتوني ناتنغ ولويل تُوماس، المصدر السّابق، ص94.

(3) لُورنس، أعمدة الحِكْمَة السّبعة، ص98.

(4) أنتوني ناتنغ ولويل تُوماس، المصدر السّابق، ص97.

ولتمهيد سُبُل المُفاوضات؛ ارتأى بريمون تقديم بعض المدافع الرّشّاشة الخفيفة كهديَّة لقُوّات الأمير فَيْصَل، فما كان من الأمير فَيْصَل إلاّ رَفْضَهَا؛ لأنَّها لا تصلح لقتال ما تملكه القُوّات العُثمانيَّة من أسلحة حديثة، وَطَلَبَ تزويده ببعض المدافع الفرنسيَّة الثقيلة المخزونة في السُّويس، لكن بريمون رَفَضَ طَلَبَ الأمير فيصل مُحتجّاً بقوله: إنَّ الجُنْدي العَرَبي لن يحتاج إلى استعمال المدفعيَّة الثّقيلة، مادامت واجباته الحَرْبيَّة ستكون محصُورة في تسلُّق الصُّخُور كالعنز، وتخريب بعض قُضبان الخطّ الحديدي"[1]. ثُمَّ تطرقت المُباحثات إلى أهمِّيَّة ميناء العَقَبَة من النّاحية الاستراتيجيَّة، واقترح بريمون على فَيْصَل الضّغط على البريطانيِّيْن للمُوافقة على شنِّ هُجُوم على العَقَبَة. لكنَّ مُقترح بريموند الأخير كان مصيره الفشل، بسبب الرّفض القاطع من قبَل الأمير فَيْصَل.

حَضَرَ لُورنس هذه المُفاوضات، ولكنَّه لم ينبس ببنت شفة، فقد كان مُدركاً ومُتأكِّداً من ردِّ الأمير فَيْصَل، ذلك الرَّدّ المُتَّفق عليه سَلَفَاً، فلم يكن من بريمون إلاّ اللُّجُوء لوسيلة الخداع والدّسيسة كآخر ورقة يستطيع اللّعب بها، لبذر بُذُور الشّقاق بين العَرَب والبريطانيِّيْن، فجُوبهت خُطوته تلك بامتعاض شديد من قبَل حُكُومته والحُكُومة البريطانيَّة، التي طَلَبَتْ استدعاءه إلى باريس، لكنَّ الحُكُومة الفرنسيَّة رَفَضَتْ هذا الطَّلَبَ، واكتفت بعدم تقديم العون له في حَبْك دسائسه ومُؤامراته[2]. وهكذا استطاع لُورنس أنْ يتخلَّص من أعتى مُنافسيه في الحجاز، وأصبحت الطّريق سالكة أمامه، لتنفيذ خُططه ومُقترحاته.

ـ دور لُورنس في مفرزة التّخريب التّابعة لجيش الأمير عبد الله:

بدأ الأمير فَيْصَل ـ بعد نجاحه في احتلال منطقة الوجه ـ بإيفاد الرُّسُل، لغرض كَسْب القبائل الشّماليَّة إلى جانب الثّورة، ويدَّعي لُورنس أنَّ هذا المشروع كان من بنات أفكاره، لتوسيع الثّورة، وزيادة انفتاحها نحو الشّمال[3]، فَبَعَثَ الأمير فَيْصَل برُسُله إلى قبيلة (بلي)، فجاء كافَّة شُيُوخها، وأقسموا يمين الولاء للثّورة، باستثناء الشّيخ سُليمان بن رفاده، الذي

---

(1) مُقتبس من: المصدر نفسه، ص98ـ99.

(2) المصدر نفسه، ص199.

(3) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص 101.

كان مُتعاوناً مع العُثمانيِّين، ثُمَّ جاء الشّيخ عاصي بن عطيَّة شيخ قبيلة عطيَّة، وبعدها التحق بقُوَّات الثّورة الشّيخ نُوري الشّعلان شيخ قبائل الرُّولة، وقد أضاف انضمام الشّيخ نُوري الشّعلان ثقلاً جديداً لقُوَّات الثّورة العَرَبيَّة، بسبب سعة نُفُوذه وقُوَّة مركزه، حتَّى إنَّه كان يُقارن بابن سُعُود[1] وابن الرّشيد[2]. فَضْلاً عن أنَّ انضمام نُوري الشّعلان لقُوَّات الثّورة يعني قُدرة جيش الثّورة العَرَبيَّة على اجتياز وادي السّرحان، الطّريق الصّحراوي الذي يربط الجوف بالأزرق، وسوف يُمكِّن الأمير فَيْصَل من الاتِّصال بقبائل الحويطات الشَّرْقيَّة وشيخهم عودة أبو تايه[3]. وهكذا أصبحت منطقة الوجه مكاناً لاجتماع القبائل، وتوحيد جُهُودها، وفضّ مُنازعاتها، والتي بَذَلَ فيها الأمير فَيْصَل جهداً كبيراً من أجل تحقيق الصّفحة الثّانية من صفحات الثّورة، ألا وهي احتلال العَقَبَة.

وفي الأُسبُوع الأوَّل من آذار عام 1917، وَرَدَتْ برقيَّة إلى الكُولُونيل نيوكومب من رئيس المكتب العَرَبي في القاهرة كلبرت كلايتون؛ مفادها أنَّ فخري باشا قائد حامية المدينة المُنوَّرة، استلم تعليمات من حُكُومته، تقضي بضرورة الانسحاب من المدينة المُنوَّرة، وكانت تعليمات كلايتون تنصُّ على القضاء على حامية المدينة المُنوَّرة في بداية انسحابها، وعدم تمكينها من الوُصُول إلى معان؛ لأنَّ بريطانيا لا تُرحِّب - إطلاقاً - بأنْ يُضاف 25 ألف مُقاتل عُثماني إلى القُوَّات العُثمانيَّة المُرابطة في سيناء. ولمَّا كان نيوكومب في مهمَّة عسكريَّة خارج منطقة الوجه، انتهز لُورنس الفُرصة، ليأخذ على عاتقه تنفيذ أمر السِّر كلبرت كلايتون[4].

إنَّ انسحاب حامية المدينة المُنوَّرة في صالح العَرَب تماماً؛ لأنَّه يمنحهم المدينة المُنوَّرة على طبق من ذهب، ومن دُون قتال، ولكنَّ ذلك في مصلحة بريطانيا كما أشرنا.

---

(1) عبد العزيز بن عبد الرّحمن الفَيْصَل آل سُعُود: (1880 - 1953) وُلد بالرّياض، واستقرَّ مع أبيه في الكُويت عام 1891 م، تولَّى الحُكْم عام 1902. نُودي به ملكاً على الحجاز ونجد عام 1925.

(2) سُعُود بن عبد العزيز آل الرّشيد، تولَّى الحُكْم 1908 - 1920، للتّفاصيل؛ انظر: جبَّار يحيى عُبيد، التّاريخ السّياسي لإمارة حائل، رسالة ماجستير غير منشورة، كُلِّيَّة الآداب، جامعة بغداد، 1987.

(3) Richard Graves, Op. cit., P 40.

(4) T. E. Lawrence, Oriental Assembly, P. 110;

صُبحي العُمري، المصدر السّابق، ص75؛ سُليمان مُوسى، الإنكليز والثّورة العَرَبيَّة، ص42.

لذلك أخذ لُورنس على عاتقه مهمَّة إقناع الأمير فَيْصَل بأنْ يُضحِّي بهدف تحرير المدينة المُنوَّرة من أجل مصلحة بريطانيا. ويقول لُورنس: إنَّ فَيْصَل وافق على الفور، وَوَعَدَ بأنْ يُحاول جاهداً تنفيذ مطلب القيادة البريطانيَّة العامَّة في القاهرة[1]. ولكنْ؛ ما العمل الذي يقوم به البريطانيُّون من أجل ضمان عدم انسحاب حامية المدينة المُنوَّرة؟ هُنا؛ انتبه البريطانيُّون إلى إحداث تخريبات في خطِّ سكَّة الحديد، عن طريق إيفاد ضُبَّاط خُبراء في عمليَّة التَّفجير بالدِّينامیت. والسُّؤال الذي يتبادر إلى الذّهن الآن هُو لماذا لم يقم البريطانيُّون بتدمير خطِّ سكَّة الحديد نهائياً؟ للإجابة عن هذا السُّؤال نقول: إنَّ تدمير سكَّة الحديد نهائياً معناه حرمان الحامية العُثمانيَّة في المدينة المُنوَّرة من أيَّة إمدادات قد تصل إليها من الشّمال، وهذا معناه أنَّ أمر تسليمها مرهون بالوقت فقط. وهذا ما لا يُرحِّب به البريطانيُّون، ولكنْ؛ تدمير نقاط مُنتخَبَة سيجعل القُوَّات العُثمانيَّة تبذل وقتاً وجهداً لتصليحها[2]، لاستمرار وُصُول الإمدادات إليها، وهذا يجعلها تتمتَّع بقُدرة أكبر على البقاء في المدينة المُنوَّرة لأطول مُدَّة مُمكنة. لذا؛ فقد توجَّهت النِّيَّة للعمل على إرباك خُطُوط مُواصلات القُوَّات العُثمانيَّة باتِّجاه الشّمال، لمَنْع انسحابهم أوَّلاً، ولنَشْر الثّورة بين القبائل العَرَبيَّة شمالاً حتَّى دمشق[3].

لذلك؛ كان من رأي لُورنس حَجْز القُوَّة العُثمانيَّة لأيَّام قليلة، لكي يتمكَّن من إلحاق أفدح الخسائر بهم، كما تُوضح ذلك رسالة بَعَثَ بها إلى ولسن جاء فيها: "إذا استطعنا فقط حَجْزهم لمُدَّة عشرة أيَّام."[4]. ويُمكن أنْ نُضيف سبباً آخر جَعَلَ بريطانيا تتَّجه إلى إحداث تخريب في سكَّة الحديد، وهُو أنَّ ذلك يُؤدِّي إلى نتيجة بعيدة المدى لهم، وهي إجهاض أيَّة مُحاولة وَحْدَويَّة بين الحجاز وسُورية، لكونه الشّريان الوحيد على الأرض الذي يربط عَرَب الحجاز بإخوانهم في الشّمال، حتَّى إنَّهم أوعزوا إلى ابن سُعُود بتدمير الخطِّ بعد أنْ استولى على الحجاز[5].

---

(1) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص104.

(2) محمُود صالح منسي، حَرَكَة اليَقَظَة العَرَبيَّة في الشَّرْق الآسيوي، القاهرة، دار الاتِّحاد العَرَبي، 1972، ص313.

(3) Llewellyn Woodward, Great Britam and the War of 1914-1918, London, Metuen and Co. Ltd., 1967, P. 119.

(4) Quoted in: Richard Graves, Op. cit., P. 40.

(5) مُحَمَّد صُبيح، مواقف حاسمة في تاريخ القوميَّة العَرَبيَّة، القاهرة، 1965، ص394.

اجتمع لُورنس بالأمير فَيْصَل لتقرير الخُطط الجديدة، وتقرَّر العمل السّريع لتخريب خطِّ السّكَّة الحديديَّة؛ إذْ كَتَبَ إلى كلايتون يُخبره أنَّه اتَّفق مع الأمير فَيْصَل على تسيير السّرايا لهذا العمل، وأنَّه مُتوجِّه في طريقه غداً إلى مُعسكر الأمير عبد الله للعمل على تنفيذ هذه الخُطَّة برفقة عدد من الرّجال الذين انتخبهم الأمير فَيْصَل لحمايته[1].

غادر لُورنس منطقة الوجه بتاريخ 10 آذار عام 1917، عليلاً لا يقوى على المسير، لإصابته بمرض الدّزنتاريا، حتَّى وَصَلَ إلى مُعسكر الأمير عبد الله في 15 آذار عام 1917، مُعرباً عن رغبته في تدمير الخطِّ الحديدي، واتَّهم الأمير عبد الله بعدم تحمُّسه لخُطَّته، وادَّعى أنَّ الأمير عبد الله تَرَكَ الحديث عن أُمُور الثّورة، ليُحدِّثه عن العائلات المالكة في أُورُوبا، وحُرُوب السّوم، كما ادَّعى أنَّه شكا إليه بُطء تقدُّم قُوَّات الثّورة العَرَبيَّة[2].

لم يكن الأمير عبد الله غير مُتحمِّس لخُطَّة تدمير سكَّة حديد الحجاز كما ادَّعى لُورنس، بقدر ما كان غير مُتحمِّس لقُدُوم شخص لُورنس إلى مُعسكره، كما اعترف في مُذكّراته:

"... لم أكن بالفرح المسرور لقُدُومه؛ حيثُ علمي بتأثيره المُعاكس في العشائر المُتعصِّبة."[3]. هذا؛ فَضْلاً عن أنَّ الأمير عبد الله كان يخشى من تعاظم نُفُوذ لُورنس في صُفُوف قُوَّاته، كما تعاظم نُفُوذه في جيش الأمير فَيْصَل، فلم يكن الأمير عبد الله يرغب في أنْ يكتسب لُورنس لَقَبَ ملك العَرَب غير المُتوَّج وهُو بين قُوَّاته، كما حَصَلَ على هذا اللّقب وهُو في جيش الأمير فَيْصَل[4]. هذا من جانب، ومن جانب آخر رُبَّما يعود الأمر في موقف الأمير عبد الله السّيِّئ من لُورنس، إلى تأثير الكابتن راهو Raho، عُضْو البعثة العسكريَّة الفرنسيَّة، الذي كان على علم مسبق بالخلافات القائمة بين رئيسه بريمون وبين لُورنس، فهُو - والحالة هذه - لا يرغب - إطلاقاً - أنْ يكون للُورنس أيُّ شأن في قُوَّات الأمير عبد الله[5].

---

(1) صُبحي العُمري، المصدر السّابق، ص75.

(2) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص109.

(3) مُقتبس من: عبد الله بن الحُسَيْن، المُذكّرات، ص133.

(4) عبد الله بن الحُسَيْن، الأمالي السّياسيَّة، عمَّان، مطبعة جريدة الأُردُن، 1939، ص13.

(5) Richard Graves, Op. cit., P. 42.

ومهما يكن من أمره؛ فقد طَلَبَ لُورنس من الأمير عبد الله البدء بمهمَّته، والقيام بهُجُوم على سكَّة الحديد، وكان الهدف هذه المرَّة هُو محطَّة أبي النّعم. تألَّفت هذه الحَمْلَة من الشّريف شاكر ولُورنس والكابتن راهو، بالإضافة إلى الشّريف فوزان الحارث مع 300 مُقاتل. وما إنْ وَصَلَت القُوَّة إلى المحطَّة حتَّى تقرَّر وَضْع الألغام شمالاً وجنوباً، وقد وضع لُورنس أحد هذه الألغام، وفي اليوم التّالي؛ تمَّ قَصْفُ المحطَّة بالمدفع الجبلي الذي تملكه القُوَّة، كما استطاعت هذه القُوَّة الاستيلاء على مخفرَيْن، وتكبيد القُوَّة العُثمانيَّة خسائر كبيرة، ثُمَّ عادت الحَمْلَة إلى نُقطة انطلاقها في وادي العيص. وتُعَدُّ هذه العمليَّة أوَّل عمليَّة في زَرْع الألغام يقوم بها لُورنس[1]. كما اشترك - أثناء وُجُوده في وادي العيص - بعمليَّة ثانية؛ إذْ رافق حَمْلَة بقيادة دخيل الله القاضي.

وكانت وُجهة هذه الحَمْلَة هُو تدمير خُطَّة السّكَّة الحديديَّة بين محطَّتَيْ هديَّة والمُدرَّج، وبمُساعدة لُورنس؛ قامت القُوَّة بزَرْع الألغام، ونَسَفَتْ قطاراً، ودمَّرت جسراً، وَقَطَعَتْ أسلاك الهاتف الموجُودة في المنطقة[2].

وفي مُنتصف شهر نيسان؛ تَرَكَ لُورنس منطقة وادي العيص مُتوجِّهاً إلى ميناء الوجه، مقرِّ جيش الأمير فَيْصَل، ويُحدِّد لُورنس أسباب تَرْكه مُعسكر الأمير عبد الله بالخُمُول الذي دبَّ في المُعسكر، وعدم إبداء الأمير عبد الله أيَّ نشاط ضدَّ الحاميات العُثمانيَّة، فَضْلاً عن أنَّه لم يكن هُناك أيُّ مُبرّر آخر لبقائه، خُصُوصاً؛ بعد أنْ أنجز مهمَّته على خير وجه على حَدِّ تعبيره[3].

- دور لُورنس في خُطَّة تحرير ميناء العَقَبَة:

استُكملت الاستعدادات اللاَّزمة لبدء المرحلة الجديدة من مراحل الثّورة العَرَبيَّة، أثناء غياب لُورنس وعمله في مفرزة التّخريب التّابعة لقُوَّات الأمير عبد الله، فقد نُقلت جميع المُؤن والإمدادات من ميناء يَنْبُع إلى ميناء الوجه، فأصبحت الوجهُ القاعدةَ الرّئيسةَ لقُوَّات الأمير

---

(1) Ibid., PP. 42-43.

(2) للاطّلاع على وَصْف كامل لهذه العمليَّة؛ انظر: لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص112 - 116.

(3) المصدر نفسه، ص118 - 119.

فَيْصَل، كما وَصَلَتْ العديد من السيَّارات والكثير من المُؤن والجُنُود من القاهرة[1]. ولكنَّ الحَدَثَ الأهمَّ الذي أضاف ثقلاً كبيراً لقُوَّات الثّورة العَرَبيَّة، هُو التحاق الشّيخ عودة أبي تايه، من زُعماء قبيلة الحويطات، ولكي تنجح الثّورة العَرَبيَّة في التَّقدُّم شمالاً إلى سُورية، يتطلَّب ذلك وُجُود قاعدة محلِّيَّة تنطلق منها، ولَمَّا كان عودة أبو تايه وعشيرته يمتلكان كافَّة مُقوِّمات القاعدة لهذا التَّقدُّم، فإنَّ انضمامه كان له أثر بالغ في تقدُّم الثّورة ونجاحها[2].

أُعجب لُورنس بالشّيخ عودَّة أبو تايه لسُمعته العريضة التي ملأت الآفاق، فَكَتَبَ عنه وَصْفَاً مُعبِّراً في أحد أعداد النَّشْرة العَرَبيَّة عام 1917، وممَّا جاء فيها: "إنَّه زعيم التّوايه... في الخمسين من عُمره تقريباً، ولكنَّ قامته مُنتصبة كالرّمح. إنَّه ضامر البدن، قويٌّ، خفيف الحَرَكَة، له نشاط الشّباب... وبفَضْل زعامته صار التّوايه أكفأ قُوَّة مُحاربة في غرب الجزيرة العَرَبيَّة... إنَّ عودة فُسيفساء ذات رونق كيشوتي، وعندما يموت، فإنَّ العُصُور الوُسْطى للصّحراء تكون قد بَلَغَتْ نهايتها"[3].

ولأجل إكمال المرحلة القادمة من الثّورة العَرَبيَّة، كانت هُناك خُطَّتان تتعارضان في مضمونهما: الأُولى؛ هي القيام بهُجُوم واسع على المدينة المُنوَّرة، تلك الخُطَّة التي عارضها لُورنس بشدَّة، وكانت مُبرِّراته في رَفْض هذه الخُطَّة أنَّ حامية المدينة المُنوَّرة قد تقلَّصت إلى حَدٍّ كبير، فَضْلاً عن أنَّ الجُنُود العُثمانيِّين بدؤوا يأكلون جمالهم التي لا يستطيعون تقديم الأعلاف إليها، كما أنَّ المدينة المُنوَّرة لا تُمثِّل قاعدة كميناء الوجه[4]. أمَّا الخُطَّة الثّانية؛ فهي مُحاولة بريطانيا الهُجُوم على العَقَبَة من البحر. وبالفعل؛ فقد تعرَّضت العَقَبَة لهُجُوم من قبَل البحريَّة البريطانيَّة بتاريخ 20 نيسان 1917؛ حيثُ أُجبرت حامية العَقَبَة العُثمانيَّة على الانسحاب إلى التّلال المُحيطة بالعَقَبَة، والتَّحصُّن بها، فلم تتمكَّن القُوَّات البريطانيَّة ـ والحالة هذه ـ من التَّقدُّم والبقاء في العَقَبَة، فعادت أدراجها في عرض البحر الأحمر[5]. ولم تبقَ إلاَّ

---

(1) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص118؛ Richard Graves, Op. cit., P. 43.

(2) سُليمان مُوسى، عودة أبو تايه فاتح العَقَبَة، "مجلَّة العَرَبي"، الكُويت، العدد 49، 1966، ص30.

(3) مُقتبس من: المصدر نفسه، ص32.

(4) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص108؛ Richard Graves, Op. Cit., P. 44.

(5) Richard Graves, Op. cit., P. 40. "مجلَّة الدُّستُور"، العدد 378، 3 حُزيران، 1985، ص55.

مُحاولة مُهاجمة العَقَبَة عن طريق احتلال التّلال الوعرة التي تُحيط بها من جانب الشّرْق، على الرّغم من خُطُورة مثل هذا العمل؛ لأنَّه يتطلَّب وقتاً وجهداً كبيراً، ولكنْ؛ مَنْ الذي وَضَعَ خُطَّة الهُجُوم على العَقَبَة من التّلال؟ هل هُو فَيْصَل أم لُورنس أم عودة أبو تايه؟

لم يتَّفق الكُتَّاب الذين درسوا الثّورة العَرَبيَّة وأحداثها، وحتَّى الذين درسوا شخصيَّة لُورنس، حول مُبتدع خُطَّة مُهاجمة العَقَبَة، ويُمكن أنْ نُقسِّم الآراء التي حَصَلْنَا عليها إلى اتِّجاهَيْن:

1 ـ اتِّجاه يُمثِّل وُجهة النَّظَر العَرَبيَّة. وهُو اتِّجاه مُدعَّم بالأدلة؛ لأنَّ أصحاب هذا الرّأي قد عايشوا هذا الحَدَثَ، أو شاركوا فيه.

2 ـ اتِّجاه يُمثِّل وُجهة النَّظَر الأُورُوبيَّة، وهُو يضيف هالة من المُبالغة والتّهويل على دور لُورنس هذه العمليَّة.

ولأجل معرفة مُبرِّرات أصحاب الاتِّجاه الأوَّل، فقد آثرنا الاعتماد على مُشاهدات بعض مَنْ شاركوا في صُنع هذا الحَدَث؛ حيثُ يرى فائز الغُصَيْن، الذي رافق الأمير فَيْصَل، أنَّ خُطَّة احتلال العَقَبَة كانت بالاتِّفاق بين كُلٍّ من فَيْصَل وعودة أبي تايه، وولسن، القُنْصُل البريطاني في جدَّة، ففي أحد الاجتماعات في ميناء الوجه بتاريخ 19 نيسان 1917، تعهَّد عودة أبو تايه أنْ يفتح العَقَبَة، ويمضي فائز الغُصَيْن إلى القول: "علمتُ من الشّريف ناصر[1] أنَّ الحَمْلَة سارت بقيادته وتحت علم عودة أبي تايه، وكان في عداد زُعماء الحَمْلَة نسيب البكري[2]... وأنْ يكون لُورنس مع الحَمْلَة كمُستشار يُستعان بآرائه السّياسيَّة والعسكريَّة"[3].

---

(1) الشّريف ناصر بن عليّ: (1890 ـ 1934) من آل الشّريف، وأوَّل شخص نادى بفكْرة الثّورة العَرَبيَّة في المدينة المُنوَّرة، ثُمَّ عمل نائباً لفَيْصَل في قيادة جيشه الزّاحف على دمشق. وبعد احتلال دمشق غادرها إلى مكَّة، فبغداد التي تُوفِّي فيها. للتّفاصيل؛ راجع: مُذكّرات رُستُم حيدر، تحقيق نجدة فتحي صفوت، بيرُوت، الدّار العَرَبيَّة للموسُوعات، 1988، ص5.

(2) نسيب البكري: (1888 ـ 1966) وُلد في بيرُوت، ودخل المدرسة السُّلطانيَّة عام 1912. انضمَّ إلى جَمْعيَّة العَرَبيَّة الفتاة، وعمل مُستشاراً للأمير فَيْصَل في سُورية 1920. انضمَّ إلى جَمْعيَّة العَرَبيَّة الفتاة، وعمل مُستشاراً للأمير فَيْصَل في سُورية 1920. شارك في الثّورة السُّوريَّة عام 1925، ثُمَّ انْتُخب نائباً عن دمشق عام 1932. تولَّى عدداً من المناصب الرّفيعة أهمّها مُحافظاً عام 1937، ووزيراً للاقتصاد والزّراعة عام 1941، وعمل وزيراً مُفوَّضاً لسُورية في الأُردُن عام 1956. للتّفاصيل؛ انظر: خير الدِّين الزّركلي، الأعلام، المُجلَّد الثّامن، ص18 ـ 19.

(3) نقلاً عن: سُليمان مُوسى، وُجُوه وملامح شخصيَّة لبعض رجال السّياسة والقَلَم، عمَّان، مطابع دار الشّعب، 1980، ص93.

وإنَّ اسم لُورنس لم يكن من ضمن الرّجال المُرشَّحين للقيام بهذه الحَمْلَة، إلاَّ بعد أنْ استأذن الأمير فَيْصَل بأنْ يُرافق الحَمْلَة[1]. أمَّا نسيب البكري الذي رافق الحَمْلَة؛ فيعتقد أنَّ الخُطَّة قد تمَّت بالاتِّفاق بين فَيْصَل وعودة أبي تايه. ولأجل إعطاء هذه الحَمْلَة الصّيغة السّياسيَّة والطّابع الشّريفي، ارتأى الأمير فَيْصَل أنْ يعهد بقيادتها إلى الشّريف ناصر[2]. كما يتبيَّن لنا من رسالة بَعَثَ بها الأمير فَيْصَل إلى والده، من أنَّ اسم لُورنس لم يكن من ضمن الأسماء المُرشَّحة لقيادة الحَمْلَة[3].

ويُعَدُّ رأي الشّريف ناصر من الآراء الموثوقة في هذا المجال؛ لأنَّه كان قائداً لهذه الحَمْلَة، ومن المُقرَّبين للأمير فَيْصَل، وممَّا قاله في هذا المجال: إنَّ خُطَّة تحرير العَقَبَة كانت في ذهن الأمير فَيْصَل بعد أن قامت قُوَّاته بتحرير منطقة الوجه، وبعد وُصُول عودة أبي تايه إلى مُعسكر فَيْصَل تحوَّلت خُطَّة تحرير العَقَبَة من مُجرَّد فكْرة حبيسة في دماغ فَيْصَل إلى مرحلة التّخطيط والتّنظيم، ويرى - كذلك - أنَّ الاجتماعات التي كانت تُعقد للتّداول في أمر الهُجُوم كانت سرِّيَّة يحضرها ستَّة أشخاص - فقط - وهُم: الأمير فَيْصَل، وعودة أبو تايه؛ بصفته خبيراً في المنطقة والعشائر، ونسيب البكري؛ بصفته الخبير بالدُّرُوز، وزكي الدُّرُوبي؛ باعتباره خبيراً عسكرياً، وفائز الغُصَيْن؛ بصفته أحد مشايخ الدُّرُوز، وهُو - أيْ الشّريف ناصر -؛ بصفته قائداً للحَمْلَة ورسولاً لفَيْصَل ومُمثِّلاً للملك حُسَيْن[4].

أمَّا أصحاب الاتِّجاه الثّاني؛ فهم يُبالغون في مقدرة لُورنس، وينسبون له الفَضْل في تحرير العَقَبَة تخطيطاً وقيادة. ويرى هؤلاء أنَّ خُطَّة الهُجُوم على العَقَبَة كانت من إبداع لُورنس، وأنَّه أدار جيش فَيْصَل وُفقاً لما كان يتَّفق مع مصلحته[5]، وأنَّ لُورنس هُو الذي

---

(1) صُبحي العُمري، المصدر السّابق، ص80.

(2) نقلاً عن سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص83.

(3) انظر الرّسالة التي بَعَثَ بها الأمير فَيْصَل إلى الملك حُسَيْن بتاريخ 17/ 4/ 1917، في كتاب: سُليمان مُوسى، المُراسلات التّاريخيَّة 1914 - 1918، المُجلَّد الأوَّل، عمَّان، 1973، ص103.

(4) نقلاً عن: صُبحي العُمري، المصدر السّابق، ص94.

(5) Lowell Thomas, Op. Cit., P. 85.

وَضَعَ خُطَّة تحرير العَقَبَة، وهُو الذي قاد الفرقة التي قامت بتحريرها[1] وأنَّ تحرير العَقَبَة جاء بمُبادرة خاصَّة من قبَل لُورنس[2].

وعلى الرّغم من كُلِّ ما قيل، فإنَّ خُطَّة تحرير العَقَبَة كانت في ذهن لُورنس، ذلك أنَّ تحرير هذه البناء هُو الطّريق لاحتلال سُورية، الهدف الذي عمل لُورنس على تحقيقه، مُنذُ بداية وُصُوله إلى الحجاز، ولكنَّه لم يشترك في التّخطيط له. وهكذا؛ وبعد أنْ اتَّضح لنا موقع لُورنس في هذه الحَمْلَة، فمن الواجب أنْ نتبيَّن صحَّة الادِّعاءات التي أطلقها من أنَّه كان القائد لهذه الحَمْلَة، وأنَّ جُهُوده هي التي أثمرت في تحرير العَقَبَة؛ حيثُ تُؤكِّد الرّسائل المُتبادلة - بين كُلٍّ من الأمير فَيْصَل والشّريف ناصر - أنَّ دوره اقتصر على تخريب أجزاء من السّكَّة الحديديَّة، ولم يكن بقائد الحَمْلَة، حتَّى إنَّه لم يكن يقود مفرزة التّخريب، بل كانت بقيادة زعل بن مُطلق ابن أخ عودة أبي تايه، كما أشار إليها الشّريف ناصر في إحدى رسائل بقوله: "... وأرسلنا سريَّة بقيادة زعل بن مُطلق ومعهم لُورنس"[3]. وممَّا ذَكَرهُ نسيب البكري - عن دور لُورنس في هذه الحَمْلَة - أنَّه لم يكن سوى ضابط تخريبات يُرسله قائد الحَمْلَة الشّريف ناصر بناء على قرار منه، أو من عودة ابن تايه مع المفارز التي كان يُرسلها لتخريب خطِّ السّكَّة الحديديَّة، كما أشار أنَّه كان يسير أثناء الحَرَكَة في مُؤخّرة الحَمْلَة مع الجمال السِّتَّة المُحَمَّلَة بالمُفرقعات، وفي حالة الإقامة؛ كان ينام إلى جانب الجمال[4].

وعلى أيَّة حال؛ تحرَّكت الحَمْلَة من قاعدة الوجه بتاريخ 19 أيار عام 1917، وكانت تضمُّ - إضافة إلى الشّريف ناصر، الذي عُيِّن من قبَل الأمير فَيْصَل قائداً للحَمْلَة - كُلاً من عودة أبي تايه، ونسيب البكري، الذي أُوكلت إليه مهمَّة الاتِّصال مع شيخ قبائل الدُّرُوز، ولُورنس الذي طَلَبَ من فَيْصَل أنْ يصحب الحَمْلَة، للمُساهمة في زَرْع الألغام، وقد صحب

---

(1) مُقتبس من: أنتوني ناتنع ولويل تُوماس، المصدر السّابق، ص119 - 122.

(2) Hubert Young, Op. Cit., P. 140.

(3) انظر رسالة الأمير فَيْصَل التي بَعَثَ بها إلى والده بتاريخ 17/ 4/ 1917، حول تحرُّكات الجيش الشّمالي، وكذلك رسالة الشّريف ناصر إلى الأمير فَيْصَل التي بَعَثَهَا من العَقَبَة بتاريخ 6/ 7/ 1917، في كتاب: سُليمان مُوسى، المُراسلات التّاريخيَّة، المُجلَّد الأوَّل، ص103 و125.

(4) نقلاً عن صُبحي العُمري، المصدر السّابق، ص87.

الحَمْلَة 35 مُتطوِّعاً من بدو عقيل، ومُنح قائد الحَمْلَة مبلغاً قدره عشرون ألف ليرة لاستعمالها في كَسْب القبائل مع كمِّيَّة من المُؤن والبنادق[1].

مرَّت الحَمْلَة - في طريق سَيْرها - بواحة السُّكَّر، بعدها؛ توجَّهت باتِّجاه الشَّمال الشَّرْقي، وَعَبَرَتْ خطَّ السِّكَّة الحديد؛ حيثُ قامت قُوَّة من الحَمْلَة بنَسْف عدد من قُضبان السِّكَّة الحديد، وَقَطَعَتْ أسلاك الهاتف، ثُمَّ استمرَّت الحَمْلَة في سَيْرها باتِّجاه سهل الحول، حتَّى وَصَلَتْ إلى سهل البسيطة، بعدها؛ توجَّهت إلى وادي السِّرحان، ثُمَّ بلغت موقعاً يُقال له العيساويَّة، بعد أنْ عانت الأمرَّيْن في عُبُورها صحراء وادي السِّرحان[2].

وبتاريخ 27 أيار عام 1917، قُسِّمَتْ قُوَّة الحَمْلَة إلى عدَّة أقسام، لكُلِّ قسم مهمَّة خاصَّة يُؤدِّيها، فَذَهَبَ عودة أبو تايه مُحمَّلاً بأموال كثيرة، مُحاولاً إقناع نُوري الشَّعلان، الذي لم يجهر بعدائه للعُثمانيِّين إلى هذا الحين، بكتمان أمر تحرُّك الحَمْلَة. كما تمَّ استدعاء حُسَيْن باشا الأطرش من قبَل نسيب البكري، للاجتماع به في قريات الملح، وتباحثا في إمكانيَّة القيام بحركات ثوريَّة في جبل الدُّرُوز، كما اتَّفقا على العودة إلى الجبل، لكي يبدأ نسيب البكري اتِّصالاته بالزُّعماء السُّوريِّين المُؤيِّدين لفكْرة الثَّورة، وهكذا انفصل نسيب البكري عن الحَمْلَة للقيام بمهمَّته تلك. أمَّا الشَّريف ناصر ولُورنس؛ فإنَّما بقيا في منطقة النَّبك[3].

ادَّعى لُورنس - أثناء وُجُوده مع الشَّريف ناصر في النَّبك - أنَّه قام برحلة إلى سُورية، للالتقاء بأصدقاء فيصل القُدامى، وادَّعى أنَّه وَصَلَ إلى ضواحي دمشق، واختبأ في القابون في مُمتلكات آل البكري، وأرسل رسولاً من آل البكري إلى عليّ رضا باشا الرِّكابي[4].

---

(1) جُورج أنطُونيُوس، المصدر السَّابق، ص321؛ ريتشارد الدنكتون، المصدر السَّابق، ص188؛ سُليمان مُوسى، الحُسَيْن بن عليّ والثَّورة العَرَبيَّة الكُبرى، ص137؛ سُليمان مُوسى، صُور من البُطُولة، عمَّان، المطبعة الهاشميَّة، 1968، ص13، عليّ سُلطان، تاريخ سُورية 1908 - 1918 نهاية الحُكْم التُّركي، دمشق، بلا، 1987، ص446.

(2) Richard Graves, Op. Cit., P.45.

(3) جُورج أنطُونيُوس، المصدر السَّابق، ص321؛ سُليمان مُوسى، لُورنس العَرَب، ص86.

(4) عليّ رضا باشا الرِّكابي: (1866 - 1942) وُلد في دمشق، وتخرَّج في المدرسة الحَرْبيَّة في إستانبول، شغل منصب أوَّل رئيس وُزراء في الحُكُومة العَرَبيَّة في دمشق. وبعد احتلال سُورية من قبَل الفرنسيِّين؛ غادر إلى مصر، فالحجاز، ثُمَّ إلى شرقي الأُردُن، التي تولَّى فيها منصب رئيس الوُزراء مرَّتَيْن، ثُمَّ عاد إلى سُورية عام 1926، التي أقام فيها حتَّى وفاته. للتَّفاصيل؛ انظر: مُذكِّرات رُستُم حيدر، ص188.

فأسرع الأخير للقائه مُتخفِّياً في 13 حُزيران 1917، وكان الغرض من مُقابلته هُو تشجيع القُوَّات العَرَبيَّة العاملة في الجيش العُثماني على تَرْكه والانضمام إلى القُوَّات العَرَبيَّة عند دُخُولها دمشق[1].

أُثيرت حول رحلة لُورنس تلك شُكُوك كثيرة، واعتبرها البعض في عداد المُبالغات التي يحفل بها كتابه "أعمدة الحِكْمَة السّبعة"، بينما وقف البعض منها موقف المُحايد، وتساءلوا - فقط -: لماذا لم يُفصِّل لُورنس عن رحلته تلك في كتابه السّالف الذِّكْر. ومن خلال الأدلَّة المُتوفِّرة لدينا؛ يتبيَّن لنا أنَّ رحلة لُورنس تلك رحلة مُختلَقَة، ولا أساس لها من الصّحَّة، فلم يذكر لُورنس مُقابلته مع عليّ رضا باشا الرّكابي في كتابه، بينما نراه في التقرير الذي رَفَعَهُ إلى رئيسه كلبرت كلايتون عن احتلال العَقَبَة، يُؤكِّد - صراحة - أنَّه التقى هذه الشّخصيَّة. كما أنَّ نسيب البكري - الذي كان قريباً جداً من لُورنس، بوَصْفه أحد قادة الحَمْلَة - يُؤكِّد أنَّ لُورنس لم يترك المنطقة حتَّى تحرَّك مع الشّريف ناصر وعودة أبي تايه إلى باير. هذا؛ فَضْلاً عن أنَّ خُطُورة المنطقة والعداوة المُتأصِّلة بين البدو وسُكَّان تلك المناطق، تجعل المُرُور فيها ضرباً من المُستحيل[2].

أمَّا زكي الدُّرُوبي الذي رافق الحَمْلَة؛ فقد أخبر فائز الغُصَيْن، الذي لم يُرافق الحَمْلَة أصلاً، أنَّ أمراً مُهمّاً كهذا ما كان من المُمكن أنْ يخفى عليه، وأضاف أنَّ لُورنس ما كان يستطيع أنْ يتنقل في البوادي بين قبائل العَرَب، ويذهب إلى دمشق، وجبل الدُّرُوز في فترة كانت الحَرْب فيها قائمة، وعزا ادِّعاءات لُورنس تلك إلى مُيُوله الخياليَّة والأدبيَّة[3].

ويُضيف أكرم الرّكابي دليلاً آخر على عدم صحَّة ادِّعاء لُورنس؛ حيثُ يُؤكِّد أنَّ والده لم يلتق بلُورنس، بعد لقائه الأوَّل به في قرقميش عام 1913، عندما كان يعمل في التّنقيب عن الآثار. وكان لقاؤهما الثّاني في دار البلديَّة في دمشق، يوم أُعلنت الحُكُومة العَرَبيَّة في دمشق

---

(1) David Garnett, Op. Cit., P.120.

محمُود صالح منسي، المصدر السّابق، ص315، علاء جاسم مُحَمَّد، المصدر السّابق، ص37، أنيس صايغ، الهاشميُّون والثّورة العَرَبيَّة، بيرُوت، المطبعة الكاثُوليكيَّة، 1966، ص99.

(2) نقلاً عن: سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص92.

(3) "جريدة الرّأي"، عمَّان، العدد 943، 15 أيلول، 1993.

في تشرين الأوّل عام 1918، وفي هذا اللّقاء ذكّره لُورنس بنفسه قائلاً: "ألا تذكرني يا باشا؟"، فقال له عليّ رضا باشا الرّكابي: "أظنُّ أنّك عُضْو بعثة الحفريّات"، ومعنى ذلك أنّ عليّ رضا باشا الرّكابي لم يُشاهد لُورنس إلاّ مرّتَيْن؛ الأُولى عام 1913، في بعثة الحفريّات، والثّانية في دمشق عند تحريرها من قبَل القُوّات العَرَبيّة[1].

استمرّت الحَمْلَة في سيرها حتّى بلغت الجفر بتاريخ 28 نيسان 1917، ثُمّ تقدّمت إلى محطّة غدير الحاجّ، التي تقع إلى الجنوب من معان، في حين تحرّكت مجموعة صغيرة إلى الشّمال من معان، واستطاعت تلك المجموعة من إجراء عدّة تخريبات في خطّ سكّة الحديد. وفي 2 تمّوز 1917، وَصَلَتْ أنباء تُفيد أنّ حَمْلَة عُثمانيّة وَصَلَتْ إلى آبار أبي اللّسن، واستطاعت هذه القُوّة احتلال مخفر الفويلة والمضيق الذي يُسيطر على طريق العَقَبَة، فتراجعت القُوّة العَرَبيّة، وتحصنت في التّلال المُحيطة بسهل القويرة، فَعَزَمتْ القُوّة العَرَبيّة على مُهاجمة أبي اللّسن لكي يُصبح طريق العَقَبَة سالكه أمامها[2] وبينما كان العُثمانيُّون نائمين في الوادي، طوّقتهم قُوّات الحَمْلَة، وبدأت هُجُومها عند الفجر، عاملة فيهم قتلاً وتشريداً، وأسفرت هذه المعركة عن تكبُّد العُثمانيّين خسارة فادحة تُقدّر بـ"300" جُنْدي قتيل، مع أسْر 160 جُنْدياً.

أمّا لُورنس؛ فلم يكن له أيُّ دور في هذه المعركة المُهمّة، فبعد أنْ همّ بالمُشاركة أُصيب جَمَلُهُ بإطلاق ناريٍّ، فَسَقطَ - من جرّاء ذلك - مغشيّاً عليه، ولم يستفقْ إلاّ بعد انتهاء المعركة بانتصار العَرَب[3]. ثُمّ واصلت القُوّات العَرَبيّة تقدُّمها، فاحتلّت موقعَيْ الكويرة وكتارة، وتمّ أسْر 120 جُنْدياً عُثمانياً، فلم يكن أمام القُوّات العُثمانيّة إلاّ التّحصُّن في موقع الخضرا، الموقع المُحصّن الذي يُحيط بالعَقَبَة، ولكنّ بقاء القُوّة العُثمانيّة لم يستمرّ طويلاً؛ حيثُ استسلمت للقُوّات العَرَبيّة بتاريخ تمّوز عام 1917، بعدما أدركت عدم جدوى المُقاومة[4].

---

(1) نقلاً عن: خيريّة قاسميّة، الحُكُومة العَرَبيّة في دمشق بين 1918 - 1920، القاهرة، دار المعارف، 1971، ص132.

(2) أمين المُميّز، عودة إلى اتّفاقيّة فَيْصَل - وايزمن القسم الثّاني، ص53.

(3) صُبحي العُمري، المصدر السّابق، ص97.

(4) Richard Graves Op. Cit., P. 54.

بعد أنْ استسلمت الحامية العُثمانيَّة نزلت القُوَّات العَرَبيَّة إلى العَقَبَة، فَكَتَبَ الشّريف ناصر إلى الأمير فَيْصَل يُبشِّره بنبأ تحرير هذا الميناء الحيوي المُهمّ، ذلك لأنَّ تحريره قد قَطَعَ الطّريق أمام العُثمانيِّين للهُجُوم على مصر[1].

شَعَرَ العَرَب - بعد احتلالهم للعَقَبَة - بمُشكلة قد تقضي على انتصارهم، فما كان معهم من مال قد نَفدَ، كما أنَّ أرزاقهم نَفَدتْ هي الأُخرى. وبالمُقابل؛ فإنَّ أعداد الرّجال في الحَمْلَة قد تزايد بشكل كبير؛ إذْ أُضيف إليها ما يُقارب من 700 أسير عُثماني. لذا؛ فقد تحتَّم على الشّريف ناصر - وهُو قائد الحَمْلَة - أنْ يُفكِّر في حلٍّ مُعيَّن، لكنْ؛ ما الحلُّ، وقد أصبحت طُرُق المُواصلات والإمداد بعيدة؟ فكَّر الشّريف ناصر في المسافة التي تفصل قُوَّاته عن القُوَّات البريطانيَّة، وهل هي أقرب من المسافة التي تفصله عن الأمير فَيْصَل؟ وهُنا؛ يُؤدِّي لُورنس دوراً بارزاً استطاع من خلاله إنقاذ القُوَّة التي احتلَّت ميناء العَقَبَة من الهلاك. فقد استدعاه الشّريف ناصر، وأخبره حول جدوى الاتِّصال بالبريطانيِّين، فوافقه لُورنس، وأعلن أنَّ بإمكانه الاتِّصال بهم، وسيُواصل اللّيل بالنّهار، لكي يُؤمِّن المُؤن والمال لقُوَّات الحَمْلَة، كما أنَّه سيطلب من القيادة البريطانيَّة استلام الأسرى للتَّخلُّص منهم. فأمر الشّريف ناصر أنْ يُرافقه عدد من الهجَّانة للذّهاب معه إلى السُّويس[2] ويدَّعي لُورنس أنَّ ذهابه إلى السُّويس جاء بمُبادرة خاصَّة منه، وبأنَّه هُو صاحب القرار في الذّهاب إلى القُوَّات البريطانيَّة[3]. ويبدو أنَّه أدرك أنَّ الفُرصة قد واتته ليكون أوَّل شخص ينقل نبأ تحرير العَقَبَة إلى القيادة البريطانيَّة، فوافق على الفور للقيام بهذه المهمَّة. حينئذ؛ شَعَرَ الشّريف ناصر ومَنْ معه بفائدة وُجُود لُورنس لأوَّل مرَّة مُنذُ خُرُوجهم من الوجه، وهو الذي كان يُضايقهم وُجُوده[4].

---

(1) مُحَمَّد بديع شريف، زكي المحاسني، أحمد عزَّت عبد الكريم، دراسات تاريخيَّة في النّهضة العَرَبيَّة الحديثة، القاهرة، معهد الدّراسات العَرَبيَّة العالية. د. ت، ص458.

(2) صُبحي العُمري، المصدر السّابق، ص99، مُؤرِّخ الثّورة العَرَبيَّة، الملك فَيْصَل الأوَّل بيرُوت، مطبعة الدّبور، د. ت، ص44.

(3) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص155.

(4) صُبحي العُمري، المصدر السّابق، ص99.

وَصَلَ لُورنس السُّويس، ومن ثمَّ؛ للقاهرة حاملاً أنباء سُقُوط ميناء العَقَبَة، بعد مسيرة أربعة أيَّام تحمَّل خلالها مشاقّ كثيرة؛ حيثُ سُرَّت القيادة البريطانيَّة لهذا النّبأ كثيراً. وذلك أنَّها كانت تعتقد أنَّ احتلال العَقَبَة من المخاطر العسكريَّة التي لا تُحمد عُقباها. وكان لسُرُورها أثر بالغ؛ إذْ وافقت على إرسال الباخرة دوفرين Dofrin وهي مُحَمَّلة بالمُؤن والمُساعدات مع مبلغ كبير إلى الشّريف ناصر لتسديد المبالغ المُستحقَّة بذمَّته للقبائل التي قاتلت معه، كما جرى الاتِّصال مع قيادة الأُسْطُول البريطاني لتأمين إرسال المُساعدات العسكريَّة إلى ميناء العَقَبَة[1].

ويعتقد البعض ـ ممَّن تحدَّثوا في مُؤلَّفاتهم عن هذه المعركة ـ أنَّ الفَضْل في احتلال العَقَبَة لم يكن يعود إلى جُهُود لُورنس الشّخصيَّة، بل إلى الأموال الطّائلة التي أنفقها لُورنس كرشاوى للضُّبَّاط العُثمانيِّين. وهذه الأموال هي التي مكَّنت العَرَب من دُخُول العَقَبَة[2]. ومع تسليمنا بأنَّ جُهُود لُورنس كانت ثانويَّة في هذه الحَمْلَة، وأنَّ احتلال العَقَبَة لم يتمَّ بجُهُوده وحده، ولا نُنكر ما لهذه الأموال من أهمِّيَّة في تعبئة القبائل. ولكنْ؛ أنْ يمنحها لُورنس رشاوى للضُّبَّاط العُثمانيِّين، فهذا ما لم نستطع العُثُور على أيَّة إشارة تُثبت أنَّه اتَّصل بهؤلاء الضُّبَّاط في هذه الفترة.

وعلى أيَّة حال؛ فقد نَجَحَ لُورنس بمُقابلة الجنرال اللّنبي Allenby تلك المُقابلة التي فَتَحَتْ لشخصه آفاق الشُّهرة، وأصبح صوته مسموعاً في القيادة البريطانيَّة؛ حيثُ أوهمهم بأنَّ احتلال العَقَبَة كان من مُخطَّطاته وبفَضْل جُهُوده: "... فالعَقَبَة كان قد تمَّ الاستيلاء عليها وفقاً لخُططي، وبفَضْل جُهُودي، وكان ذلك على حساب عقلي وأعصابي"[3].

أمَّا نحنُ؛ فبدورنا؛ لا نستطيع أنْ نُنكر دور لُورنس في تلك الحَمْلَة، غير أنَّ الأساس في تحقيق هذا الانتصار، كان بسالة القُوَّات العَرَبيَّة بقيادة الشّريف ناصر وعودة أبي تايه. إذنْ؛ فدور لُورنس كان محدوداً فيها.

---

(1) أمين المُميَّز، عودة إلى اتِّفاقيَّة فَيْصَل ـ وايزمن، القسم الثّاني، ص54.

(2) أمين المُميَّز، عودة إلى اتِّفاقيَّة فَيْصَل ـ وايزمن، القسم الثّاني، ص54.

(3) مُقتبس من: لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص161.

الفَصْل الثَّالث:

دور لُورنس في المرحلة الثَّانية من الثَّورة العربيَّة (المعارك الشَّماليَّة)

ـ دور لُورنس في عمليَّة تدمير جسر تلّ الشّهاب:

في آب 1917، نَجَحَ لُورنس في مُقابلة الجنرال اللّنبي، القائد العامّ للقُوّات البريطانيَّة في القاهرة، واستطاع بدهائه وسعة حيلته أنْ يُقنعه بمُخطَّطاته، بأنَّه لو أُعطي المال الكافي والسّلاح لاستطاع أنْ يحشد القبائل العَرَبيَّة الشّماليَّة، ويُهدِّد بها خُطُوط المُواصلات العُثمانيَّة. وبذلك؛ تسهل مهمَّة الجيش الذي يقوده اللّنبي في دُخُول سُورية. وهكذا؛ خرج لُورنس من عنده مُحمَّلاً بالأموال؛ حيثُ أمر بتخصيص مبلغ 200.000 جُنيه إسترليني، ليقوم بتوزيعها من أجل إنجاح مهمَّته في تعبئة القبائل التي أشار إليها[1].

كان لُورنس واللّنبي كُلٌّ منهما بحاجة إلى الآخر؛ حيثُ كان لُورنس يطمع إلى أنْ يُطلق اللّنبي يده في الأموال التي كانت معه، فَضْلاً عن أنَّه كان راغباً في أنْ يُصبح الضّابط البريطاني الأوَّل في الجزيرة العَرَبيَّة، إلاَّ أنَّ كلبرت كلايتون عيَّن الكُولُونيل جويس (Joyce) رئيساً للبعثة العسكريَّة باعتباره أحقَّ من لُورنس في تولِّي هذا المنصب. وقد أدرك اللّنبي ـ مُنذُ الوهلة الأُولى ـ أنَّ حماسة لُورنس لثورة العَرَب ـ إذا ما سُخِّرَت لغاياته الخاصَّة ـ فإنَّها ـ رُبَّما ـ تُقدِّم مُساهمة أساسيَّة في إنجاح الحَمْلَة التي يقودها[2]. وكان لُورنس قد اقترح ـ في أحد تقاريره ـ استخدام القبائل السّاكنة في شرق سُورية في مشاريعه التي أثارت إعجاب اللّنبي،

---

(1) فيليب نايتلي، وكُولن سمبسون، المصدر السّابق، ص88، سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص97.

(2) Brian cardner, Op. Cit., P. 200.

وجَعَلَتْهُ يهتمُّ بتفاصيل الأُمُور، لذلك رغب في استخدامه لصالحه[1]. وهذا ما جَعَلَ الجنرال ماينرتزهاكن (Meinertzhagen) الذي كان رئيساً للاستخبارات العسكريَّة البريطانيَّة، يُعلن عام 1921: "أنَّ لُورنس يدين بكُلِّ شيء للّنبي. لقد خَلَقَهُ اللّنبي، كافأه اللّنبي، وأنَّ سُمعته - بحَدِّ ذاتها - هي من خَلْق اللّنبي"[2].

كما أدرك اللّنبي أنَّه لو مَنَحَ لُورنس سُلطة طليقة؛ لأصبح قائداً عامَّاً يُجيد إدارة العمليَّات[3].

ومن هذا المنطلق؛ خَرَجَ لُورنس من المُقابلة مُحمَّلاً بالكثير من الأموال والصّلاحيَّات، كما أخبره أنَّ الاتِّصال بينهما سوف يتمُّ مُباشرة. وهكذا؛ أصبح لُورنس صاحب الكلمة النّافذة لدى القيادة البريطانيَّة في القاهرة، على الرّغم من وُجُود بعض الضُّبَّاط ممَّنْ هُم أقدم منه رُتبة، بعد أنْ كان رسولاً للشّريف ناصر، وذلك بفَضْل مقدرته في إقناع المُقابل بجدوى خُططه ومشاريعه.

لقد أصبح لُورنس يتحمَّل مسؤوليَّة توجيه العمليَّات في قُوَّات الثّورة، بإيعاز من القيادة البريطانيَّة، فبادر - بعد عودته من القاهرة إلى العَقَبَة - باتِّخاذ عدَّة إجراءات، كان من شأنها المُحافظة على مركز العَرَب في هذا الميناء الحيوي، والمُحافظة عليه من خَطَر الهَجَمَات العُثمانيَّة، فَنَقَلَ بعض العَجَلات المُدرَّعة من ميناء الوجه إلى ميناء العَقَبَة، كما اتَّفق مع أميرال البحر ويمس (Wemss) على أنْ ترسو إحدى السُّفُن في ميناء العَقَبَة لحمايته من الهجمات العُثمانيَّة باتِّجاه البحر، أمَّا الخُطوة الأهمُّ التي اتَّخذها لُورنس؛ فهي العمل على إقناع الملك حُسَيْن بنَقْل جيش الأمير فَيْصَل إلى إمرة الجنرال اللّنبي، بعد أنْ كان يُقاتل كجيش مُستقل[4]. فبعد احتلال العَقَبَة أصبحت ميمنة جيش فَيْصَل تبعد 100 ميل عن قُوَّات اللّنبي، بينما يبعد هذا الجيش حوالي 800 ميل عن مكَّة المُكرَّمة، فمن الأجدر - وحسب رأي القيادة البريطانيَّة - نقل

---

(1) دزموند ستورات، لُورنس الجزيرة العَرَبيَّة، ترجمة عادل إحسان الخفاجي، "آفاق عَرَبيَّة"، العدد3، آذار 1986، ص77.

(2) Quoed in: Brian Cardner, Op. Cit., P. 209.

(3) Brian Cardner, Op. Cit., P. 209.

(4) سُليمان مُوسى، الحَرَكَة العَرَبيَّة...، ص313.

خدمات جيش الأمير فَيْصَل إلى قُوَّات اللّنبي، وهذا يعني أنَّ جيش الأمير فَيْصَل سينتقل من جبهة حربيَّة مُحدَّدة ضيِّقة المجال إلى جبهة أوسع مجالاً وأشدّ تعقيداً[1].

كما أنَّ القيادة البريطانيَّة أبهرتها الانتصارات العَرَبيَّة التي كانت تُوازن في ضخامتها أعمال الجنرال اللّنبي في فلسطين، لذا؛ ارتأت أنْ تضمَّها إليها للحفاظ على ميمنة قُوَّات اللّنبي من هُجُوم مُتوقَّع من العُثمانيِّين[2]. هذا؛ فَضْلاً عن وحدة الهدف الذي كان يُقاتل من أجله كُلٌّ من الجيشَيْن العَرَبي والبريطاني؛ وهُو تحرير بلاد الشّام. لذا؛ وَجَدَ من الضّروري توحيد القيادتَيْن في الجيش العَرَبي والبريطاني[3].

ولأجل تحقيق هذا الهدف كان على لُورنس السّعي للحُصُول على مُوافقة الملك حُسَيْن، بالدّرجة الأساس؛ لأنَّه كان يُعَدُّ القائد العامَّ للقُوَّات العَرَبيَّة، وكذلك الحُصُول على مُوافقة الأمير فَيْصَل، ولأجل تسهيل مهمَّة لُورنس؛ فقد زوَّده برسائل عديدة إلى كُلٍّ من الملك حُسَيْن، والأمير فَيْصَل، من ونكت المندوب السّامي البريطاني في القاهرة، والجنرال اللّنبي، اللّذَيْن كانا من أشدِّ المُتحمِّسين للفكْرة[4].

تضمَّنت رسالة ونكت صُورة للوَضْع الحَرْبي في فلسطين وسُورية، وكذلك وضع قُوَّات الأمير فَيْصَل، وقال ونكت في رسالته: إنَّ نُقطة الخطر هي مدينة معان التي تُحاصرها قُوَّات الأمير فَيْصَل، على الرّغم من أنَّ حاميتها أقوى من جيشه، وأنَّ ما حقَّقه رجال الأمير فَيْصَل من إنجازات أعادت للعَرَب الكثير من المجد الذي كان يرتبط باسمهم، ولذا؛ فإنَّ الأمير فَيْصَل خليق بالمُساندة، كما تضمَّنت الرّسالة تزكية لُورنس للقيام بالمهمَّة: "إنَّ لُورنس يعرف كُلَّ شيء عن العمليَّات، وسيشرح لكم ضرورة تجميع تلك القُوَّات". أمَّا رسالة اللّنبي؛ فقد احتوت على ما تضمَّنته رسالة ونكت نفسها[5].

---

(1) زين نُور الدِّين زين، الصّراع الدّولي في الشّرق الأوسط وولادة دولتَيْ سُورية ولُبنان، بيرُوت، دار النّهار، 1971، ص76.

(2) Sydeney Nettleton Fisher, The Middle East A History.

(3) مُصطفى الشّهابي، مُحاضرات في الاستعمار، الجُزء الثّاني، ص73.

(4) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص163 ـ 164.

(5) مُقتبس من: سُليمان مُوسى، الحَرَكَة العَرَبيَّة ...، ص313 ـ 314.

غادر لُورنس إلى الوجه بغية لقاء الأمير فَيْصَل، والحُصُول منه على رسالة والده، ولكنَّه لم يعثر عليه هُناك، فتوجَّه إلى جيده؛ حيثُ يعسكر الأمير فَيْصَل، والتقى به هُناك، فزوَّده برسالة إلى والده، وفي الصّباح؛ أقلَّته الباخرة إلى جدَّة، وكان في استقبال لُورنس الكُولُونيل ولسن القُنْصُل البريطاني في جدَّة[1]، الذي بَعَثَ برسالة إلى الملك حُسَيْن، يُخبره بوُصُوله، وقد جاء فيها: "قد حضر اليوم جناب الكُولُونيل لُورنس.. وإنَّ جناب الكُولُونيل لُورنس وأنا سنذهب إلى مصر بعد عدَّة أيَّام، وإنِّي لشديد الرّغبة في التّشرف بمُقابلة جلالتكم صُحبة الكابتن لُورنس قبل ذهابنا إلى مصر؛ لأنَّ هُناك مسائل تحتاج أنْ نتشرَّف بمُقابلة جلالتكم في مكان تُعيِّنُونه بين مكَّة وجدَّة..."[2]. ونتيجة لعدم الثّقة والتّشكُّك بالنّوايا البريطانيَّة، رَفَضَ الملك حُسَيْن مُقابلتهما بحُجَّة أنَّه صائم، وكان لهذا العمل أثر في إحباط مُخطَّط لُورنس؛ حيثُ بادر بالكتابة إليه باللُّغة العَرَبيَّة، وأرسل رسالته بيد رسول خاصٍّ، شارحاً له الوَضْع على جبهة معان، مُبيِّناً ضرورة نَقْل جيش الأمير فَيْصَل إلى إمرة الجنرال اللّنبي[3].

أبدى الملك حُسَيْن تخوُّفه وشُكُوكه في دوافع بريطانيا لإرسال لُورنس للتّفاوض معه، فَكَتَبَ رسالة إلى ولسن تحمل هذا الانطباع، فأجابه ولسن برسالة جاء فيها:

"... إنَّ الكُولُونيل لُورنس قد عمل أكثر ممَّا عمله أيُّ ضابط بريطاني آخر لأمر نهضة جلالتكم، وأنَّه قد افتكر أنَّه حَصَلَ على ثقتكم، وصار في إمكانه أنْ يتكلَّم معكم في أيِّ مبحث، وليس في الأمر شيء أكثر من ذلك"[4].

وكانت نتيجة هذه المُراسلات مُوافقة الملك حُسَيْن على نَقْل مُقدّرات جيش فَيْصَل، وَجَعْله بإمرة الجنرال اللّنبي؛ حيثُ يُسجَّل للُورنس قَصب السَّبق في إنجازها.

---

(1) جيمس موريس، مُلُوك هاشميُّون، بيرُوت، المكتب العالمي للتّاليف والتّرجمة، بلا ص56، لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص164، مُصطفى طلاس، الثّورة العَرَبيَّة، دمشق، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، 1987، ص380.

(2) مُقتبس من: سُليمان مُوسى، المُراسلات التّاريخيّة، المُجلَّد الأوَّل، ص130.

(3) سُليمان مُوسى، الحَرَكَة العَرَبيَّة...، ص314.

(4) مُقتبس من سُليمان مُوسى: المُراسلات التّاريخيَّة، المُجلَّد الأوَّل: ص206.

ويبدو أنَّ السّبب الذي جَعَلَ القيادة البريطانيَّة تُشدِّد على ضرورة نَقْل تلك القُوَّات ومعها لُورنس بالطّبع، هي أنَّها أدركت فاعليَّة القُوَّات العَرَبيَّة بعد الانتصارات التي حقَّقتها، وبقاء هذه القُوَّات حُرَّة في تحرُّكها قد يُهدِّد مُستقبل وُجُود بريطانيا إذا ما أرادت الاستيلاء على دمشق. لذلك ارتأت أنْ تكون تلك القُوَّات تابعة لقُوَّات الجنرال اللّنبي، وهذا يعني عدم مُعاملتها كجيش مُستقلٍّ، وقد تطلب قيادته من قُوَّات الحُلفاء مُعاملته بالمثل، كما يُعامل أيّ جيش آخر من جُيُوش الحُلفاء، وهذا يفرض ـ مُجدَّداً ـ ضرورة التزام بريطانيا بتعهُّداتها للعَرَب.

لم يتوجَّه لُورنس إلى القاهرة، بل عاد إلى العَقَبَة، وادَّعى أنَّه قضى الأُسبُوع الأخير من شهر آب في التّدريب على استخدام أُسْلُوب جديد في زَرْع المُتفجِّرات وتفجيرها بواسطة الأسلاك. فَكَتَبَ عن هذه الطّريقة في إحدى مقالاته قائلاً:

"... ثُمَّ عملنا نوعيَّة خاصَّة أُخرى من المُتفجِّرات الهائلة.. وقد ابتكرنا طُرُقاً خاصَّة بنا للعمل السّريع في خطِّ النّار، في إطار تجربتنا في أشهر العمل. وقبل النّهاية؛ تمَّ التّعامل مع أيَّة نوعيَّة من الجُسُور اقتصادياً وبأمان". [1]؛ إذْ إنَّ لُورنس صبَّ اهتمامه في هذه المرحلة على مُهاجمة السّكَّة الحديديَّة، لتهديد الجناح الشّمالي للقُوَّات العُثمانيَّة بأُسْلُوب "لَسَعَات البعوض"، وكان الهدف من هذه العمليَّات تحويل المنطقة الواقعة بين نهر الأُردُن والصّحراء الدّاخليَّة إلى أرض خطرة بالنّسبة للقُوَّات العُثمانيَّة[2]. ولأجل إتمام هذا الهدف قرَّر لُورنس القيام بهُجُوم على محطَّة المدورة، تحت قيادة زعل بن مُطلق ابن أخ الشّيخ عودة أبي تايه بتاريخ 20 أيلول 1917؛ حيثُ استطاع بمُساعدة بعض من زُملائه الضُّبَّاط البريطانيِّين، وبعض أتباع الأمير فَيْصَل من نَسْف جسر المحطَّة وتدمير القطار المارِّ فوقه، مُكبِّداً العُثمانيِّين خسائر كبيرة. وكانت لتلك العمليَّة أهمِّيَّة كبيرة؛ إذْ إنَّها أعادت النّشاط إلى مُعسكر فَيْصَل الذي اعتراه الهُدُوء بعد احتلال العَقَبَة[3].

---

(1) Quoted in: T. E. Lawrence, Oriental Assemly, P 126.

(2) دزموند ستيورات، لُورنس الأسطورة والواقع، العدد 2564، آب 1977، ص37.

(3) للاطّلاع على المزيد من تفاصيل هذه العمليَّة؛ راجع: لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص174 ـ 176، جُورج أنطُونيُوس، المصدر السّابق، ص325؛

Malcolm Brawn, Op. cit., P. 117.

وبعد أُسبُوع واحد من الهُجُوم على محطَّة المدورة، اشترك لُورنس في هُجُوم آخر في جبهة معان. وتمكَّن في هذا الهُجُوم من نَسْف قطار وتدميره، وأَسْر وقَتْل عدد من الضبَّاط والجُنُود العُثمانيِّين[1].

وبعد تلك العمليَّة؛ غادر لُورنس إلى القاهرة، بطَلَب خاصٍّ من الجنرال اللّنبي لمعرفة مدى تأثير فعاليَّات العَرَب على السّكَّة الحديديَّة، وما إذا كانت ذات فائدة عمليَّة في تحطيم القُوَّات العُثمانيَّة، أو هي مسألة سياسيَّة يُقصد بها الدّعاية للأمير فَيْصَل ولجيشه.

وفي الوقت الذي استُدعي فيه لُورنس إلى القاهرة، كان اللّنبي يستعد للهُجُوم على القُوَّات العُثمانيَّة التي كانت تتحرَّك بين غزَّة وبئر السّبع، وكان فُون فالكنهاين Von Falken Heyn القائد الألماني للجيش العُثماني يتّخذ من القُدس مركزاً لقيادته، ويعتمد بالدّرجة الأساس في حُصُول قُوَّاته على الإمدادات اللاَّزمة، على سكَّة حديد الحجاز، التي تمرُّ بفلسطين عبر نهر اليرموك.

لذا؛ طَلَبَ اللّنبي من لُورنس تدمير جسر تلِّ الشّهاب المارِّ على نهر اليرموك بالقُرب من درعا، على أنْ يُنفِّذ خُطَّته في الفترة الواقعة بين 5، 8 تشرين الثّاني عام 1917[2].

يكشف طَلَبُ اللّنبي هذا عن مدى السُّمعة التي كان يحظى بها لُورنس، على الرّغم من أنَّه لم يكن مسؤولاً عن عمليَّات التّنسيق بين القُوَّات البريطانيَّة والقُوَّات العَرَبيَّة؛ حيثُ كانت هذه المهمَّة موكولة إلى الكُولُونيل جويس Joyce رئيس البعثة العسكريَّة. وهكذا نرى أنَّ اللّنبي يتجاوز جويس، ويطلب من لُورنس الحُضُور إلى القاهرة للتّباحث بشأن العمليَّات المُقبلة، إدراكاً منه لقابليَّاته ولجُهُوده في تعبئة العشائر العَرَبيَّة خدمة للمجهود الحَرْبي البريطاني.

اتُّخذت التّرتيبات اللاَّزمة للبدء بالعمليَّة بعد عودة لُورنس إلى العَقَبَة.

---

(1) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص188 ـ 189.

(2) Richard Groves, Op. Cit., P. 66.

وزموند ستورات، لُورنس الأُسطُورة والواقع، العدد 2564، ص37.

فأوفد الأميرُ فَيْصَلُ شخصَيْن من قبَله، ليكونا في الحَمْلَة، وهُما الشّريف عليّ بن الحُسَيْن الحارثي قائداً لها، والأمير عبد القادر الجزائري[1]، وكانت غاية الأمير فَيْصَل من ضمِّ الأمير عبد القادر الجزائري إلى الحَمْلَة بأنْ يقوم بالدّعاية له بين قبائل الدُّرُوز، ذلك لأنَّ أتباع الأمير عبد القادر الجزائري يُقيمون بالقُرب منهم، ممَّا يُساعد على تسلُّله إلى الدُّرُوز ومُقابلتهم[2]. وضمَّت القُوَّة - بالإضافة إلى هاتَيْن الشّخصيَّتَيْن - اثنَيْ عشر شخصاً من البدو، وكذلك قُوَّة من سلاح المُهندسين الهندي، مُزوَّدين بالمدافع الرّشّاشة. واتَّخذ لُورنس منطقة الأزرق لكي تكون قاعدة لهَجَمَاته[3].

ظَهَرَتْ بوادر الانقسام في هذه الحَمْلَة مُنذُ البداية؛ إذْ اعتقد لُورنس أنَّ الأمير عبد القادر الجزائري كان جاسوساً للعُثمانيِّين بعد استلامه برقيَّة من الجنرال بريمون يُحذِّره من التّعامل معه، لذا؛ كان تعامله معه تعاملاً حذراً، حتَّى إنَّ لُورنس ادَّعى أنَّ الأمير فَيْصَل اتَّهم عبد القادر الجزائري بالجُنُون، لكنَّه طَلَبَ منهم أنْ يستفيدوا منه قدر المُستطاع[4].

وبينما كانت القُوَّة تُعسكر شرق واحة الأزرق، تَرَكَ الأمير عبد القادر الجزائري الحَمْلَة، واتَّجه - مع سبعة من أتباعه - إلى عشائر الدُّرُوز. وكان لعدم اقتناعه بفائدة هذه

---

(1) الأمير عبد القادر الجزائري: حفيد الأمير عبد القادر الجزائري مُفجِّر الثّورة الجزائريَّة ضدَّ الاستعمار الفرنسي، أقام في مكَّة مُدَّة من الزّمن. ثُمَّ قدم إلى دمشق رافعاً علم ملك الحجاز على دار الحُكُومة، وذلك في عام 1917. وأخذ ينشر فكْرته في حوران وجبل الدُّرُوز، ثُمَّ أقنع مُحَمَّد جمال باشا بالحُصُول على بعض الأسلحة بحُجَّة الدّفاع عن الوطن. شكَّل مع أخيه مُحَمَّد سعيد الحُكُومة العَرَبيَّة بعد تحرير دمشق عام 1918. اغتيل في دمشق من قبَل رجال الشُّرطة، بعد حُدُوث الاضطرابات فيها. للتّفاصيل؛ انظر: "مجلَّة اللّطائف المُصوَّرة"، القاهرة، العدد 199، السّنة الرّابعة، 2 كانون أوَّل 1918.

(2) Richard Graves, Op. cit., P.60.

(3) يدَّعي أحد الكُتَّاب أنَّ مهمَّة تدمير جسر تلّ الشّهاب أُوكلت إلى الأمير فَيْصَل من قبَل اللّنبي، وأنَّ العُثمانيِّين علموا بأمره، فأعدّوا كميناً للقَبْض عليه. لولا كَشْفُ المُؤامرة من قبَل أحد الضُّبَّاط العَرَب العاملين في الجيش العُثماني. انظر: عبد العزيز العظمة، مرآة الشّام، تحقيق نجدة فتحي صفوت، لندن، دار رياض الرّيّس، د.ت، ص234. وهذا ادِّعاء بعيد عن الصّحَّة؛ إذْ إنَّ أمْر الهُجُوم قد أُوكل إلى عليّ بن الحُسَيْن الحارثي من قبَل فَيْصَل، كما أشرنا.

(4) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص200.

العمليَّة وعدم تناسبها مع الهدف الذي جاء من أجله إلى مُعسكر الأمير فَيْصَل الأثر الأكبر في تَرْك الأمير عبد القادر الجزائري لهذه القُوَّة[1].

أثار تَرْكُ الأمير عبد القادر الجزائري لهذه المهمَّة ردَّ فعل لدى لُورنس، فَكَتَبَ إلى الكُولُونيل جويس واصفاً شُعُوره من هذا العمل قائلاً: ". . . وجاء معنا إلى الأزرق الأمير عبد القادر؛ حيثُ خطَّطنا للهُجُوم على الجسر... ولكنَّه تَرَكَنَا في نفس اليوم... قُلْ لفَيْصَل: إنَّني أظنُّه خائفاً، فهُو يتحدَّث كثيراً، ولكنَّ فعْلَهُ قليل."[2]

هاجمت القُوَّة جسر تلّ شهاب، واستطاعت السّيطرة على إحدى نُقاط الحراسة العُثمانيَّة، ثُمَّ ترجَّلت القُوَّة، وانسلَّت تحت جُنح الظّلام، لوَضْع كمِّيَّة من المُتفجِّرات في جسم الجسر، ولكنَّ سُقُوط بُندقيَّة أحد الجُنُود الهُنُود أيقظَ الجُنُود العُثمانيِّين، وبدأ تبادل إطلاق النّار بين المجموعتَيْن، ممَّا أجبر القُوَّة المُهاجمة على تَرْك المُتفجِّرات والانسحاب نحو القاعدة، فحزن لُورنس حُزناً عميقاً بسبب فشله في تنفيذ هذه العمليَّة التي لها علاقة مُباشرة بتعزيز هُجُوم قُوَّات اللّنبي على فلسطين[3].

لم يستطع لُورنس العودة إلى العَقَبَة ليجرَّ أذيال فشله، بل أراد القيام بعمل آخر يُزيل عن نفسه الشُّعُور بالفشل، ففي طريق عودة القُوَّة جنوب درعا، استطاعت تدمير قاطرَتَيْن، وقَتْل 100 جُنْدي عُثماني حسب ادِّعاء لُورنس[4]. ثُمَّ عادت القُوَّة إلى الأزرق. ويدَّعي لُورنس أنَّه - أثناء إقامته في الأزرق - قرَّر أنْ يقوم بمهمَّة استطلاعيَّة عند نُقطة قاطع سكَّة الحديد بين الحجاز ودمشق في منطقة درعا، وعند وُصُوله إليها أُلقي القبض عليه من قبَل المفارز العُثمانيَّة، واقتيد إلى قائد الحامية هاشم بك. كما ادَّعى أنَّه اعتُدي عليه جنسيّاً من قبَل قائد

---

(1) كان الأمير عبد القادر يُفكِّر بقيادة جيش نحو جبل الدُّرُوز، ومنه إلى بلاد الشّام، وكانت غاية هذا الجيش أسْر رجال الحُكُومة العُثمانيَّة في دمشق، وإجبارها على إطلاق سراح المنفيِّين العَرَب في الأناضول. انظر: مُحَمَّد جميل بيهم، سُورية ولُبنان 1918 - 1922، بيرُوت، دار الطّليعة، 1968، ص37 - 38.

(2) Quoted in: Malcolm Brawn, Op. Cit., P. 128.

(3) دزموند ستيوارت، لُورنس الجزيرة العَرَبيَّة، ص79.

(4) Richard Graves, Op. cit., P. 128.

الحامية. هذا الادِّعاء الذي يضع الكثيرُ من الكُتَّاب أمامَه الكثيرَ من علامات الاستفهام[1]. ويبدو من المُستبعد أنْ يكون قد اعتُدي عليه. ولكنَّ لُورنس كان يقصد من وراء هذا الادِّعاء - على ما يبدو - نَقْل رسالة إلى رُؤسائه تقول: إنَّه ضحَّى بكُلِّ شيء، حتَّى بسُمعته الشّخصيَّة لأجل سُمعة بريطانيا العُظمى، وليس من المُستبعد أنْ يكون لُورنس قد اتَّخذ هذا الادِّعاء وسيلة لتعميق كراهية العُثمانيِّين في نُفُوس العَرَب.

وعلى أيَّة حال؛ استطاع لُورنس الفرار من الأَسْر العُثماني، وعاد إلى العَقَبَة، ثُمَّ غادرها إلى فلسطين؛ بطَلَب من قيادته العامَّة البريطانيَّة التي كانت تتَّخذ غزَّة مقراً له. وأثناء وُجُوده في غزَّة سَقَطَتْ القُدسُ بيد القُوَّات البريطانيَّة، فَدَخَلَهَا لُورنس برفقة اللّنبي، باعتباره أحد ضُبَّاط الأركان البريطانيَّة، ثُمَّ تباحثا عن طبيعة العمليَّات والخُطط المُقبلة؛ حيثُ أخبره اللّنبي أنَّه ينوي الهُجُوم على أريحا، وقد حدَّد أهداف القُوَّات العَرَبيَّة بالوُصُول إلى البحر الميِّت في أقرب فُرصة مُمكنة، لقَطْع خُطُوط الإمداد العُثمانيَّة قبل أواسط شهر شباط من عام 1917، كما أنَّ عليهم أنْ يصلوا إلى وادي الأُردُن نهاية شهر آذار من العام نفسه[2].

بعد عودة لُورنس مرَّة أُخرى إلى العَقَبَة، اتَّفق مع رئيسه جويس بتاريخ 30 كانون الأوَّل على شنِّ هُجُوم ثان على محطَّة المدورة بالقُوَّات النّظاميَّة البريطانيَّة، واستطاعت تلك القُوَّة نَسْفَ وتدميرَ قطارَيْن كانا في المحطَّة، فَضْلاً عن تدمير أرصفة وقُوف القطارات، وعادت القُوَّة إلى مواقعها[3]. وفي هذه العمليَّة؛ صَرَّحَ لُورنس بأنَّ دوره مع العَرَب كان دوراً

---

(1) ناقش الكثير من الكُتَّاب هذا الحادثة بإسهاب. فقد أجرى كُلٌّ من كُولن سمبسون، وفيليب نايتلي تحقيقات واسعة حول هذه القضيَّة، وأجريا مُقابلات عديدة؛ كان أهمّها مُقابلتهم لابن هاشم بك، فَضْلاً عن الكثير من أصدقائه، وحتَّى أعدائه، فأكَّدوا عدم صحَّة هذه الرّواية، ولكنَّهم لم يجزموا بأنَّها محض ادِّعاء، بل إنَّهم قالوا: إنَّ هذه الرّواية ستظلُّ لُغزاً من الألغاز. انظر: فيليب نايتلي، وكُولن سمبسون، المصدر السّابق، ص227 - 231. كما ناقش هذه القضيَّة الكاتب سُليمان مُوسى، وَكَذَّبَ ادِّعاءات لُورنس جُملة وتفصيلاً؛ إذْ قام المُؤلِّف برحلة إلى درعا، واستفسر من الكثير ممَّن عاصروا أحداث الثّورة العَرَبيَّة، فأكَّدوا عدم صحَّة الرّواية تلك. انظر سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص126 - 128؛ "جريدة الرّأي"، عمّان، العدد 8431، 15 أيلول 1993، ص12.

(2) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص232 - 233.

(3) Richard Gravse, Op. cit., 66.

تمثيلياً مفروضاً عليه؛ حيثُ قال: "كانت المُناسبة عيداً بالنّسبة لي؛ إذْ لم يكن - هُناك - أيُّ عَرَبي قريباً منّي، حتّى أجد نفسي مُضطراً لتمثيل دوري الشّاقّ أمامه[1].

وهكذا أصبح للُورنس - بعد أنْ كان ضابطاً مغموراً - سُمعة كبيرة لدى قيادة القُوّات البريطانيَّة، فأخذت تلك القيادة - كما رأينا - تُكلّفه بمهامَّ أحجمتْ عن تكليف غيره بها، على الرّغم من وُجُود الكثير من الضبّاط ممَّنْ هُم أقدم منه رُتبة. وهذا ناتج - بالدّرجة الأساس - من مقدرة لُورنس على توظيف الفُرص لصالحه، وأصبح رجلهم الذي يعتمدون عليه كثيراً في تنفيذ خُططهم فيما يتعلّق بحركات الجيش الشّمالي.

- دور لورنس في احتلال الطّفيلة:

لأجل تنفيذ المهمَّة التي أُنيطت بقُوّات الجيش الشّمالي من قبَل القيادة البريطانيَّة، قُسِّمَتْ قُوّاته إلى ثلاث حَمَلات على شكل كمّاشة، أُسندت قيادة الحَمْلَة الأُولى إلى الشّريف مستور، يُعاونه الشّيخ حمد بن جازي شيخ حويطات الجازي، وكانت الحَمْلَة الثّانية بقيادة الشّريف ناصر ومعه نُوري السّعيد بمُساعدة حويطات التّوايه وعشائر بني صخر، وأُسندت قيادة القُوّة الثّالثة إلى الشّريف عبد المُعين. هذا؛ وقد استطاعت قُوّة الشّريف ناصر ومعه نُوري السّعيد من احتلال محطّة جرف الدّراويش، وفي الوقت نفسه تقريباً؛ استطاعت قُوّة الشّريف عبد المُعين من السّيطرة على الشُّوبك، وتوجّه الشّريف مستور إلى الطّفيلة عن طريق وادي عَرَبة، بينما توجّه إليها من الشَّرْق الشّريف ناصر ومعه عودة أبو تايه، وفي اليوم التّالي؛ انضمّ الأمير زيد وجعفر العسكري ولُورنس ومعهما قُوّة صغيرة إلى القُوّات التي دَخَلَتْ الطّفيلة[2].

لم يشأ العُثمانيُّون أنْ يتركوا العَرَب يتمتّعون بهذا النّصر السّهل بدُخُولهم إلى الطّفيلة، بل أعدّوا قُوّة مكونة من ثلاثة أفواج ومفرزة خيّالة ومدفعَيْن جبليَّيْن وثلاثة وعشرين مدفعاً رشّاشاً، وأوكلت قيادة هذه الحَمْلَة إلى حامد فخري بك. وَحَدَثَ أوّل اشتباك بين هذه الفرقة وطلائع القُوّات العَرَبيَّة في منطقة وادي الحسا يوم الرّابع والعشرين من كانون الثّاني

---

(1) نقلاً عن: سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص141.

(2) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص236 - 238؛ سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص137 - 138.

1918 ؛ حيثُ استطاعت القُوَّة العُثمانيَّة إجبار القُوَّات العَرَبيَّة على الانسحاب إلى داخل مدينة الطّفيلة[1] .

اشترك لُورنس مع الأمير زيد في مهمَّة الدّفاع عن الطّفيلة ؛ حيثُ تجمَّعت قُوَّات مُؤلَّفة من 450 شخصاً في الموضع الاحتياطي الذي حدَّده لُورنس للدّفاع عن الطّفيلة ، كما استطاع راسم سردست[2] بصُحبة ثمانين من أتباعه من الهُجُوم على جناح القُوَّات العُثمانيَّة الأيسر ، فتمكَّن من وَقْف زحف القُوَّة العُثمانيَّة في الوادي المُحيط بمدينة الطّفيلة[3] .

ولكنَّ الفَضْل الأوَّل في النّصر الذي حقَّقه العَرَب يعود إلى أهالي الطّفيلة الذين بدؤوا يُقاومون العدوَّ بأُسْلُوب الكَرِّ والفَرِّ في منطقة يعرفونها جيِّداً ، فَضْلاً عن بسالة المُقاتلين العَرَب ، وخُصُوصاً المُلازم صُبحي العُمري الذي أبلى بلاءً حسناً في هذه المعركة ، فكُوفئ بترقيته إلى رُتبة (م . أوَّل) كما مُنح الأمير زيد الذي أشرف على المعركة مُكافأة ألفَيْ جُنيه قام بتوزيعها على جُنُوده النّظاميِّين . وعلى أيَّة حال ؛ استطاع العَرَب كَسْبَ المعركة ، وكبَّدوا القُوَّة العُثمانيَّة خسائر كبيرة قُدِّرَتْ بـ 400 قتيل ، وأَسْر 320 بينهم 29 ضابطاً ، وغنموا 27 رشَّاشاً ، و200 من الخيل والبغال[4] .

بالغَ مُؤرِّخو سيرة لُورنس في الدّور الذي أدَّاه لُورنس في هذه المعركة ، واعتبروها أوَّل معركة يُخطِّط لها لُورنس ؛ يقول أحدهم : "وكانت تلك المعركة معركة مرموقة ، انتصر فيها لُورنس ، وفيها أثبت قُدرته وشجاعته"[5] ، مُستندين - في ذلك - على ما صَرَّحَ به لُورنس نفسه عن هذه المعركة ؛ حيثُ وَصَفَهَا - بإسهاب واضح - في مُذكّراته ، مانحاً شخصَهُ الفَضْل الأكبر في قيادة العَرَب إلى النّصر[6] . وبناءً على ادِّعاءاته ؛ كُوفئ بوسام الخدمة المُمتازة (D.S.O) ،

---

(1) عبد المُنعم النّاصر ، المصدر السّابق ، ص60 .

(2) أحد الضُّبّاط السُّوريِّين الذين اشتركوا في معارك الجيش الشّمالي .

(3) Richard Graves, Op. cit., P. 67.

(4) "جريدة القبلة" ، مكَّة المُكرَّمة ، العدد 156 ، 7 جُمادى الأُولى 1336 ؛ سُليمان مُوسى ، صُور من البُطُولة ، ص202 .

(5) Quoted in: Richard Graves, Op. cit., P. 67.

(6) انظر : لُورنس ، أعمدة الحكْمَة السّبعة ، ص241 - 243 .

وصَدَرَ الأمر بترقيته ترقية استثنائيَّة إلى رُتبة كُولُونيل[1]. والحقيقة لم يكن للُورنس دور رئيس في هذه المعركة حسب ادِّعاءات سُكَّان المنطقة، الذين أعلنوا أنَّهم شاهدوا لُورنس، فإنَّه لم يكن شخصيَّة بارزة، فلم يسترع انتباههم كثيراً.

كما أعلن الشّيخ سمُّور القرعان، وهُو أحد الأشخاص الذين اشتركوا في الدّفاع عن الطّفيلة، أنَّه شاهد لُورنس عدَّة مرَّات في مجلس الأمير زيد، ولكنَّه كان صامتاً، ولم يشترك في الأحاديث عن الخُطط العسكريَّة للدّفاع عن المدينة.

وعلى الرّغم من أنَّ الأمير زيداً كان القائد الفعلي لهذه المعركة؛ حيثُ وَصَفَهُ لُورنس نفسه بأنَّه مُقاتل باسل متين الأعصاب يتمتَّع ببُرُودة أعصاب ضابط مُحترف[2] ولكنَّ ذلك لا ينفي أنَّ لُورنس قد أدَّى دوراً في هذه المعركة تحت قيادة الأمير زيد، ولكنْ؛ لم يكن قائدها أو مُخطِّطها، وأبرز عمل قام به أثناء المعركة، أنَّه أنجد الأمير زيداً بكميَّة من الأموال، قام بتوزيعها جميعها على سُكَّان الطّفيلة[3]. فَضْلاً عن أنَّ التّقارير الواردة من قِبَل الأمير فَيْصَل والأمير زيد لا تُشير إلى أنَّ لُورنس كان قائداً لهذه المعركة، بل إنَّها تُحجم عن ذكْره نهائياً[4].

وبعد احتلال الطّفيلة؛ أقام لُورنس فيها لُمدَّة عشرة أيَّام، لم تكن حافلة بأيِّ نشاط عسكري؛ حيثُ غادرها في 4 شباط 1918، مع أربعة من البدو، مُتوجِّهاً إلى القويرة، ماراً بالرّشاديَّة، ثُمَّ أبو اللّسن، وهُناك التقى صديقَيْه القديمَيْن "ألن داوني" (A. Dawnay) وجويس (Joyce).

وعندما كان في القويرة؛ أرسل الأمير فَيْصَل - من العَقَبَة - مبلغ ثلاثين ألف ليرة ذهبيَّة، وناقته الخاصَّة، مع اثنَيْن من أتباعه لحمايته، وعدداً من رجال عشيرة الحويطات لحَمْل الذّهب[5].

---

(1) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص151.

(2) نقلاً عن: سُليمان مُوسى، الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى، الحَرْب في الأُردُن 1917 - 1918، مُذكّرات الأمير زيد، ص22.

(3) دزموند، لُورنس الأُسطُورة والواقع، العدد 2565، 8 آب 1977، ص39.

(4) للاطِّلاع على نُصُوص هذه التّقارير؛ انظر: "جريدة القبلة"، العدد 151، 18 ربيع الثّاني 1336.

(5) Richard 67 Graves, Op. cit., P. 69.

عاد لُورنس إلى الطّفيلة بتاريخ 11 شباط 1918، وارتأى القيام بجولة استكشافيَّة إلى الكَرَك، لدراسة الطُّرُق التي ستسلكها القُوَّات العَرَبيَّة أثناء تقدُّمها إلى وادي الأُردُن؛ حيثُ طَلَبَ من الأمير زيد أنْ يستلم منه المبلغ المُتبقِّي؛ ومقداره ثمانية وعُشرون ألف ليرة، وأنْ يصرف منها ما هُو ضروري[1].

ومن الجدير بالذِّكْر؛ أنَّ الأمير زيداً قد سدَّد بهذه الأموال مُستحقَّات العشائر؛ إذْ تُوضح رسالة بَعَثَ بها زيد إلى فَيْصَل بتاريخ 17 شباط 1918، الأوجه التي صَرَفَ بها هذه الأموال، وجاء فيها: "... الثّلاثون ألف جُنيه وَصَلَتْ، فعسى الله لا يحرمني من وُجُودكم، سلَّمتُ من ذلك ستَّة آلاف لبني صخر، علاوة على العشرين ألف، وقضاء الطّفيلة سلَّمناهُ عشرة آلاف جُنيه عَرَبون، بشرط زادهم يكون على أنفسهم، وعبدكم صَرَفَ خمسة آلاف، ألف جُنيه أرسلتُهَا للشّريف عبد الله، وبيد لُورنس ألفَيْن، والباقي ستَّة آلاف بيد عبدكم. وهذا المبلغ لابُدَّ يسدُّ حاجتنا خمسة أيَّام، بما في ذلك كراوي (أُجُور) الذّخيرة الفاحشة، والنَّظَر لسُمُوّكم"[2]. وهكذا نرى أنَّ الأمير زيداً قد صَرَفَ هذه الأموال لضرورات تتعلَّق بصُمُوده وقُوَّاته في الطّفيلة؛ حيثُ تُبيِّن لنا الرّسائل المُتبادلة بينه وبين فَيْصَل أنَّه كان بحاجة ماسَّة إلى الأموال[3].

استغرقت رحلة لُورنس الاستكشافيَّة تلك أُسبُوعاً كاملاً بَلَغَ بها "حسبان" عن طريق وادي الحسا، وقال: إنَّ جولته كانت مُفيدة، وأبدى ارتياحه من سُهُولة اتِّصال القُوَّات العَرَبيَّة مع القُوَّات البريطانيَّة، وبعد أنْ شَرَحَ خُططه للأمير زيد، أخبره الأخير أنَّ هذه العمليَّات تتطلَّب إمكانيَّات ماديَّة كبيرة، ونحنُ لا نملك تلك الأموال؛ حيثُ تمَّ صَرْفُهَا جميعاً، فأُصيب لُورنس بالذُّهُول، وقال: "... إنَّ كلام زيد يعني القضاء المُبرَم على كُلِّ مُخطَّطاتي وآمالي والعجز الكُلِّي عن تنفيذ الوعد المقطوع للجنرال اللّنبي..."[4].

---

(1) ريتشارد الدنكتون، المصدر السّابق، ص224.

(2) مُقتبس من: سُليمان مُوسى، الحَرْب في الأُردُن، ص68 ـ 69.

(3) راجع نُصُوص هذه الرّسائل في: المصدر نفسه، ص64 ـ 67.

(4) مُقتبس من: لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص252 ـ 253.

أصيب لُورنس بخيبة أمل كبيرة، وقرَّر التَّخلِّي عن مهمَّته كضابط ارتباط مع القُوَّات العَرَبيَّة؛ حيثُ غادر الطّفيلة بتاريخ 19 شباط 1918، مُتوجِّهاً إلى بئر السّبع مقرِّ القيادة البريطانيَّة.

ـ دور لُورنس في احتلال منطقة معان:

بعد أنْ قرَّر لُورنس التَّخلِّي عن مهمَّته كضابط ارتباط مع القُوَّات العَرَبيَّة، وغادر الطّفيلة مُتوجِّهاً إلى بئر السّبع، التقى ـ هُناك ـ بالدُّكتُور هوكارث **Hogarth**، وَطَلَبَ منه إعفاءه من مهمَّته التي وَصَفَهَا بأنَّها مهمَّة لخداع العَرَب، لحَمْلهم على مُساعدة القُوَّات البريطانيَّة، وَحَمَلَ الجُزء الأعظم من الجُهُود الحَرْبيَّة؛ إذْ قال: "... إنَّما هُناك الخداع المُرهق الذي اضطُررتُ أنْ أحمل نفسي وزْرَهُ، وهُو ادِّعاء قيادة ثورة وَطَنيَّة لعُنصر آخر، بعد أنْ لبستُ لها لباساً لا عهد لي بمثله من قبلُ، وتسلَّحتُ بلُغة أجنبيَّة يصعب عليَّ التَّبشير بها، مع يقيني التّامِّ بأنَّ (الوُعُود) التي أطلقناها للعَرَب لن تكون لها أيَّة قيمة عَمَليَّة فيما بعد، إلاَّ بمقدار ما سيُظهر العَرَب أنفسهم من قُوَّة."[1].

لكنَّ القيادة البريطانيَّة أكَّدت على لُورنس ضرورة الاستمرار بمهمَّته التّمثيليَّة تلك، فبعد اجتماعه بكلبرت كلايتون **Gi Ibert clayton**، أخبره الأخير عن خُطط القيادة البريطانيَّة للقيام بهُجُوم واسع على القُوَّات العُثمانيَّة، بقَصْد هزيمتها خلال فَصْل الرّبيع، وأنَّه لا مجال لإعفائه من مهمَّاته. ثُمَّ قابل اللّنبي، وَعَرَفَ منه أنَّه ينوي احتلال دمشق وحلب بأسرع وقت مُمكن، وسأله عن إمكانيَّة العَرَب، وهل بمقدورهم القيام بمهمَّات الجناح الشَّرْقي من الجبهة لمَنْع العُثمانيِّين من الالتفات على ميمنة الجيش البريطاني، فأجابه لُورنس بأنَّ إمكانيَّات العَرَب بحاجة إلى أموال كبيرة للقيام بهذا العمل، مُؤكِّداً له أنْ يتطلَّب إمكانيَّات ماديَّة كبيرة؛ حيثُ يتطلَّب ما يُقارب من 700 جمل، فَضْلاً عن الكثير من المدافع الرَّشَّاشة لمُحاصرة مدينة معان، التي بدُون الاستيلاء عليها لا يُمكن تنفيذ خُطَّته، وَطَلَبَ ـ كذلك ـ التّغطية الكاملة من الشّمال، لتلافي الهجمات العُثمانيَّة المُعاكسة، فوافق اللّنبي على ذلك، وأمر بنَقْل وحدَتَيْن من الجمال مع رجالها من بئر السّبع إلى القويرة، مع وعد بإرسال المدافع[2].

---

(1) مُقتبس من: "المصدر نفسه، ص255.

(2) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص162.

ودُعي لُورنس ـ بعد ذلك ـ بتاريخ 28 شباط عام 1918، لحُضُور مُؤتمر في غـزَّة، حَضَرَهُ كبار القادة البريطانيِّين، وكانت الغاية منه هـي الاتِّفـاق علـى وَضْـع الخُطط النّهائيَّـة للـهُجُوم المُرتقب؛ حيثُ تقرَّر أنْ ينتقل الجيش العَرَبي إلى مشارف عمَّان تمهيداً للاسـتيلاء عليـها، أمَّـا البريطانيِّين؛ فمن جانبهم، سيجتازون نهر الأُردُن لاحتلال منطقة السَّلْط وتخريب نفق خـطِّ السِّكَّة الحديديَّة[1].

عاد لُورنس إلى القاهرة، ومنها إلى العَقَبَة، للتّفاهم مع الأمير فَيْصَل حول ما توصَّـل إليـه مع القيادة البريطانيَّة؛ حيـثُ أخبره بأنَّـه حَصَـلَ علـى إمـداد لـهم بـ (700) جمـل مـع رجالـها، وثلاثمائة ألف جُنيه للإنفاق على العمليَّات المُقبلة. ويبدو أنَّ حُصُـول لُورنس علـى هـذا المبلـغ لم يكن نتيجة جهد شخصي قام به، بل جاء بطَلَب من الأمير فَيْصَل؛ إذْ توضح لنا رسالة بَعَـثَ بها فَيْصَل إلى زيد هذا المضمون: "... أخبر لُورنس بسَحْب برقيَّة إلى مصر بجَلْب الثّلثمائة ألـف جُنيه إلى العَقَبَة بأقرب وقت مُمكن؛ لأنَّك ستتوجَّه في هذه الأيَّام، وتحتاج نَقْداً وافراً."[2].

وفي هذه الأثناء؛ حَدَثَتْ حَرَكَة غير اعتياديَّة بين الضُّبَّاط العَرَب العاملين في جيش الثّورة العَرَبيَّة، خُصُوصـاً بعـد أنْ تنـاهت إلـى أسـماعهم اتِّفاقيَّـات سـرِّيَّة عَقَدَتْـهَا بريطانيـا مـع دُول الحُلفاء[3]. فعارض الضُّبَّاط العَرَب فكْرة لُورنس التي قدَّمها إلى فَيْصَل بالهُجُوم على محـطَّة "الفاصوعة" وتدمير السِّكَّة الحديدية؛ حيثُ اعتقد هؤلاء الضُّبَّاط أنَّ غاية البريطانيِّين في ذلـك هي إبقاؤهم في الخلف، كي لا يُسهم الجيش العَرَبي في تحرير سُورية، واعتقد الضُّبَّاط كذلـك أنَّ هذه هي فكْرة لُورنس وجويس اللَّذَيْن كانا يحثَّان فَيْصَل على تأخير الزّحف إلى الشّمال. وكانت فكْرة الضُّبَّاط العَرَب تقضي بمُهاجمة معان مُباشرة، والاستغناء عن مُهاجمـة المحطَّـات المُحيطة بها[4]. وكان من أبـرز الضُّبَّـاط الذيـن عـارضوا لُورنـس هُـو مولـود مُخلـص؛ حيـثُ قال: "إنَّنا مُنذُ سنين ونحنُ نخدم آمال الأجانب، وعليه؛ مُنذُ اليوم يجب أنْ نخـدم غايتنـا".

---

(1) لُورنس، أعمدة الحِكْمَة السّبعة، ص257؛ عبد المُنعم مُصطفى، المصدر السّابق، ص209 ـ 210.

(2) مُقتبس من: سُليمان مُوسى، المُراسلات التّاريخيَّة، المُجلَّد الأوَّل، ص162.

(3) المقصود بها اتِّفاقيَّة سايكس ـ بيكُو. للاطِّلاع على تفاصيل الاتِّفاقيَّة؛ راجع:
J. C. Hurewitz, Op. Cit., PP. 18-23.

(4) علاء جاسم مُحَمَّد، المصدر السّابق، ص43.

"إنَّنا مُنذُ سنين ونحنُ نخدم آمال الأجانب، وعليه؛ مُنذُ اليوم يجب أنْ نخدم غايتنا". ونظَّم ـ هُو وزُملاؤه ـ عريضة قُدِّمت إلى الأمير فَيْصَل، كانت السّبب في عَزْله من منصبه، وتعيين جعفر العسكري بدلاً منه[1]. وعلى أيَّة حال؛ فقد فشلت الحَمْلَة المُتوجِّهة إلى الفاصوعة في تحقيق أهدافها.

أقام لُورنس يومَيْ الرّابع والخامس من آذار عام 1918، في العَقَبَة، ثُمَّ غادرها مُتوجِّهاً إلى القاهرة وفلسطين بعد أنْ شَرَحَ لفَيْصَل خُطط الجنرال اللّنبي المُقبلة، تلك الخُطط التي كانت تقضي باحتلال السَّلْط حوالي 30 آذار من العام نفسه، وبعد عودة لُورنس من فلسطين في مُنتصف آذار؛ رتَّب الأمير فَيْصَل عمليَّة اتِّصال القُوَّات العَرَبيَّة بقيادة مرزوق التّخيمي ولُورنس بالقُوَّات البريطانيَّة[2].

ومن جانب آخر؛ بدأ اللّنبي بتنفيذ خُطَّته بالهُجُوم على شرق الأُردُن في 24 آذار 1918، فبعد أنْ واجهت قُوَّاته صُعُوبة كبيرة في عُبُور نهر الأُردُن بسبب الأمطار الغزيرة التي هَطَلَتْ أثناء الهُجُوم، استطاعت الدُّخُول إلى السَّلْط يوم 25 آذار، تمهيداً لمُهاجمة عمَّان واحتلالها. ولكنَّ القُوَّات البريطانيَّة أُجبرت على التّراجع من السَّلْط ليلة 31 آذار، بعد أنْ تمَّ تعزيز القُوَّات العُثمانيَّة بإمدادات كثيرة، ولم تتمكَّن من تدمير النّفق جنوبي معان[3].

وبتاريخ 2 نيسان عام 1918، بدأ لُورنس ومرزوق التّخيمي بمهمَّة الاتِّصال مع الجيش البريطاني؛ حيثُ غادرا مقرَّ الجيش الشّمالي في (أبو اللّسن) وبرفقتها ألفا جمل من جمال السرَّاحين تحمل المُؤن والأعتدة. ولكنْ؛ أنباء بَلَغَتْهُم أنَّ البريطانيِّين بدؤوا بالتّراجع عن السَّلْط، وأنَّهم لم يتمكَّنوا من تدمير النّفق، فلم تتمَّ عمليَّة الاتِّصال[4].

ونَظَراً لهزيمة القُوَّات البريطانيَّة وتكبُّدها خسائر كبيرة؛ فقد طَلَبَتْ القيادة البريطانيَّة من الجيش العَرَبي تضييق الخناق على القُوَّات العُثمانيَّة في جبهة معان، ولأجله عُقد مُؤتمر

---

(1) مُحَمَّد حُسَيْن الزُّبيدي، المصدر السّابق، ص113.

(2) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص168.

(3) Richard Graves, Op. cit., P. 71.

(4) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص169 ـ 170.

عسكري بتاريخ 8 نيسان 1918، ضمَّ كُلاً من الأمير فَيْصَل ونُوري السّعيد وجعفر العسكري، ومن الضبَّاط البريطانيِّين كُلاً من جويس و داوني للاتِّفاق على خُطَّة الهُجُوم، وتقرَّر تقسيم الحَمْلَة إلى ثلاث وحدات في الشّمال والوسط والجنوب، وبدأ الهُجُوم في فجر يوم 11 نيسان بمُهاجمة محطَّة غدير الحاجّ جنوبي معان من قبَل نُوري السّعيد مع فوجَيْن وبطَّاريَّة من المدافع الجَبَليَّة، إضافة إلى قُوَّة من المُتطوِّعين تُقدَّر بألفَيْ مُقاتل، كما قام جعفر العسكري - في اليوم نفسه - بمُهاجمة محطَّة الجردونة شمالي معان، يُساعده لواء مُشاة وبطَّاريَّة مدافع جَبَليَّة، وقد تمكَّنت هاتان القُوَّتان من احتلال أهدافهما[1]، بينما توجَّهت الفرقة الأُولى بقيادة مولود مُخلص إلى تُلُول السّمنات، بهدف احتلالها صباح يوم 13 نيسان، وكانت تُرافق لُورنس قُوَّة مُؤلَّفة من البدو بقيادة عودة أبي تايه مع بطَّاريَّة المدافع الفرنسيَّة، فتمكَّنت تلك القُوَّة من الاستيلاء على تُلول السّمنات، وأُصيب القائد مولود مُخلص في هذه المعركة، بعد أنْ انقضَّ مع رجاله على فُلُول العُثمانيِّين المُنهزمة[2].

بدأ العَرَب بتنفيذ المرحلة الثّانية من الهُجُوم على معان، ففي يوم 16 نيسان عام 1918، بُوشر بالهُجُوم على تحصينات معان، ولكنَّ القُوَّة العَرَبيَّة لم تتمكَّن من السّيطرة على تلك التّحصينات، بسبب كثافة النّيران المُوجَّهة صوب قُوَّاتهم من قبَل القُوَّات العُثمانيَّة. كما أنَّ المدفعيَّة الفرنسيَّة المُرافقة للقُوَّات العَرَبيَّة - والتي كانت مهمَّتها حماية المُشاة أثناء تقدُّمهم - قد توقَّفت عن الرّمي، فَضْلاً عن تأخُّر قُوَّة العشائر من الهُجُوم على معان من الجهة الشَّرْقيَّة، فَسَاوَرَ القلقُ نُوري السّعيد الذي كان يقود المعركة، فبادر إلى إرسال مُرافقه الخاصّ، للاستفسار عن سبب توقُّف المدفعيَّة الفرنسيَّة وتأخُّر العشائر في الهُجُوم، وفي هذه الأثناء وَصَلَ لُورنس، فأظهر له نُوري السّعيد شكواه. فما كان من لُورنس إلاَّ التّحقيق من الأمر، وَبَعثَ رسالة إلى نُوري السّعيد يُخبره فيها أنَّ آمر المدفعيَّة الفرنسيَّة قد عاد إلى مُعسكره بعد أنْ نَفَدَتْ ذخيرته، أمَّا بخُصُوص تأخُّر قُوَّة العشائر؛ فقد أخبره بجَهْله بأسباب تأخُّرها عن الهُجُوم[3].

---

(1) نُوري السّعيد، المصدر السّابق، ص69؛ جُورج أنطُونيُوس، المصدرالسّابق، ص334.

(2) مُحَمَّد حُسَيْن الزُّبيدي، المصدر السّابق، ص117.

(3) نُوري السّعيد، المصدر السّابق، ص72.

كان لقُوَّة تحصينات العُثمانيِّين حول معان أثرها في أنْ تتوجَّه القُوَّات العَرَبيَّة بجُهُودها نحو تدمير المحطَّات التّابعة لها، ومن أجل تنفيذ هذه المهمَّة، فقد انتقل لُورنس إلى الجنوب، وَعَرَضَ على الكُولُونيل داوني والشّريف هزَّاع مُرافقتهما كترجمان عندما علم باستعداداتهما لمُهاجمة تلِّ الشّحم؛ حيثُ استطاعت هذه القُوَّة تدمير المحطَّة، وخلال ثلاثة أيَّام أصبحت سكَّة الحديد بين معان ومحطَّة المدورة مع محطَّاتها بأيدي القُوَّات العَرَبيَّة[1]. وبعد يوم واحد من هذه العمليَّة؛ اصطحب لُورنس سيَّارتَيْن مُصفَّحَتَيْن لاستطلاع محطَّة المدورة؛ حيثُ نَصَحَ بعدم مُهاجمتها لقُوَّة دفاعها[2].

وفي هذه الأثناء؛ وَصلَ الكابتن هيوبرت يُونك Hubert young وعيَّن مُساعداً للُورنس، ولكنَّ لُورنس كان غير راغب في هذا الأمر؛ إذْ رغب في إبعاد يُونك عن ساحته. ونصَّب نفسه آمره المُباشر، فأمره أنْ يتوجَّه إلى الشّمال، ويعمل على تنسيق جُهُود الأمير زيد والشّريف ناصر ومرزوق التّخيمي من أجل تدمير خطِّ السّكَّة شمال معان. وفي هذا الصّدد كَتَبَ يُونك: "... اعتقد لُورنس أنَّنا جميعاً تحت أوامره، لكنَّني لم أعرف في ذلك الوقت، وبقيتُ أعتبره بأنَّه ضابط ارتباط فَيْصَل مع الجنرال اللّنبي، أكثر من كونه كُولُونيلاً فعلياً في الجيش."[3].

بعد فشل الهُجُوم الذي شنَّتْهُ القُوَّات العَرَبيَّة على معان، قام الجيش البريطاني بحَمْلَة ثانية على السَّلْط وعمَّان، ففي 29 نيسان، بدأ الهُجُوم ـ مُجدَّداً ـ في جبهات شونه ونمرين في الجانب الشَّرْقي من وادي الأُردُن، بينما اندفعت قُوَّات أُخرى نحو السَّلْط، فَدَخلَتْهَا يوم 30 نيسان، ولكنَّ تلك القُوَّات لم تستطع الاحتفاظ بالسَّلْط؛ إذْ شنَّ العُثمانيُّون هُجُوماً مُعاكساً، فأرغموهم على الانسحاب يوم 3 أيار إلى الجانب الغربي من الوادي[4].

وفي الوقت الذي كان هُجُوم البريطانيِّين قائماً، غادر لُورنس إلى السُّويس للاجتماع بالجنرال اللّنبي لبَحْث الخُطط المُقبلة، فَطَلَبَ منه زيادة الغارات الجوِّيَّة على محطَّات السّكَّة

---

(1) Richard Graves, Op. cit., P. 71.

(2) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص173.

(3) Hubert Young, Op. cit., P. 243.

(4) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص174.

الحديديَّة لتغطية النَّقْص الحاصل في القُوَّات البريَّة ، بسبب سَحْب بعض الفرَق القويَّة من جيش الجنرال اللّنبي خلال شهر آذار ، وعندما علم أنَّ في نيَّة الجنرال اللّنبي حلَّ اللّواء إلى القُوَّات العَرَبيَّة ، وبتاريخ 4 أيار عاد إلى (أبو اللّسن) ؛ حيثُ اجتمع بالأمير فَيْصَل ، وأخبره بحُصُوله على مؤونة جديدة للقُوَّات العَرَبيَّة تُقدَّر بألفَيْ جمل[1] .

وبينما كان لُورنس يقوم بزيارة وادي الحسا في نهاية شهر نيسان عام 1918 ، كانت القُوَّات العَرَبيَّة تُهاجم محطَّات السّكَّة الحديديَّة شمال معان ، بقَصْد تدميرها إلى الحَدِّ الذي يعجز فيه العُثمانيُّون عن تكوين قُوَّة كبير في معان يُمكن أنْ تهاجم العَرَب في تلال سمنه ، فاستولت تلك القُوَّات بقيادة الأمير زيد على محطَّة الجردونة ، وفي 23 أيار ؛ استولت على محطَّة الحسا ، وفي 24 أيار ؛ استولت القُوَّات العَرَبيَّة على محطَّة فريفره ، ثُمَّ هاجمت تلك القُوَّات خطَّ السّكَّة بين معان والجردونة ، وذلك بتاريخ 26 أيار[2] .

عاد لُورنس إلى أبو اللّسن ، واجتمع بالأمير فَيْصَل ، فَحَدَّثَهُ عن عمليَّات الشّريف ناصر ، وأهميَّتها في تعطيل مجهود العثمانيِّين لُمدَّة شهر على الأقلِّ ، بسبب انشغالهم في إصلاح خُطُوط السّكك ، وشهرَيْن آخرَيْن ، لكي يُعيدوا استعداداتهم للهُجُوم على (أبو اللّسن) . ولأجل تقوية جيش الأمير فَيْصَل ؛ اقترح عليه لُورنس نَقْلَ الوحدات النّظاميَّة في جيشَيْ الأميرَيْن عليّ وعبد الله إلى جيشه ، ليُصبح قوامه 10000 مُقاتل ؛ حيثُ حَصَلَ على مُوافقة الأمير فَيْصَل على اقتراحه هذا ، ولم يبقَ أمامه إلاَّ مُوافقة الملك حُسَيْن على هذا المشروع[3] .

ثُمَّ توجَّه لُورنس إلى جدَّة ، في الأُسبُوع الأخير من شهر حُزيران ، مُزوَّداً برسائل توصية من ونكت إلى الملك حُسَيْن ، بُغية إقناعه بالمُوافقة على مشروعه . وبادر ـ أثناء وُصُوله إلى جدَّة ـ بإرسال رسالة إلى الملك حُسَيْن أخبره فيها بالعمليَّات العسكريَّة في الشّمال ، جاء فيها : "قضيتُ الأسابيع الثّلاثة الماضية مع حَمْلَة الجيش الشّمالي لجلالتكم ، والتي شقَّت طريقها

---

(1) المصدر نفسه ، ص176 .

(2) ليدل هارت ، لُورنس العسكري والرّجل والثّورة العَرَبيَّة ، "المُقتطف" ، مُجلَّد 987 ، 1935 ، ص13 ؛ سُليمان مُوسى ، لُورنس والعَرَب ، ص177 ـ 184 .

(3) أنتوني ناتنغ ولويل تُوماس ، المصر السّابق ، ص194 .

بنجاح حوالي درعا، إنَّ الجُنُود تحت قيادة ضُبَّاطهم نُوري السّعيد، وعليّ جودت، وتحسين عليّ، أبدوا شجاعة فائقة وقُوَّة على الاحتمال أثناء هذه العمليَّات التي تُؤلِّف أعظم إنجاز للأُمَّة العَرَبيَّة خلال السّبعمائة سنة المُنصرمة[1].

ثُمَّ طَلَبَ مُقابلة الملك للتّباحث معه، فاعتذر الملك حُسَيْن بحُجَّة أنَّه صائم، ولا يستطيع مُقابلته، فأسقط بيد لُورنس، واضطُرَّ لإجراء مُكالمة هاتفيَّة معه، بُغية الحُصُول على مُوافقته، ولكنَّ الملك حُسَيْن رَفَضَ رَفْضاً قاطعاً نَقْلَ تلك القُوَّات. وهكذا فشل لُورنس في إقناع الملك حُسَيْن بجدوى مُقترحه[2].

عاد لُورنس إلى العَقَبَة في 28 تمُّوز 1918، ثُمَّ اتَّجه إلى الجفر للقاء الأمير فَيْصَل، ماراً بالقويرة، ثُمَّ عاد إلى العَقَبَة، والتقى بالكُولُونيل داوني Dawnay الذي ذَهَبَ في صباح اليوم التّالي إلى الأمير فَيْصَل يُخبره برسالة شفهيَّة من اللّنبي، فحواها أنْ لا يندفع للقيام بأيِّ عمل أو مُجازفة؛ لأنَّ هُجُوم البريطانيِّين يخضع لعوامل مُتعدِّدة، فإذا فشل هُجُومهم وَقَعَ العَرَب في مأزق. ويقول لُورنس: إنَّ فَيْصَل ابتسم عندما سمع برسالة اللّنبي، وأخبره أنَّه سيُحاول دُخُول دمشق هذا العام مهما كانت العقبات[3].

أمَّا لُورنس؛ فقد كان يُدرك ذلك، وكان على علم تامٍّ بالاتِّصالات الجارية بين فَيْصَل والسُّلطات العُثمانيَّة حول عقد الصُّلح بواسطة مُحَمَّد سعيد الجزائري[4]، لكنَّه كان على يقين من أنَّه لا يستطيع مَنْعَ فَيْصَل من عقد الصُّلح مع العُثمانيِّين، فربَّما يحصل منهم على أكثر ممَّا

---

(1) Quoted in: Malcolm Brawn, OP. cit., P. 147.

(2) سُليمان مُوسى، المُراسلات التّاريخيَّة، المُجلَّد الأوَّل، ص212.

(3) لويل تُوماس وأنتوني ناتنغ، المصدر السّابق، ص199.

(4) مُحَمَّد سعيد الجزائري: (1881 ـ 1970) حفيد الأمير عبد القادر الجزائري، وُلد، وعاش في دمشق، وتعلَّم فيها، وفي الأستانة، شكَّل الحُكُومة العَرَبيَّة بعد تحرير دمشق، والتي استمرَّت يومَيْن بالاشتراك مع شقيقه عبد القادر الجزائري الحفيد. نُفي من قبَل الإنكليز إلى مصر، ثُمَّ عاد إلى دمشق بعد الاحتلال الفرنسي عام 1920، وأقام فيها إلى سنة 1966؛ حيثُ رافق جُثمان جَدِّه عبد القادر الجزائري إلى الجزائر، واستقرَّ فيها لحين وفاته، للتّفاصيل؛ انظر: خير الدِّين الزّركلي، الأعلام، المُجلَّد السّادس، ص145.

حَصَلَ عليه من البريطانيّين[1] . وفي ذلك إشارة واضحة لاعتقاد لُورنس أنَّ جميع الوُعُود التي قدَّمتها بريطانيا للعَرَب كانت حبراً على ورق، ولا يُمكن - بل ومن المُستحيل - تنفيذها.

ومن جانب آخر؛ قرَّر الجنرال اللّنبي في 19 أيلول عام 1918، بعد أنْ حشد مُعظم قُوَّاته على الجانب الغربي من وادي الأُردُن مُقابل الفرقة الثّانية من الجيش العُثماني. وكانت مهمَّة الجيش العَرَبي في هذه المرحلة، هي أنْ تقوم حَمْلَة خاطفة عنه بالهُجُوم على درعا، عُقدة المُواصلات العُثمانيَّة، لتدمير خُطُوط السّكَّة الثّلاثة حولها، وعَزْل الجُيُوش العُثمانيَّة في فلسطين وشرقي الأُردُن عن مركز إمدادها وتموينها في دمشق، وتقرَّر أنْ يبدأ العَرَب حَرَكَاتهم قبل هُجُوم قُوَّات اللّنبي بثلاثة أيَّام[2] .

ولأجل تنفيذ ما كُلِّفت به الجُيُوش العَرَبيَّة؛ تقرَّر عقد مُؤتمر برئاسة الأمير فَيْصَل، حَضَرَهُ كُلٌّ من لُورنس، ونُوري السّعيد، وداوني، وجويس، بالإضافة إلى يُونك؛ حيثُ بُحثت الوسائل اللاَّزمة لتموين الحَمْلَة، والطُّرُق المُناسبة لسَيْرها[3] .

ومن الجدير بالذِّكْر؛ أنَّه في وقت سابق تمَّت المُداولة بين كُلٍّ من نُوري السّعيد، ولُورنس حول طُرُق تموين الجُيُوش العَرَبيَّة والصُّعُوبات التي تعترض إمدادها. فَطَرَحَ نُوري السّعيد فكْرة تأليف جحفل سيَّار، الفكْرة التي طَرَحَهَا عزيز عليّ المصري في بداية الثّورة، فاستحسن لُورنس هذه الفكْرة، وَعَرَضَهَا على الجنرال اللّنبي، الذي أصدر مُوافقته عليها، وخلال هذا الاجتماع تمَّ تكليف نُوري السّعيد، ولُورنس، ويُونك، بدراسة احتياجات هذا الجحفل[4] . كما تقرَّر أنْ يتألَّف هذا الجحفل من (500) جُنْدي نظامي، مع ثلاثة آلاف جمل لنَقْل المُؤن والأعتدة، وأُسندت قيادة الجحفل إلى نُوري السّعيد، كما طَلَبَتْ القيادة العَرَبيَّة تزويدها بعدد من الرّشَّاشات الحديثة، فأرسلت بريطانيا 20 رشَّاشة خفيفة من طراز هُوتشكس، وأربع رشَّاشات ثقيلة من طراز فيكرز، مع بطَّاريَّة المدافع الفرنسيَّة بقيادة الكابتن بيزاني

---

(1) Richard Grav es, OP. cit., P. 72.

(2) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص194 - 195.

(3) Richard Grav es, OP. cit., P. 75.

(4) نُوري السّعيد، المصدر السّابق، ص85 - 86.

(Captain Pisani) وسريَّة الهندسة بقيادة الكابتن بيك (Captain Peake) وثلاث سيَّارات مُصفَّحة، وخمس سيَّارات نَقْل مع طائرَتَيْن[1]. كما رافق الحَمْلَة عدد من الضبَّاط العَرَب والبريطانيِّين، وكان من الضبَّاط العَرَب تحسين عليّ، وجميل المدفعي، عليّ جودت الأيُّوبي، وعبد الحميد الشّالجي، أمَّا الضبَّاط البريطانيُّون؛ فهُم كُلٌّ من لُورنس، وجويس، ويُونك، وونترتون (Winterton)، بالإضافة إلى كير كبرايد (Kir Kbride)، وأسندت القيادة العامَّة للأمير فَيْصَل.

أمَّا الشّريف ناصر؛ فتولَّى قيادة قُوَّات البدو، الذين أخذوا بالتَّجمُّع في منطقة الأزرق[2].

تعدَّت جُهُود الأمير فَيْصَل الجانب التّنظيمي إلى الجانب السّياسي، بقَصْد إثارة أهالي البلاد التي ستجري فيها المعارك، فأرسل الشّريف ناصر مُزوَّداً بمنشور مُوقَّع من قبَله، تضمَّن إنابته - أيْ الشّريف ناصر - مع نسيب البكري، لحَثّ الأهالي على مُساندة القُوَّات العَرَبيَّة للتَّخلُّص من السّيطرة العُثمانيَّة، ثُمَّ غادرت القُوَّة (أبو اللّسن) في 31 آب؛ حيثُ عَبَرَتْ خطَّ السّكَّة جنوبي معان، ومرَّت بالجفر وباير، فَوَصَلَتْ الأزرق في 6 أيلول عام 1918[3].

بقي لُورنس مع فَيْصَل، ونُوري السّعيد، وجويس، فغادروا (أبو اللّسن) يوم 4 أيلول بالسيَّارات. واتَّخذ الأمير فَيْصَل قصر الأزرق مقرّاً له. وبدأت القُوَّة باتِّخاذ الاستعدادات اللاَّزمة للحَرَكَات المُقبلة؛ فتمَّت تهيئة أماكن لهُبُوط الطّائرَتَيْن، وقامت القُوَّة بحَفْر الخنادق الضّروريَّة للطّوارئ. كما بَعَثَ الأمير فَيْصَل عدَّة رسائل إلى زُعماء الدُّرُوز يحثُّهم على مُساعدة الثّورة[4]، ثُمَّ بدأت قُوَّات العشائر بالتّوافد على الأزرق، وفي مُقدّمتها عودة أبو

---

(1) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص195.

(2) نُوري السّعيد، المصدر السّابق، ص87، مُذكّرات جعفر العسكري، تحقيق نجدة فتحي صفوت، لندن، دار السّلام، 1988، ص137؛ علاء جاسم مُحَمَّد، المصدر السّابق، ص49.

(3) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص196.

(4) عليّ جودت الأيُّوبي، ذكريات عليّ جودت الأيُّوبي 1900 - 1958، بيرُوت، مطابع الوفاء، 1967، ص58.

تايه، مع خمسمائة فارس من الحويطات، و300 فارس من الرُّولة بقيادة نُوري الشّعلان. وتكاملت الحَمْلَة في 12 أيلول عام 1918[1].

غادرت القُوَّة الرّئيسة الأزرق يوم 4 أيلول باتِّجاه الشّمال، وقوامها 1300 مُقاتل بين مُقاتلين نظاميِّين وغير نظاميِّين، فَبَلَغَتْ قرية المتاعية في 15 أيلول. وفي يوم 16 أيلول؛ بدأ لُورنس يُمارس مهامَّه في تدمير ونَسْف خُطُوط السّكك الحديديَّة؛ حيثُ اتَّجه غرباً إلى خطِّ السّكَّة (الكيلو 149) يُرافقه جويس، وونترتون، مع ثُلَّة من الجُنُود بواسطة السّيَّارات. وعندما اقترب من الموضع المُقرَّر؛ اتَّجهت المُصفَّحتان لمُشاغلة القُوَّة العُثمانيَّة، بينما اتَّجه لُورنس ورفاقه نحو الجسر. وبعد مُقاومة ضعيفة، استسلمت القُوَّة، وقام لُورنس بنَسْف الجسر، بعدها؛ عادت القُوَّة إلى الاتِّجاه شمالاً للَّحاق بالحَمْلَة الرّئيسة[2].

كما رافق لُورنس حَمْلَة مُؤلَّفة من 350 جُنْديّاً نظاميّاً بقيادة نُوري السّعيد والشّريف ناصر، وكانت وُجهتهم محطَّة المزيريب لقَطْع خطِّ السّكك إلى الجنوب من درعا، وبعد أنْ أتمَّت القُوَّة تخريب الخطِّ، قام - وبمُساعدة يُونك - بقَطْع أسلاك الهاتف والتّلغراف[3].

لم تعد تلك القُوَّة إلى مواقعها، بل قرَّرت مُهاجمة قرية تلِّ الشّهاب وجسرها الكبير، بعد أنْ رحَّب بالقُوَّة كُلٌّ من شيخ القرية وقائد حاميتها الأرمني، أثناء لقائهما بالقُوَّة في منطقة المزيريب، وأثناء اللّيل؛ سارت القُوَّة بقيادة نُوري السّعيد يُرافقهم لُورنس والشّريف ناصر، وعند وُصُولهم؛ كانت هُناك إمدادات ألمانيَّة - عُثمانيَّة قد وَصَلَتْ إلى المحطَّة، وبذلك؛ أصبح من الصّعب مُهاجمتها. لذا؛ عَدَلَتْ القُوَّة عن مُهاجمة المحطَّة المذكورة[4]. ويدَّعي لُورنس أنَّه هُو الذي أقنع نُوري السّعيد بالعُدُول عن فكْرة الهُجُوم؛ إذْ إنَّ نُوري السّعيد قرَّر أنْ يُهاجمها هُجُوماً مُباشراً[5]، ولكنَّ نُوري السّعيد لا يُشير إلى ذلك في مُذكّراته. كما تمكَّن

---

(1) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص197.

(2) نُوري السّعيد، المصدر السّابق، ص88، عبد المُنعم ناصر، المصدر السّابق، ص68.

(3) "جريدة القبلة"، والعدد 216، 20 ذي الحجَّة 1336؛ سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص198 - 199.

(4) نُوري السّعيد، المصدر السّابق، ص90.

(5) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص271.

لُورنس من نَسْف جسر يقع إلى الشّمال من قرية نصيب بتاريخ 18 أيلول في نطاق التّدميرات التي كانت تُجريها حَمْلَة نُوري السّعيد[1].

وفي الوقت الذي بدأ فيه الجنرال اللّنبي هُجُومه الكبير على خُطُوط الفرقَتَيْن السّابعة والثّامنة من الجيش العُثماني، قامت قُوَّة بقيادة نُوري السّعيد مع لُورنس بنَسْف بعض القطارات، وعدد من قُضبان السِّكَّة عند الكيلو 154، لتعطيل إصلاح الجسر القريب من محطَّة جابر[2].

توجَّهت حَمْلَة القُوَّات العَرَبيَّة إلى أُمّ السّراب، بعد أنْ تَركَتْ منطقة المتاعيَّة، بسبب هَجَمَات الطّائرات العُثمانيَّة. وفي 20 أيلول، غادر لُورنس أُمَّ السّراب مُتوجِّهاً إلى الأزرق، لمعرفة أخبار هُجُوم الجنرال اللّنبي؛ حيثُ كان يتوقَّع أنْ تصل طائرة من فلسطين، فَبَلَغ الأزرق عصر يوم 20 أيلول، واجتمع بالأمير فَيْصَل ونُوري الشّعلان.

وعند مجيء الطّائرة تحمل أخبار انتصار الجنرال اللّنبي، قرَّر لُورنس العودة معها إلى فلسطين، كي يطلب من الجنرال اللّنبي توفير تغطية جوِّيَّة للحَمْلَة العَرَبيَّة بسبب هَجَمَات الطّائرات العُثمانيَّة[3].

عند وُصُول لُورنس إلى فلسطين؛ اجتمع بالجنرال اللّنبي، الذي عَرَضَ عليه خُططه القادمة، والتي تتلخَّص بعدم مَنْح العُثمانيِّين فُرصة للانسحاب، وكانت تلك الخُطَّة هي: التَّقدُّم نحو دمشق بثلاثة أرتال: الأوَّل يتقدَّم إلى عمَّان بقيادة تشابتور Chytor مع قُوَّاته النّيوزلنديَّة، والثّاني بقيادة الجنرال بارو (Barrow) مع قُوَّاته من الهُنُود، وكانت وُجهته الرّمثا باتِّجاه درعا، والثّالث إلى القُنَيْطرَة بقيادة الجنرال شُوفيل (General Chauvel) مع قُوَّاته من الأُستراليِّين. وأُعطيت للقُوَّات العَرَبيَّة مهمَّة مُساعدة الأرتال الثّلاثة، وأنْ لا تتقدَّم لدُخُول دمشق قبل وُصُول القُوَّات البريطانيَّة.

---

(1) "جريدة القبلة"، العدد 216، 20 ذي الحجَّة، 1336.

(2) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص275.

(3) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص203.

Malcolm Brown, OP. cit., P. 153; Richard Graves, OP. Cit., P. 77.

كما طَلَبَ لُورنس من اللّنبي إرسال ثلاث طائرات للمُساهمة في صَدِّ هَجَمَات الطّائرات العُثمانيَّة، وعاد بعدها إلى أُمِّ السّراب يوم 22 أيلول؛ حيثُ اشتبكت الطّائرات البريطانيَّة مع الطّائرات العُثمانيَّة، وأسقطت اثنتَيْن منها، ثُمَّ توجَّه - في اليوم نفسه - إلى الأزرق[1].

وبتاريخ 25 أيلول؛ عَقَدَ الأمير فَيْصَل مُؤتمراً لقادة الحَمْلَة، بعد أنْ دَخَلَ البريطانيُّون بلدة عمَّان؛ حيثُ بُحثَتْ في هذا المُؤتمر الخُطط المُستقبليَّة في ضوء تطوُّرات الحَمْلَة الأخيرة. وفي هذا الاجتماع؛ اقترح لُورنس احتلال قرية شيخ سعد، إلى الشّمال الغربي من درعا، والتي ستُشَكِّل - في حالة احتلالها - حصناً منيعاً عند تعرُّض القُوّات العَرَبيَّة إلى هُجُوم مُحتمل. ويدَّعي كذلك أنَّ خُطَّته حَصَلَتْ على مُوافقة الجميع، بمَنْ فيهم نُوري السّعيد[2]، ويُسجِّل نُوري السّعيد في مُذكّراته اعتراضه على هذه الخُطَّة؛ إذْ فكَّر بضرورة سَيْر الحَمْلَة إلى ما وراء خطِّ درعا - طبريَّة، لتوقُّعه بأنْ يكون هذا الموقع خطَّ قتال مع الجيش العُثماني المُنسحب، ومن أجل حَلِّ الخلاف؛ احتكموا إلى الأمير فَيْصَل، وكان لُورنس معهم، فأمر أنْ تُشَنَّ الغارة على محطَّة المفرق، ثُمَّ تذهب إلى قرية الشّيخ سعد في يوم واحد[3]. ويبدو أنَّ إحجام لُورنس عن ذكْر هذه الحادثة، بدافع إيهام القارئ أنَّ آراءه ومُقترحاته تلقى رواجاً كبيراً، ولم تكن تلقى أيَّة مُعارضة تُذكَر.

قسّمت الحَمْلَة عدَّة مجموعات من المُقاتلين البدو، لتوسيع نطاق العمليَّات؛ حيثُ استولى طلال الحريدين - مع مجموعة من فرسان الحوارنة - على منطقة إزرع، بينما اتَّجه عودة أبو تايه إلى محطَّة خربة الغزالة، واتَّجه نُوري الشّعلان نحو درعا، لقَطْع الطّريق أمام أيَّة قُوَّة مُعادية، أمَّا القُوَّة الأصليَّة بقيادة الشّريف ناصر ونُوري السّعيد ومعهما لُورنس؛ فقد تقدَّمت حتَّى وَصَلَتْ إلى قرية الشّيخ مسكين ليلاً، ثُمَّ واصلت زَحْفَهَا في اللّيلة نفسها إلى قرية الشّيخ سعد، فَوَصَلَتْهَا فجر يوم 27 أيلول، ثُمَّ التحقت باقي المجموعات بالقُوَّة الأصليَّة في هذه القرية، بعد أنْ أدَّت واجبها، وَقَتَلَتْ، وَأَسَرَتْ عدداً من أفراد القُوّات العُثمانيَّة[4].

---

(1) أمين سعيد، أسرار الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى وملحقاتها الشّريف حُسَيْن، القاهرة، دار الكتاب العَرَبي، د، ت، ص267؛ سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص203 - 204.

(2) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص280.

(3) نُوري السّعيد، المصدر السّابق، ص91.

(4) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص207.

وفي مساء يوم 27 أيلول عام 1918، تمكّن الشّريف ناصر من دُخُول مدينة درعا، وَرَفَعَ العلمَ العَرَبي على دار الحُكُومة فيها، وقام بتعيين الحاكم العسكري، وتنظيم أجهزة الإدارة المدينة، وفي فجر يوم 28 أيلول، دَخَلَهَا لُورنس برفقة كُلٍّ من أحمد قدري ويُونك[1].

وفي الوقت الذي دَخَلَ فيه العَرَب البلدة؛ كانت القُوّات الهنديَّة بقيادة الجنرال بارو تتقدَّم من الرّمثا باتّجاه درعا. ولمّا علم أنَّ القُوّات العَرَبيَّة سَبَقَتْهُ بالدُّخُول إلى البلدة، طَلَبَ منها الانسحاب، لفَتْح المجال للقُوّات البريطانيَّة لدُخُول البلدة، ولكنَّ نُوري السّعيد رَفَضَ هذا الأمر، فَذَهَبَ لُورنس للتّفاوض مع الجنرال بارو، الذي كان مُصراً على انسحاب العَرَب، ولكنَّه عَدَلَ عن ذلك، بعد أنْ أبرز له لُورنس تصريح بريطانيا للسُّوريِّيْن السّبعة[2].

ـ دور لُورنس في احتلال مدينة دمشق:

لم تكتف القُوّات العَرَبيَّة بدُخُولها مدينة درعا، بل بادرت إلى الزّحف لمُطاردة القُوّات العُثمانيَّة المُنهزمة واحتلال دمشق. كما تمَّ الاتّفاق بين القيادتين العَرَبيَّة والبريطانيَّة على تقدُّم القُوّات العَرَبيَّة إلى دمشق من الجهة الجنوبيَّة الشَّرْقيَّة، بينما تتقدَّم القُوّات البريطانيَّة بقيادة الجنرال بارو باتّجاه الطّريق الرّئيس المُؤدّي إلى المدينة[3].

واجه العُثمانيُّون تقدُّم القُوّات العَرَبيَّة ـ البريطانيَّة نحو دمشق بالتّحصُّن في منطقة الكسوة، لتكون آخر معقل للدّفاع عن دمشق. أمّا القُوّات العَرَبيَّة؛ فقد بَلَغَتْ موقع "المسمية"

---

(1) أحمد قدري، مُذكّراتي عن الثّورة العَرَبيَّة، دمشق، مطابع ابن زيدون، 1956، ص72؛ أنيس صايغ، الهاشميُّون والثّورة العَرَبيَّة، ص131؛

Hubert Young, OP. cit., P. 80.

(2) محمُود صالح منسي، المصدر السّابق، ص164؛

Richard Graves, OP. cit., P. 80.

في 16 حُزيران 1918، أبدى سبعة من الزُّعماء السُّوريِّيْن في القاهرة تخوُّفهم من حُكْم الملك حُسَيْن. وبسبب الدّعاية العُثمانيَّة حول اتّفاق سايكس بيكُو، رأت الحُكُومة البريطانيَّة أنَّها مُلزَمة بتقديم وُعُود جديدة للعَرَب، فأصدرت هذا التّصريح، وبَعَثَتْ نُسخة منه إلى الملك حُسَيْن، وأُخرى إلى الأمير فَيْصَل، وينصُّ هذا التّصريح على بقاء القُوّات العَرَبيَّة بالمناطق التي تحتلُّها، حتّى يُقرّر الحُلفاء مصيرها في نهاية الحَرْب. للتّفاصيل؛ انظر: سُليمان مُوسى، الثّورة العَرَبيَّة وثائق وأسانيد، ص107.

(3) نُوري السّعيد، المصدر السّابق ص95 ـ 96؛ عبد الرّزاق أحمد النّصيري، نُوري السّعيد ودوره في السّياسة العراقيَّة حتّى عام 1932، بغداد، مكتبة اليَقَظَة العَرَبيَّة، 1988، ص53.

التي قرَّرت الهُجُوم عليها أثناء اللّيل، وفعلاً؛ وَقَعَتْ معركة بين الطَّرَفَيْن، انتهت بانهزام الفرقة العُثمانيَّة مُتكبِّدة خسائر كبيرة[1].

أمَّا لُورنس؛ فقد بقي في درعا، واجتمع فيها بالأمير فَيْصَل، ثُمَّ غادرها بصُحبة الميجر ستيرلنج (Sterling) مُتوجِّهاً صوب دمشق؛ حيثُ التحق بالقُوَّات العَرَبيَّة، وَطَلَبَ منها مُشاغلة الفرقة العُثمانيَّة، ريثما يذهب لطَلَب النّجدة من الفرقة الهنديَّة بقيادة الجنرال بارو، ولكنَّ مُحاولته تلك لم تلقَ النّجاح، بسبب تلكُّؤ قائد إحدى الكتائب الهنديَّة في الهُجُوم على القُوَّات العُثمانيَّة. ولم تكن القُوَّات العُثمانيَّة بحاجة إلى هذا الزّخم المُقابل من الهُجُوم؛ فقد كانت في حالة انهيار كامل، فَوَلَّت الأدبار باتِّجاه جبل المانع، الذي تكبَّدوا فيه خسائر كبيرة ألحقها بهم عودة أبو تايه مع قُوَّاته من بدو الحويطات[2]. فتراجعت القُوَّات العُثمانيَّة إلى الشّمال باتِّجاه الأُردُن؛ حيثُ تعرَّضت لقَصْف جوِّي من قبَل سلاح الجوِّ المَلَكي البريطاني، في الوقت ذاته الذي تعرَّضت فيه لهَجَمَات برِّيَّة مُتواصلة من قبَل قُوَّات الأمير فَيْصَل، فانفتح أمامها الطّريق المُؤدِّي إلى دمشق[3].

وفي مساء يوم 30 أيلول عام 1918، بَعَثَ الشّريف ناصر برسالة إلى الوطنيِّين في دمشق، يطلب منهم تنظيم الإدارة في المدينة، ويُخبرهم أنَّه سيدخلها في اليوم التّالي، وفي السّاعة السّادسة من صباح يوم 1/ تشرين أوَّل/ 1918، دَخَلَتْ إلى دمشق القُوَّات العَرَبيَّة من الجهة الجنوبيَّة، بينما دَخَلَتْهَا من الجهة الغربيَّة القُوَّات الأُستراليَّة[4].

---

(1) Richard Graves, OP. cit., P. 77; Robert Graves, Op. cit., P. 374.

(2) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص211.

(3) بنواميشان، المصدر السّابق، ص124.

(4) عليّ الوردي، المصدر السّابق، مُلحق الجُزء السّادس، ص82. هذا؛ ولم يتَّفق الباحثون على مَنْ دَخَلَ أوَّلاً إلى دمشق؛ إذْ يذكر البعض أنَّ القُوَّات الأُستراليَّة هي أوَّل مَنْ دخل إلى دمشق، ثُمَّ دَخَلَتْ في أعقابها القُوَّات العَرَبيَّة. انظر: زين نُور الدِّين زين، المصدر السّابق، ص77؛ مُحَمَّد كُرد عليّ، خُطط الشّام، الجُزء الثّالث، بيرُوت، دار العلم للملايين، 1970، ص152. بينما يذكر أيلي خضُّوري أنّ القُوَّات العَرَبيَّة دَخَلَتْ دمشق مُنتصف يوم 30 أيلول عام 1918. انظر:

Ellekedurie, The Chatham House Version And Other Middle Eastern Studies, London, Frank Cass, N.D, P.41.

فَبَعَثَ الجنرال اللّنبي برقيَّة إلى الملك حُسَيْن يزفُّ له هذا الخبر العظيم، وجاء فيها: "يسرُّني أنْ أُبلغ جلالتكم أنَّ جُنُودنا المُشتركة قد دخلوا دمشق في السّاعة السّادسة من صباح اليوم"[1].

دَخَلَ لُورنس دمشق برفقة كُلٍّ من الشّريف ناصر، مُمثِّلاً للأمير فَيْصَل، وعودة أبي تايه، ونُوري الشّعلان، وسُلطان الأطرش، بالإضافة إلى نُوري السّعيد. وقد قُوبل دُخُول هؤلاء القادة بحماس مُنقطع النّظير، واستُقبلوا بالهُتافات ونَثْر الزُّهُور. وقد وَصَفَ لُورنس هذه الاحتفالات في رسائله التي بَعَثَهَا من دمشق[2].

ومن الجدير بالذِّكْر أنَّ لُورنس كان يرغب بدُخُول القُوَّات العَرَبيَّة إلى دمشق قبل أيَّة قُوَّة أُخرى. وكانت رغبته تلك ناتجة عن عدَّة اعتبارات؛ أهمّها أنَّ دُخُول القُوَّات العَرَبيَّة سوف يمنح لُورنس - باعتباره مُستشار للأمير فَيْصَل - سُمعة كبيرة لدى القيادَتَيْن العَرَبيَّة والبريطانيَّة على حَدٍّ سواء، تبعاً للسُّمعة التي سيحصل عليها فَيْصَل، بصفته مُنقذاً للعَرَب من الحُكْم العُثماني. كما أنَّ دُخُول القُوَّات العَرَبيَّة أوَّلاً سيُعطيها الحقَّ بالاحتفاظ بدمشق، استناداً إلى بُنُود التّصريح البريطاني للسُّوريِّيْن السّبعة[3]، يُؤكِّد ذلك ما أدلى به الأمير فيصل للأمير مُحَمَّد سعيد الجزائري بأنَّه قد تمَّ الاتِّفاق على مُهاجمة سُورية، وأنَّ أيَّاً من القُوَّات العَرَبيَّة أو البريطانيَّة أو الفرنسيَّة تدخل المدينة أوَّلاً تكن تحت سيطرتها، حتَّى يُقرِّر الحُلفاء مصيرها بعد انتهاء الحَرْب[4].

إنَّ هذا الهدف الذي سعى إليه لُورنس ليس لمصلحة العَرَب، بل لكي يقطع الطّريق أمام الأطماع الفرنسيَّة في سُورية.

كان أوَّل عمل قام به لُورنس بعد دُخُوله دمشق أنْ توجَّه نحو قبر صلاح الدِّين الأيُّوبي، وَرَفَعَ عنه الإكليل النُّحاسي الذي أهداه الإمبراطُور الألماني غليوم الثّاني أثناء

---

(1) مُقتبس من: سُليمان مُوسى، المُراسلات التّاريخيَّة، المُجلَّد الأوَّل، ص213.

(2) Malcolm Brawn, Op. Cit., P.154.

(3) زين نُور الدِّين زين، المصدر السّابق، ص78.

(4) Elie Kedouric. The chatham Hous... P.46.

زيارته لدمشق عام 1908، على اعتبار أنَّه من الغنائم الحَرْبيَّة، وأهداه إلى المُتحف الحَرْبي البريطاني[1].

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّه بعد انسحاب القُوَّات العُثمانيَّة من دمشق، كان الأمير مُحَمَّد سعيد الجزائري قد تولَّى الحُكْم فيها، ورَفَعَ العلمَ العَرَبي على بناية السّراي، وأعلن قيام حُكُومة مُؤقَّتة باسم الملك حُسَيْن، على الرّغم من أنَّ بهجت بك وكيل الوالي العُثماني قد سلَّم إدارة المدينة إلى شُكري باشا الأيُّوبي، لكنَّ شُكري باشا الأيُّوبي لم يرغب في مُزاحمة الأمير مُحَمَّد سعيد على السُّلطة، خوفاً من حُدُوث الاضطرابات[2].

واجه لُورنس بوادر الانقسام في المدينة بين فئتَيْن: الأُولى مُؤيِّدة لكُلٍّ من الأميرَيْن عبد القادر ومُحَمَّد سعيد الجزائريَّين، أمَّا الفئة الأُخرى؛ فهُم من مُؤيِّدي لجنة أنصار الأمير فَيْصَل، التي ظلَّت في انعقاد شبه مُستمرٍّ، تنتظر وُصُول الأمير فَيْصَل، لإعلانه زعيماً لها. وكان كُلٌّ من الأمير فَيْصَل ولُورنس يعتمدان على هذه اللّجنة التي كانت برئاسة عليّ رضا باشا الرّكابي[3]. فبدأ لُورنس نشاطه لتنحية كُلٍّ من عبد القادر وأخيه مُحَمَّد سعيد، وتسليم السُّلطة إلى مُؤيِّدي الأمير فَيْصَل. وقد أدرك الأميران هذا النّشاط الجامح لدى لُورنس. فلم يتأخَّرا في إظهار قُوَّتهما، وانتقدا العلاقات بين كُلٍّ من لُورنس والأمير فَيْصَل، وعابا على الأمير فَيْصَل استسلامه لمُستشاره، حتَّى إنَّهما أسمياه "صنيعة الإنكليز"، وطالباه بإعلان حُكْم وطني مُستقلٍّ، كما طالبا بإقصاء الضُّبَّاط عن قيادة جيش الثّورة. لذلك أخذ لُورنس يُفكِّر في إزاحتهم عن المسرح السّياسي في دمشق، وتمهيد الطّريق أمام الأمير فَيْصَل[4]. وقد حَصَلَ لُورنس على مُوافقة لجنة أنصار الأمير فَيْصَل؛ لأنَّهم سبق أنَّ كلَّفوا عليّ رضا باشا الرّكابي وشُكري باشا الأيُّوبي بتشكيل الحُكُومة في دمشق[5].

---

(1) عبد العزيز العظمة، المصدر السّابق، ص98، "جريدة الرّأي" العدد 8448، 2 ت1 1993.

(2) سعد كاظم حسن، الملك فَيْصَل الأوَّل ودوره في الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، معهد البُحُوث والدّراسات العَرَبيَّة، 1988، ص184، خيريَّة قاسميَّة، الحُكُومة العَرَبيَّة. . . ، ص48.

(3) عبد العزيز العظمة، المصدر السّابق، ص228، ستيفن همسلي لونكريك، سُورية ولُبنان تحت الانتداب الفرنسي، ترجمة بيار العقل، بيرُوت، دارالحقيقة، 1978، ص85.

Elie Kedouric. The chatham Hous... P.45.

(4) أنيس صايغ، الهاشميُّون والثّورة العَرَبيَّة، ص132.

(5) أحمد قدري، المصدر السّابق، ص73 ـ 74.

وبتاريخ 2 تشرين الثّاني 1918، وبينما كانت جميع الأقطاب مُجتمعة في بناية السّراي، وهُم كُلٌّ من شُكري باشا الأيُّوبي، والشّريف ناصر، ومعهما الأميران مُحَمَّد سعيد وعبد القادر الجزائري، دَخَلَ عليهم لُورنس ونُوري السّعيد، فاتَّهم لُورنس الأميرَيْن بخيانتهما للعَرَب، ومُيُولهما للعُثمانيِّين والفرنسيِّين[1] وأعلن أمام الملأ عَزْلَ حُكُومة مُحَمَّد سعيد الجزائري، وتشكيل حُكُومة جديدة برئاسة عليّ رضا باشا الرّكابي. ولَمّا لم يكن الرّكابي حاضراً، أُوكلت مهمَّة الحُكُومة إلى شُكري باشا الأيُّوبي بالوكالة، على أنَّ يكون نُوري السّعيد قائداً عامّاً للقُوّات المُسلَّحة فيها[2]. وهُناك رواية أُخرى عن قضيَّة عَزْل حُكُومة الجزائريِّين، وتعيِّين حُكُومة جديدة برئاسة عليّ رضا باشا الرّكابي، وهي أنَّ عَزْل الحُكُومة جاء بطَلَب قدَّمته حُكُومة عليّ رضا باشا الرّكابي، بعد تشكيلها، إلى الجنرال اللّنبي، تلافياً لوُقُوع أيِّ نزاع قد يحدث بينهما، بسبب وُجُود خلاف بين كُلٍّ من عليّ رضا باشا الرّكابي والأميرَيْن الجزائريِّين[3].

ونتيجة لهذا العمل؛ حَدَثَتْ اضطرابات صاخبة في دمشق، واندفعت قُوّات الدُّرُوز والبدو إلى المدينة، وارتكبت أعمال نهب كبيرة، واستمرَّت تلك الفوضى إلى ظُهر يوم 1/ تشرين الثّاني/ 1918، ويعزو لُورنس هذه الثّورة إلى تحريض الأخوَيْن الجزائريِّين للدُّرُوز[4].

تَرَكَ هذا العمل الذي أقدم عليه لُورنس وَقْعَاً شديداً على الأخوَيْن الجزائريِّين، فبادرا إلى اتِّهام لُورنس بأنَّه نصراني وجاسوس بريطاني، وحاولا مُهاجمته، لولا بعض الحاضرين، ومنهم عودة أبو تايه، الذين حالوا دُون ذلك. لذلك صمَّم لُورنس على التَّخلُّص منهما. ويعزو لُورنس في تقرير له بَعَثَ به إلى المكتب العَرَبي أسباب موقفه السّلبي

---

(1) خيريَّة قاسميَّة، الحُكُومة العَرَبيَّة...، ص49.

Richard Graves, Op. Cit., P.81.

(2) خيريَّة قاسميَّة، الحُكُومة العَرَبيَّة...، ص49.

(3) مارسل بروفنس، حياة صاحب السُّمُوّ الأمير سعيد الجزائري حفيد الأمير عبد القادر الشّهير، ترجمة جُورج بشعلاني، بيرُوت، 1920، ص37، عبد الرّزاق النّصيري، المصدر السّابق، ص60.

(4) لُورنس، أعمدة الحكْمَة السّبعة، ص297 ـ 298، خيريَّة قاسميَّة، الحُكُومة العَرَبيَّة...، ص49.

من الأميرَيْن إلى أنَّهما مُختلاً العقل، ومُتعاونان مع السُّلطة العُثمانيَّة ضدَّ الوُجُود البريطاني في المنطقة[1]. فَضْلاً عن أنَّه كان يشكُّ في تعاونهما مع الفرنسيِّيْن، الأمر الذي قد يُحبط مُخطَّطه في مَنْع فرنسا من السّيطرة على سُورية[2].

وتُعَدُّ رواية صُبحي العُمري - وهُو من الأشخاص الذين اشتركوا في صُنع هذا الحَدَث، كونه يشغل منصب مُدير الأمن حينئذ - من أقرب الرّوايات إلى التّصديق؛ إذْ تُعطينا دليلاً واضحاً على أنَّ لُورنس كانت له اليد الطُّولى في حادث اغتيال الأمير عبد القادر الجزائري؛ حيثُ يذكر أنَّه بينما كان كُلٌّ من لُورنس ونُوري السّعيد في دار الحُكُومة طُلب استدعاؤه، وأوضح له نُوري السّعيد أنَّ الأمير عبد القادر الجزائري يعمل لمصلحة الفرنسيِّيْن على حساب حُكُومة الأمير فَيْصَل، وأمره بتصفيته. ولكنَّ نُوري السّعيد عاد، وأمره بصَرْف النَّظَر عن الموضوع[3].

وعلى أيَّة حال؛ فقد اغتيل الأمير عبد القادر الجزائري على أيدي رجال الشّرطة بتاريخ 7 تشرين الثّاني 1918، كما اعتُقل شقيقه مُحَمَّد سعيد الجزائري، وأودع في مُعتقل المُعسكر البريطاني في حيفا[4].

وفي الوقت الذي كان فيه لُورنس في دمشق، كان الجنرال اللّنبي يتقدَّم نحوها. وأثناء تقدُّمه كانت البرقيَّات تتوالى عليه من وزارة الخارجيَّة ودار الاعتماد البريطاني في القاهرة، تحثُّه على تطبيق بُنُود اتِّفاقيَّة سايكس بيكُو، وعدم فسح المجال للُورنس والأمير فَيْصَل بالسّيطرة على دمشق. ذلك أنَّهم أدركوا أنَّ لُورنس يعمل لنَسْف الاتِّفاقيَّة، ومَنْع فرنسا من احتلال دمشق[5]. وفي الوقت الذي دخل فيه اللّنبي دمشق، دخل إليها الأمير فَيْصَل بواسطة

---

(1) فيليب نايتلي، وكُولن سمبسون، المصدر السّابق، ص94 - 95؛ محمُود صالح منسي، المصدر السّابق، ص368.

(2) زين نُور الدِّين زين، المصدر السّابق، ص218.

(3) صُبحي العُمري، المصدر السّابق، ص232 - 233؛ عبد الرّزاق النّصيري، المصدر السّابق ص60.

(4) انظر مُذكّرة اعتقال الأمير مُحَمَّد سعيد الجزائري في: مُحَمَّد جميل بيهم، سُورية ولُبنان...، ص70 - 71.

(5) Richard Graves, Op. Cit., P.81; Robert Graves, Op. Cit., P. 378.

القطار. فأمر اللّنبي باستدعائه لمُقابلته، وكان لُورنس يُترجم بينهما؛ حيثُ قال اللّنبي: إنَّ فرنسا هي الدّولة التي ستتولّى الحماية على سُورية. وأنَّه - أيْ الأمير فَيْصَل - سيتولّى حُكْم سُورية؛ باستثناء فلسطين ولُبنان، بصفته مُمثّلاً عن ملك الحجاز. وأخبره - كذلك - أنَّ السّيادة العَرَبيَّة تشمل سُورية الدّاخليَّة فقط، وليس لها علاقة بلُبنان. وأضاف أنَّه من أجل تسهيل هذه العمليَّة سيلتحق بفَيْصَل ضابط اتّصال فرنسي. ولمّا أعلن الأمير فَيْصَل مُعارضته الشّديدة لتلك القرارات، مُستنداً على عدم اعترافه بالنُّفُوذ الفرنسي في سُورية، وعلى عدم قبوله ببلد لا منفذ له إلى البحر، بادر الجنرال اللّنبي إلى الاستفسار من لُورنس عن طبيعة المهمَّة التي كُلِّف بها، وهي إخبار الأمير فَيْصَل بأنَّ سُورية ستكون تحت الوصاية الفرنسيَّة، وأنَّه ليس له علاقة بلُبنان، ولكنَّ لُورنس أنكر أنَّه على علم بذلك[1].

والحقيقة أنَّ لُورنس كان يعلم علم اليقين بالاتّصالات الجارية بين الحُكُومَتَيْن البريطانيَّة والفرنسيَّة بشأن تَرْك سُورية لفرنسا. فَكَتَبَ بتاريخ 22 آذار 1915، قائلاً: "يُصرُّ الفرنسيُّون على أنَّ سُورية من نصيبهم، الأمر الذي تنازلنا لهم فيه"[2].

كما أنَّه صَرَّحَ للكُولُونيل تُولا (Tola) مُمثّل القيادة الفرنسيَّة، بعد احتلال دمشق، وخلال استفسار الأخير عن مصداقيَّة الحُكُومة البريطانيَّة في تنفيذ الاتّفاقيَّة قائلاً: "... في الحقيقة؛ نحنُ لا نعني إلغاءها (أيْ الاتّفاقيَّة)، بل نعني أنَّ تنفيذها لن يُسبِّب مُشكلة. إنَّ مُعاهداتنا مع العَرَب تقول: إنَّهم سينالون ما يُريدون، وبعدها نكتب بالحبر السِّرِّيِّ أنْ لا ينالوا شيئاً"[3]، وهذا دليل كاف على أنَّ لُورنس كان يحكم بالاتّفاقيَّة، ولكنَّه أُحرج من

---

(1) مُحَمَّد مُظفَّر الأدهمي، الملك فَيْصَل الأوَّل دراسات وثائقيَّة في حياته السّياسيَّة وظُرُوف مماته الغامضة، بغداد، دار الشُّؤُون الثّقافيَّة العامَّة، د.ت، ص28.

(2) مُقتبس من: زين نُور الدِّين زين، المصدر السّابق، ص217. وانظر - كذلك - ما كَتَبَتْهُ: "مجلَّة الرّابطة العَرَبيَّة"، بغداد، المُجلَّد الرّابع، الجُزء الثّمانون، 22 كانون الأوَّل، 1937.

(3) مُقتبس من: فارس زرزور، معارك الحُرِّيَّة في سُورية قصَّة الكفاح الشّعبي من أجل جلاء القُوّات البريطانيَّة، دمشق، دار الشَّرْق للنَّشْر، 1962، ص47.

قبَل اللّنبي أمام فَيْصَل، وخوفاً من أنْ يفقد لُورنس الثّقة التي مَنَحَهَا إيَّاه الأمير فَيْصَل أنكر علمه بالاتِّفاقيَّة.

وعلى أيَّة حال؛ وبعد أنْ علم اللّنبي بموقف لُورنس، بادر مُوجِّهاً كلامه إلى الأمير فَيْصَل، طالباً منه الالتزام بأوامره باعتباره قائد الجُيُوش، وما فَيْصَل إلاَّ ضابط في قيادته، فاضطُرَّ الأمير فَيْصَل إلى الانسحاب. ولَمَّا شعر لُورنس أنَّ مهمَّته قد انتهت، طَلَبَ من اللّنبي السّماح له بالمُغادرة. وقد كَتَبَ إلى أحد أصدقائه فيما بعد، يُوضح له أسباب مُغادرته دمشق قائلاً: "وَصَلْنَا دمشق كما نتمنَّى ذلك، وهُناك كان عليَّ أنْ أترك العَرَب، وإنَّه لَمُؤسف حقّاً أنْ أذهب، ولكنِّي أعتقد أنَّه كان من الخطأ أنْ أظلَّ معهم، وإنِّي أشعر كما يشعر رجل ألقى عن كاهله حملاً ثقيلاً، فإنَّ ظهره يُؤلمه إذا أراد أنْ يمشي مُستقيماً"[1].

وهُنا يبرز سُؤال مُحيِّر هُو: لماذا تَرَكَ لُورنس دمشق، وكان يُنتظَر منه أنْ يبقى إلى جانب الأمير فَيْصَل ليكون القُوَّة المُحرِّكة وراءه؟ اختلف الباحثون في تحديد أسباب هذا الموقف؛ ففريق قال: إنَّه - بعمله هذا - قد أكَّد ما اتَّهمه به حزب العُمَّال البريطاني والشُّيُوعيُّون البريطانيُّون من أنَّه لم يكن سوى جاسوس بريطاني يُؤدِّي خدمة مُعيَّنة، فلمَّا انتفت الحاجة إليه طُلب منه أنْ يُغادر، أمَّا القسم الآخر؛ فيرى أنَّه تَرَكَ دمشق لما كان يشعر به من تعب وإرهاق نَفْسي وجسْمي، أمَّا الفريق الثّالث؛ فيرون مُغادرته بأنَّها جاءت بسبب الألم وتأنيب الضّمير، ذلك أنَّه كان مُخلصاً للعَرَب، ولم يستطع تحقيق أيِّ شيء لمصلحتهم[2].

وينفرد أحد الباحثين برأي مفاده أنَّ اللّنبي هُو الذي أمر لُورنس بالمُغادرة بعد دُخُوله دمشق، بعد أن شاهد أنَّ العَرَب - الذين دخلوا دمشق أوَّلاً - قد قتلوا جميع المرضى في المُستشفيَّات العُثمانيَّة في المدينة، ورموهم من الشّبابيك[3].

---

(1) Quoted in: Malcolm Brawn, Op. Cit., P.155.

(2) نقلاً عن: محمُود السّمرة، لُورنس اللُّغز المُحيِّر الذي تضاربت فيه الآراء، مجلَّة العَرَبي، الكُويت، العدد 43، 1962، ص144.

(3) Elie Kedourie, Arabic political Memoirs other studies, London, Frank Cass, 1974, P.283.

والحقيقة أنَّ مُغادرة لُورنس قد جاءت بمحض إرادته بعد أنْ أدرك أنَّ جميع مُخطَّطاته في إبعاد فرنسا عند سُورية باءت بالفشل، ولا يُوجد هُناك مُبرّر لوُجُوده في دمشق.

ومن الجدير بنا أنْ نتساءل ـ بعد ختام هذا الفَصْل ـ هل أنَّ عَمَلَ لُورنس في الثّورة العَرَبيَّة كان لمصلحة العَرَب أم لمصلحة غيرهم؟ ويبدو من الكثير من الوقائع والأقوال التي ذَكَرْنَاهَا أنَّ لُورنس كان يُحارب الدّولة العُثمانيَّة بالحراب العَرَبيَّة، فلم تكن تهمُّه ـ قطُّ ـ المصلحة العَرَبيَّة بقدر المصلحة البريطانيَّة في إبعاد فرنسا عن سُورية، لإتمام سيطرتهم على منطقة المشرق العَرَبي.

الفَصْل الرّابع:

دور لُورنس السّياسي
في أحداث ما بعد الثّورة العربيَّة 1919 ـ 1920

ـ دور لُورنس في لندن وباريس قُبيل وخلال انعقاد مُؤتمر الصُّلح 1919:

يُمكن أنْ نُقسِّم دور لُورنس إلى مرحلَتَيْن: الأُولى فترة ما قبل المُؤتمر، ابتداءً من تشرين الأوَّل 1918، إلى كانون الثّاني 1919، أمَّا المرحلة الثّانيَّة؛ فتُغطّي فترة انعقاد المُؤتمر وما بعده بين 18 كانون الثّاني، وإلى نهاية تشرين الثّاني 1919.

غادر لُورنس دمشق بتاريخ 4 تشرين الأوَّل، مارّاً بالقاهرة التي قضى فيها عدَّة أيَّام، ثُمَّ توجَّه إلى بلاده التي وَصَلَهَا بتاريخ 24 تشرين الأوَّل عام 1919[1]؛ حيثُ دُعي لمُقابلة الملك جُورج الخامس لإكمال مراسيم مَنْحه وسام الحمام، ووسام الخدمة المُمتازة، اللّذَيْن كان الملك قد أنعم بهما على لُورنس، فالتمس من الملك إعفاءه من قبولهما، فقبل الملك ذلك، وسُئل لُورنس عن سبب رَفْضه، فأجاب: أنَّ ما كان بوُسعه أنْ يسلك غير هذا السُّلُوك، لكي يلفت أنظار الملك إلى أنَّ شَرَفَ بريطانيا مرهون بإخلاصها في مُعاملة العَرَب[2]، وربَّما كان غاضباً لعدم أخذ الحُكُومة البريطانيَّة بخُططه لمُعالجة القضيَّة العَرَبيَّة.

---

(1) Malcolm Brawn, Op. Cit., P. 155.

(2) قدري قلعجي، جيل الفدا قصَّة الثّورة الكُبرى ونهضة العَرَب، بيروت، دار الكاتب العَرَبي د. ت، ص283، "جريدة الاستقلال"، العدد (1241، 25 كانون الأوَّل، 1927، "الرّابطة العَرَبيَّة"، المُجلَّد الرّابع، الجُزء الثّمانون، 22 كانون الأوَّل 1937، أمين سعيد، المصدر السّابق، 274.

وأثناء وُجُوده في لندن؛ استُدعي لحُضُور اجتماعات اللّجنة الشَّرْقيَّة[1]، باعتباره أحد أكثر الأشخاص خبرة في الشُّؤُون العَرَبيَّة، الأمر الذي يُؤهِّله لتقديم المُقترحات التي يراها مُناسبة بشأن المنطقة العَرَبيَّة؛ إذْ حظي بترحيب اللُّورد كرزن الذي قال فيه: "إنَّ كُلَّ عُضْو في حُكُومة جلالته كانوا مُنذُ مُدَّة يُراقبون - باهتمام وإعجاب - العمل العظيم الذي كان لُورنس يقوم به في بلاد العَرَب"، وأكَّد أنَّه على يقين بأنَّ لُورنس يُمكنه الإدلاء بمعلومات قيِّمة عن آراء الزُّعماء العَرَب، واستهلَّ لُورنس حديثه بالقول: إنَّ الأمير فَيْصَل تعاون تعاوناً وثيقاً في الحَرْب مع الجنرال اللّنبي، وَوَصَفَهُ بأنَّه "أمين مُستقيم، وذو مُقدرة كبيرة"، وأنَّه ميَّال للبريطانيِّيْن، وقد فهم أنَّ الفرنسيِّيْن يرغبون في إنشاء مُستعمرة كبيرة لهم في الشَّرْق، وأنَّ الأمير فَيْصَل والعَرَب يعتمدون على التّصريح الذي أُعطي للسُّوريِّيْن السّبعة[2].

وممَّا اقترحه لُورنس أمام هذه اللّجنة؛ هُو تنصيب الأمير فَيْصَل ملكاً على سُورية في وجه تهديد المطامح الفرنسيَّة، وأنْ يحصل الحجاز على الاستقلال التَّامّ، وأنْ يُوضع العراق تحت الانتداب البريطاني، مع إعطاء جُزء صغير من الشّاطئ اللُّبناني - وبضمنه بيرُوت - لفرنسا.

أمَّا بشأن فلسطين؛ فكان من رأيه أنَّ العَرَب لا يُعارضون تنفيذ وعد بلفُور، بشرط أنْ تكون تحت الانتداب البريطاني، وأنْ لا يتضمَّن الوعد تأسيس دولة يهُوديَّة[3]، كما اقترح لُورنس خلال هذا الاجتماع تشكيل ثلاث حُكُومات للأقاليم العَرَبيَّة خارج الحجاز؛ وهي:

1 - بلاد ما بين النّهرَيْن الأعلى، وتكون تحت حُكْم الأمير عبد الله.

2 - بلاد ما بين النّهرَيْن الأسفل، وتكون تحت حُكْم الأمير زيد.

3 - سُورية، وتكون تحت سُلطة الأمير فَيْصَل.

---

(1) أصبح الدّور الذي تُؤدِّيه اللّجنة الشَّرْقيَّة كبيراً بعد انتهاء الحَرْب مُباشرة. فأخذت هذه اللّجنة تبحث عن تسوية للقضايا المُتعلّقة ببلاد العَرَب، مع البَحْث عن أفضل الأساليب التي من المُمكن اتِّباعها للحفاظ على المصالح البريطانيَّة في المنطقة، والتَّوصُّل مع فرنسا إلى حَلٍّ مُناسب للوَضْع النّاشئ عن اتّفاقيَّة سايكس بيكُو، فَضْلاً عن التَّوصُّل إلى تسوية مع العَرَب، بشرط أنْ لا تخرج هذه التّسوية عن نطاق المصلحة البريطانيَّة، وأنْ لا تُثير تلك التّسوية حفيظة فرنسا. انظر: سُليمان مُوسى، الحَرَكَة العَرَبيَّة. . . ، ص449.

(2) المصدر نفسه، ص450.

(3) Richard Graves, Op. Cit., P. 84;

سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص223.

أمَّا بشأن الملك حُسَيْن؛ فاقترح أنْ يبقى ملكاً على الحجاز، على أنْ يخلفه ابنه الأمير عليّ، وسوف لن تكون له سُلطة في الدُّول المُشار إليها أعلاه، ما عدا إدخال اسمه في صلاة الجُمعة، كأمير للمُؤمنين. ويُضيف لُورنس أنَّ الحُدُود بين بلادَيْ ما بين النَّهرَيْن الأعلى والأسفل يجب أنْ يمتدَّ من نُقطة التقاء الزّاب الأعلى بدجلة، إلى عانة عبر الفُرات، ومنها إلى بيرجك، وسوف يُشكِّل الفُرات حَدّاً فاصلاً بينهما. أمَّا الحُدُود الشّماليَّة؛ فسوف تمتدُّ خلال أُورفه وديار بكر حتَّى نهر دجلة، وعاصمتها سوف تكون الموصل، أو رأس العين، وأضاف أنَّ هاتَيْن الدّولتَيْن ستكونان ضمن نطاق السّيطرة البريطانيَّة[1].

كانت هذه المُقترحات التي قدَّمها لُورنس رداً على سياسة بريطانيا في العراق، التي كان يُعارضها بشدَّة، تلك السّياسة التي تبنَّاها الكُولُونيل ولسن، والهادفة إلى حُكْم بريطاني مُباشر على العراق، فَضْلاً؛ عن أنَّه هدف من وراء مُقترحاته تلك نَسْف اتِّفاقيَّة سايكس ـ بيكُو بإعطاء ولاية الموصل لبريطانيا، مُخالفاً ـ بذلك ـ نصَّ بُنُودها، ولقَطْع الطّريق أمام فرنسا للتّغلغل في بلاد الشّام بتنصيب الأمير فَيْصَل ملكاً على عرش سُورية[2].

جُوبهت مُقترحات لُورنس بمُعارضة شديدة من قبَل رجال الإدارة البريطانيَّة في العراق، وفي مُقدّمتهم الكُولُونيل ولسن، الذي عدَّ هذا المشروع غير عملي بالمرَّة. وَطَلَبَ الأخذ بمشروع السِّر برسي كُوكس الذي قدَّمه بتاريخ 15 نيسان عام 1918، أمام اللّجنة الشَّرْقيَّة[3]. وَوصَفَ مُقترحاته تلك بأنَّها عبارة عن "نفاق دبلوماسي"[4].

---

(1) P.R.O., F.O., 371/4178, 3503, Tel. No.10250 From Political Baghdad to Secertarry of state for India, London, Dated 18th and receives 19th November 1918.; P.R.O., F.O., 371/4148, 4363;
وانظر كذلك: فيليب أيرلاند، العراق دراسة في تطوّره السّياسي، ترجمة جعفر الخيَّاط، بيرُوت، دار الكشّاف، 1949، ص115.

(2) كاظم نعمة، فَيْصَل الأوَّل والإنكليز والاستقلال، بيرُوت، الدّار العَرَبيَّة للموسُوعات، 1988، ص80.

(3) أرنولد ولسن، المصدر السّابق، ص354 ـ 355. ومن الجدير بالذِّكْر؛ أنَّ تلك المُذكّرة نصَّت على تشكيل حُكُومة تُدار من قبَل المندوب السّامي، بمُساعدة مجلس وُزراء، يتكوَّن نصفه من العراقيِّين، والنّصف الآخر من المُوظَّفين البريطانيِّين، مع انتخاب هيئة استشاريَّة مُكوَّنة من بعض الشّخصيَّات العراقيَّة المرموقة، تكون مهمَّتها تقديم المُساندة للحُكُومة المُقترحة، وفي هذه الحالة؛ تكون بريطانيا مسؤولة عن العلاقات الخارجيّة للعراق. انظر:
P.R.O., F.O., 371, 4148, 4363, War Cabinet Eastern Committee. Secret Miuntes of a meeting held at 1, Carlton House Terrace, November 27, 1918, P.4; Briton cooper Busch, Op. Cit., P.158.

(4) Quoted in: Ernest Main, Op. Cit., P. 63.

هذا؛ وقد طَلَبَ اللُّورد كرزن من لُورنس أنْ يضع مُقترحاته في مُذكّرة، ويُقدِّمها إلى اللّجنة الشَّرْقيَّة، وبعد يومَيْن؛ كَتَبَ هوكارث إلى كلبرت كلايتون يقول: إنَّ لُورنس يُحاول إقناع المسؤولين البريطانيِّيْن والعَرَب بقبول مبدأ المُحادثات العَرَبيَّة الصّهيونيَّة، أو أيَّة مُحادثات تجري حول قضايا تتعلَّق باتِّفاقيَّة سايكس بيكُو[1].

أشار لُورنس في مُذكّرته، التي قدَّمها في 4 تشرين الثّاني عام 1918، إلى المُحادثات التي جَرَتْ بين الملك حُسَيْن وهنري مكماهون، وأكَّد أنَّ مكماهون لم يكن مُطَّلعاً على اتِّفاقيَّة سايكس - بيكُو، كما أنَّ الملك حُسَيْن لم يكن على علم أنَّ بريطانيا ترغب أنْ يكون رئيساً صُورِيّاً مُجرَّداً من السُّلطة، ثُمَّ تطرَّقت المُذكّرة إلى دور الأمير فَيْصَل في تحرير سُورية، وإلى مهمَّة الضُّبَّاط العراقيِّيْن والسُّوريِّيْن في تحريرها.

كما أكَّد لُورنس في تقريره أنَّه لولا التّحالف مع العَرَب لما تمكَّن الجنرال اللّنبي من مُهاجمة القُوَّات العُثمانيَّة دُون أنْ يُضطرَّ إلى تأمين خُطُوط مُواصلاته في أراض تُعَدُّ مُعادية لبريطانيا[2].

ومن النُّقاط المُهمَّة التي أشارت إليها المُذكّرة أنَّ العَرَب يسعون للحُصُول على حُقُوق مُساوية لحُقُوق أيَّة دولة أُخرى حاربت معهم، وحُدِّدت تلك الحُقُوق في كُلٍّ من خليج الإسكندريَّة والخطِّ السّاحلي من الإسكندرونة، إلى طرابلس، وفي ميناء طرابلس والخطّ الحديدي بينها وبين حمص، وفي منطقة البقاع من حمص حتَّى بُحيرة الحولة، وأنْ يكون لهم منفذ إلى ميناء حيفا. وقال لُورنس: ينبغي مَنْحُ السِّيادة للأمير فَيْصَل ضمن منطقته المُعلنة أعلاه، وأنْ يكون له مُطلق الحُرِّيَّة في اختيار المُستشارين الأجانب في أيِّ بلد يرتأيه[3].

أمَّا فيما يتعلق بقضيَّة فلسطين؛ فقد أشار لُورنس في مُذكّرته أنَّ العَرَب لن يُوافقوا على أيِّ استقلال يهُودي في فلسطين، لكنَّهم يُوافقون على هجرة يهُوديَّة مُحدَّدة، وبإشراف

---

(1) سُليمان مُوسى، الحَرَكَة العَرَبيَّة. . . ، ص450 - 451.

(2) عبد المُنعم النّاصر، المصدر السّابق، ص85 - 86.

(3) "جريدة الأهالي"، العدد 550، 14 تشرين الأوَّل 1960.

بريطاني، وأشار إلى رَفْض العَرَب مبدأ تدويل فلسطين، الذي تضمنه اتِّفاقيَّة سايكس ـ بيكُو، وأوضح أنَّ الأمير فَيْصَل سيُطالب بحقِّ تقرير المصير[1] في فلسطين في حالة تدويلها[2].

ويبدو ـ للوهلة الأُولى ـ أنَّ لُورنس كان يقصد من مُحتويات مُذكّرته خدمة المصلحة العَرَبيَّة، ولكنَّ الواقع أنَّ لُورنس أراد إحباط جميع المُخطَّطات الفرنسيَّة في السّيطرة على سُورية، كما أراد تحقيق حلمه بتجزئة المنطقة العَرَبيَّة إلى عدَّة دُويلات صغيرة، يُثبت ذلك ما صَرَّحَ به إلى ليدل هارت بقوله: "... لقد كُنتُ دائماً واقعيّاً، أغتنم الفُرص في خُطَطي، والوحدة العَرَبيَّة فكْرة جُنُونيَّة، ولم أحلم حتَّى بإمكانيَّة اتِّحاد الحجاز مع سُورية، وكان هدفي دائماً تأليف عدَّة دُويلات صغيرة"[3].

وعلى أيَّة حال؛ لم تلقَ مُقترحات لُورنس تلك رواجاً يُذكَر لدى اللّجنة الشَّرْقيَّة، ممَّا اضطُرَّه إلى الاقتراح بتنصيب أمير هاشمي على العراق، الأمر الذي عارضه الكُولُونيل ولسن بشدَّة[4]؛ بحُجة أنَّ سُكَّان العراق لا يُفَضِّلون أميراً هاشميّاً. كما جُوبه هذا المُقترح بمُعارضة آرثر هرزل Arther Hirzel الوكيل المُساعد لوزارة شُؤُون الهند، الذي انتقد المُقترح، بحُجَّة أنَّه يُرضي الهاشميِّين على حساب المصالح البريطانيَّة[5].

وعندما اقترب موعد انعقاد المُؤتمر؛ لُوحظ تردُّد واضح من جانب الحُكُومة البريطانيَّة في دعوة العَرَب لحُضُور هذا المُؤتمر، حتَّى إنَّ لُورنس أشار إلى أنَّ بلفُور (Balfour) قد أهمل ـ تماماً ـ وفد الحجاز. وقد كان هُناك خوف من جانب الحُكُومة البريطانيَّة أنْ يُسبِّب الأمير

---

(1) من المُفيد أنْ نذكر أنَّ مبدأ حقِّ تقرير المصير قد أُعلن لأوَّل مرَّة من قِبَل الرّئيس الأمريكيّ وودرو ولسن ضمن نُقاطه الأربعة عشر التي قدَّمها إلى الكُونغرس الأمريكيّ في 8 كانون الثّاني 1918. انظر: فائق حمدي طهبوب، الصّهيونيَّة الأمريكيَّة ودورها في تقسيم فلسطين، "مجلَّة المُؤرِّخ العَرَبي"، العدد 48، 1994، ص24.

(2) "جريدة الأهالي"، العدد 550، 14 تشرين الأوّل 1960.

(3) مُقتبس من: سُليمان مُوسى، لُورنس في الميزان، ص47.

(4) نرى تغيُّراً واضحاً في موقف ولسن في الفترة التّالية، فقد أيَّد ترشيح فَيْصَل لعرش العراق، وبرَّر تأييده بأنَّ بقاء فَيْصَل في درعا ـ بعد خُرُوجه من سُورية ـ سيُثير اضطرابات مُستمرَّة ضدَّ الفرنسيِّين، فَضْلاً عن مُعارضته تنصيب الأمير عبد الله على عرش العراق. انظر: نجده فتحي صفوت، عرش يبحث عن ملك، "مجلَّة آفاق عَرَبيَّة" العدد 12، آب 1978، ص14 ـ 15.

(5) كاظم نعمة، المصدر السّابق، ص50.

فَيْصَل تعكيراً للعلاقات الأنكلو ـ فرنسيَّة[1] . وعلى الرّغم من ذلك ؛ فإنَّ بعض الشّخصيَّات البريطانيَّة كانت تُؤيِّد إرسال مُمثِّل عن العَرَب إلى مُؤتمر الصُّلح ، ورشَّحوا الأمير فَيْصَل للقيام بهذه المهمَّة[2] ، يتَّضح ذلك من البرقيَّة التي رَفَعَهَا الجنرال اللّنبي إلى حُكُومته في تشرين الثّاني عام 1918 ، جاء فيها : "لقد تلقَّى كبير الضُّبَّاط السّياسيِّين التّابعين لقيادتي برقيَّة من وزارة الخارجيَّة تسأل عمَّا إذا كان الوقت الحالي مُلائماً لدعوة الملك حُسَيْن كي يُعيِّن مندوباً يُمثِّل آراءه في أيِّ مُؤتمر يعقده الحُلفاء فيما بينهم ، لبَحْث الحُلُول المُتعلِّقة بالأقطار العُثمانيَّة في آسيا . إنَّني أعتبر من المُهمِّ جداً أنْ يبلغ ملك الحجاز حالاً ، إنَّ له الحقّ في ذلك ، وأنَّ يُدعى لإيفاد مُمثِّل عَرَبي إلى أيِّ مُؤتمر يعقده الحُلفاء فيما بينهم حول الحُلُول المُتعلِّقة بالمناطق المُحرَّرة ؛ وحيثُ تقتضي المصالح العَرَبيَّة ذلك ، وإنَّ مُمثِّله سيحضر مُؤتمر الصُّلح . إنَّ التّأكيد الذي أعطيته بمُوافقة وُزراء الحَرْبيَّة لا يُعتبر ناجزاً إلاَّ إذا تمَّ هذا الشّرط . إنَّ العَرَب يثقون ثقة مُطلقة ببريطانيا العُظمى . وإذا لم نف بعُهُودنا ، فسيُقضى على كُلِّ ثقة بصدق نوايا الحُلفاء"[3] .

ولكنَّ ذلك لم يكن السّبب الحقيقي لتوجيه الدّعوة للعرب لحُضُور مُؤتمر الصُّلح ، بل إنَّ هدفهم "إيجاد مُسوِّغ شَرْعي في سبيل تحقيق مُخطَّطاتهم الجديدة ، فأعطوا أصحاب المسألة الأصليِّين في سُورية ـ دُون مصر وفلسطين والعراق ـ حقَّ الدّفاع عن مطالبهم ، وبذلوا جُهُوداً دبلوماسيَّة خارقة لتثبيت ذلك الحقِّ الذي أبرزوا جوانبه المنطقيَّة بشكل رائع"[4] .

واستناداً إلى تكليف من لويد جُورج (Lloyd George)[5] ، رئيس الوزارة البريطانيَّة ، بَعَثَ لُورنس ببرقيَّة إلى الملك حُسَيْن بتاريخ 28 تشرين الثّاني ، يدعوه فيها إلى حُضُور المُؤتمر

---

(1) Jukka Nevakivi, Britain, France and the Arab Middle East 1914-1920, London, The Athlonepress, 1969, P. 110.

(2) سُليمان مُوسى ، لُورنس والعَرَب ، ص225 .

(3) مُقتبس من : سُليمان مُوسى ، لُورنس والعَرَب ، ص225 ؛ فيليب نايتلي ، وكُولن سمبسون ، المصدر السّابق ، ص177 .

(4) مُقتبس من : كمال مظهر أحمد ، أضواء على قضايا دوليَّة في الشَّرْق الأوسط ، بغداد ، وزارة الثّقافة والفُنُون ، 1987 ، ص153 .

(5) ديفيد لويد جُورج (1863 ـ 1945) من أبرز ساسة بريطانيا ، شغل منصب رئيس حزب الأحرار ، وشغل ـ أيضاً ـ منصب رئيس الوُزراء البريطاني 1916 ـ 1922 . للتّفاصيل ؛ انظر :
E.T. Raymond, M. R. Lioyd George, A Blography, London, W. Collina Sona and Co. Ltd., 1922.

الذي سيعقده الحُلفاء، لكنَّه فضَّل إرسال الأمير فَيْصَل مُمثِّلاً عنه إلى تلك المُحادثات، للسُّمعة الشّخصيَّة التي يحظى بها في أُورُوبا، نتيجة لانتصاراته الباهرة إبَّان الحَرْب، كما أوصاه بضرورة إخبار حُكُومات بريطانيا وفرنسا والولايات المُتَّحدة وإيطاليا بسَفَر الأمير فَيْصَل مندوباً عنه إلى باريس[1].

عندما تبلَّغ الملك حُسَيْن بالدّعوة؛ بَعَثَ إلى الأمير فَيْصَل في 11 تشرين الثّاني يُخبره بوُجُوب حُضُوره إلى مُؤتمر الصُّلح، نائباً عن العَرَب، للدّفاع عن مصالحهم، وكُلِّ ما يتعلَّق بحُرِّيَّتهم، وأخبره أنَّ الأساس الذي يجب أنْ تُبنى عليه مُحادثاته هُو الصّداقة العميقة بين العَرَب وبريطانيا، لكنَّه لم يُخبره بضرورة أنْ يكون أساس المُحادثات مُراسلات حُسَيْن ـ مكماهون، أو تصريح بريطانيا للسُّوريِّين السّبعة، وحَذَّرَهُ من التّعامل بما يتنافى مع الصّداقة العَرَبيَّة البريطانيَّة، وأخبره بضرورة العمل بكُلِّ ما يُكلِّفه به البريطانيُّون من قَوْل أو عَمَل[2].

اعتذر الأمير فَيْصَل في البداية عن تنفيذ فحوى رسالة والده، بحُجَّة أنَّه لا يملك نُصُوص التَّعهُّدات الممنوحة من قبَل بريطانيا للعَرَب، ولكنَّ الملك حُسَيْن أخبره بأنْ لا حاجة لإرسال نُسخة من هذه التَّعهُّدات، ويُمكنه الاعتماد على ما هُو محفوظ منها في وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة[3]، فَرَضَخَ الأميرُ فَيْصَل لأمر والده، وأناب عنه الأمير زيداً في سُورية، التي غادرها إلى باريس على ظهر الباخرة غلوستر، برفقة وفد ضمَّ كُلاً من نُوري السّعيد، ورُستُم حيدر، وتحسين قدري، وأحمد قدري، بالإضافة إلى فائز الغُصَيْن. وكان ذلك بتاريخ 22 تشرين الثّاني عام 1918[4].

وَصَلَ الأمير فَيْصَل إلى مرسيليا، وكان لُورنس في استقباله هُناك، وقد ارتدى ملابسه العسكريَّة والعقال العَرَبي على رأسه، ليدلَّ على أنَّه سيعمل من أجل المصلحة العَرَبيَّة،

---

(1) سعد كاظم حُسَيْن، المصدر السّابق، 203؛ عليّ الوردي، المصدر السّابق، مُلحق الجُزء السّادس، ص93 ـ 94.

(2) عزيز جاسم الحجيَّة، وعد بلفُور، بغداد، دار البصري، 1967، ص23.

(3) سُليمان مُوسى، المُراسلات التّاريخيَّة، المُجلَّد الأوَّل، ص242.

(4) مُحَمَّد جميل بيهم، قوافل العُرُوبة ومواكبها عبر العُصُور، ج2، بيرُوت، دار الكشّاف 150، ص37؛ تحسين العسكري، مُذكّراتي عن الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى والثّورة العراقيَّة، ج2، النّجف، مطبعة الغرى، 1938، ص1؛ مُحَمَّد صُبيح، فَيْصَل الأوَّل، القاهرة، دار إحياء الكُتُب العَرَبيَّة، د. ت، ص78.

وحال وُصُول الأمير فَيْصَل إلى مرسيليا، اصطدم بالنّوايا العدائيَّة للحُكُومة الفرنسيَّة التي عدَّتْهُ جُنْدِيّاً في خدمة بريطانيا[1]. كما أنَّها لم تكن مُرتاحة أصلاً من زيارة كهذه؛ لأنَّها دُبِّرَتْ من قِبَل بريطانيا، دُون علمها، ولم ترغب بوُجُود شخص مثل لُورنس على أراضيها، وهُو معروف بموقفه العدائي منها.

لذا؛ كانت التّعليمات المُوجَّهة إلى بريموند الذي انتُدب لاستقبال فَيْصَل من قِبَل جان كو (J.Cout) وكيل وزارة الخارجيَّة الفرنسيَّة للشُّؤُون الآسيويَّة تدعوه للعمل على هذا الأساس، ومنها أنْ يستقبل فَيْصَل باعتباره قائداً عسكرياً مُمتازاً، ولا يعترف له بأيَّة صفة دبلوماسيَّة، وأنْ لا ينصحه بالمجيء إلى باريس، بدُون التّشاور مع الحُكُومة الفرنسيَّة. أمَّا فيما يخصُّ لُورنس؛ فكانت التّعليمات تتضمَّن إفهامه بأنَّه يسير في الطّريق الخاطئ، وأنَّ فرنسا ستستقبله كضابط بريطاني، ولكنَّها غير مُستعدَّة للتّرحيب به على أنَّه عَرَبي، أو يرتدي زيّاً عَرَبيّاً[2].

وعندما علم لُورنس بالموقف الفرنسي منه، صمَّم على مُغادرة البلاد[3]. كما أنَّه أعاد الأوسمة التي كانت الحُكُومة الفرنسيَّة قد أنعمت بها عليه إبَّان الثّورة العَرَبيَّة، الأمر الذي أثار الحُكُومة الفرنسيَّة، التي اعتبرت تصرُّفه بمثابة "تحقير لحُكُومة الجُمْهُوريَّة"، و"تصرُّف صبياني" من قِبَله[4].

---

(1) D. Lloyd George, The Truth About Peace Treaties, Vol. 2,London, Gollancz, 1938, P.1073.

(2) فيليب نايتلي، وكولد سمبسون، المصدر السّابق، ص118.

(3) يعتقد الباحث زين نُور الدِّين زين أنَّ فَيْصَلاً هُو الذي طَلَبَ من لُورنس مُغادرة فرنسا. انظر: زين نُور الدِّين زين، المصدر السّابق، ص224. ولكنَّ المُذكّرة التي رَفَعَهَا الأمير فَيْصَل عن هذه الحادثة تنفي هذا الاعتقاد، وتُؤكّد أنَّ فَيْصَل ليست له أيّ علاقة بالخلافات القائمة بين فرنسا ولُورنس، فهُو يذكر صراحة: ". . . والذي أعرفه أنَّ حُكُومة فرنسا تَعُدُّ وتعتقد أنَّ لُورنس عدوٌّ لها، ويمشي ضدَّ مصالحها. . . إنَّ هذه الأُمُور لا دخل ولا تعلّق لي فيها. وإنّي آسف على أنّي صرتُ سبباً لحُدُوث مشاكل سياسيَّة، ولُورنس هُو رجل صديقي، ولا يُمكنني أنْ أعترض لا على (سياسة) فرنسا، ولا على (سياسة) إنكلترا، ولا دخل لي - قطعياً - في ذلك، ولا أُريد البَحْث في الموضوع. مُقتبس من: سُليمان مُوسى، المُراسلات التّاريخيَّة 1920 - 1923، المُجلَّد الثّالث، عمّان، 1978، ص290 - 291.

(4) Maurice Lares, Op. Cit., P.400.

لقد أدركتْ فرنسا أنَّ لُورنس يعمل ضدَّ سياستها في سُورية[1]، فَضْلاً عن اعتقادها أنَّ دعوة فَيْصَل لمُؤتمر الصُّلح جاءت بتدبير منه، وكان ارتداؤه للملابس العَرَبيَّة يُشَكِّل سبباً آخر جَعَلَ فرنسا تتحفَّز، لتَّتخذ موقفاً مُعادياً منه.

وعلى أيَّة حال؛ قضى فَيْصَل أُسبُوعاً في فرنسا، مُتجوِّلاً في عدد من المُدُن الفرنسيَّة، وأعلن عن رغبته بزيارة باريس، فَوَجَّهَتْ إليه الحُكُومة الفرنسيَّة الدّعوة لزيارتها، وخلال زيارته تلك، قابل ـ هُناك ـ رئيس الجُمْهُوريَّة في 7 كانون الأوَّل 1918، وفي التّاسع من الشّهر نفسه؛ غادرها مُتوجِّهاً إلى لندن، التي وَصَلَهَا في 10 كانون الأوَّل برفقة لُورنس، الذي كُلِّف من قبَل حُكُومته باستقبال فَيْصَل، والتّرحيب به باسم الحُكُومة البريطانيَّة عند مُغادرته للشّاطئ الفرنسي[2]. وفي لندن؛ كان لُورنس لا يُفارق الأمير فَيْصَل، ويُلبِّي كُلَّ طَلَبَاته؛ إذْ أدرك أنَّ الأمير فَيْصَل يُواجه وَضْعَاً جديداً عليه، فهُو لم يألف ـ بَعْدُ ـ أساليب السّياسة الأُورُوبيَّة. لذلك؛ أراد لُورنس من مُرافقته للأمير فَيْصَل إفهامه بأنَّه يعمل للمصلحة العَرَبيَّة رغبة منه في كَسْب ثقته، حتَّى تُمكِّنه تلك الثّقة من تنفيذ السّياسة التي تخدم مصلحته ومصلحة حُكُومته[3].

حظي الأمير فَيْصَل بمُقابلة بلفُور (Balfour) وزير الخارجيَّة في الحُكُومة البريطانيَّة، أثناء وُجُوده في لندن، وكان يُرافقه لُورنس بصفة مُترجم، وخلال هذه المُقابلة وجَّه فَيْصَل نَقْدَاً لاذعاً للحُكُومة البريطانيَّة، وأشار إلى التَّعهُّدات التي قَطَعَهَا للملك حُسَيْن بشأن بيرُوت، ولكنَّ بريطانيا ضَرَبَتْ بتلك التَّعهُّدات عرض الحائط[4].

كما قابل الملك جُورج الخامس برفقة لُورنس أيضاً، الذي كان يرتدي الملابس العَرَبيَّة، الأمر الذي أثار استهجان أحد رجال البلاط الذي بادره إلى القول: "هل يجوز للكُولُونيل لُورنس أنْ يظهر بزيٍّ رسميٍّ أجنبيٍّ وهُو من رعايا التّاج، بل هُو ضابط بريطاني؟ فأجابه

---

(1) Ibid., P.401.

(2) سُليمان مُوسى، الحَرَكَة العَرَبيَّة. . . ، ص423؛ مُصطفى طلاس، المصدر السّابق، 466 ـ 467.

(3) أحمد قدري، المصدر السّابق، ص96.

(4) فيليب نايتلي، وكُولن سمبسون، المصدر السّابق، ص199 ـ 120.

لُورنس : " إذا خدم رجل سيِّدَيْن اثنَيْن ، وكان عليه أنْ يُسيء إلى واحد منهما ، فالأفضل أنْ يُسيء إلى أقواهما ، أنا هُنا ترجمان رَسْمي للأمير فَيْصَل ، وهذا الزّي الذي تراه هُو زيُّه "[1] .

وبتاريخ 28 كانون الأوَّل عام 1918 ، قابل الأميرُ فَيْصَل اللُّوردَ كرزن عُضْو مجلس الوُزراء البريطاني ، قبل ذهابه إلى بريطانيا ، وجرى خلال هذا اللّقاء التَّعرُّف على السّياسة البريطانيَّة في المشرق العَرَبي ، فَضْلاً عن مُناقشة الأطماع الفرنسيَّة في سُورية[2] .

وخلال وُجُود الأمير فَيْصَل في لندن ، دأب لُورنس على إفهامه أنَّ بريطانيا تُريد إلغاء اتِّفاقيَّة سايكس ـ بيكُو ، ولكنَّها لا تستطيع أنْ تفعل ذلك ، خوفاً من اتِّهامها من قبَل فرنسا بأنَّها تُزاحمها على سُورية ، وأفْهَمَهُ أنَّ بريطانيا تُريد أنْ تتدخَّل الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة في الموضوع ؛ لأنَّها الوحيدة القادرة على الضّغط على فرنسا ، ولمَّا كان اليهُود ذوي تأثير كبير على القرار السّياسي الأمريكي ، لذا ؛ يتوجَّب عليه أنْ يتفاهم معهم ، لكي يكسب تأييدهم ، ومن هُنا ؛ كَتَبَ إلى أخيه زيد أنَّه يعمل حثيثاً لاستمالة الأمريكان[3] . هكذا نرى أنَّ لُورنس يُوجِّه الأُمُور بما يخدم مصلحته ومصلحة حُكُومته ، فهُو ـ من جهة ـ يرغب ـ من خلال تصرُّفه هذا ـ في إبعاد فرنسا عن سُورية ، ومن جهة أُخرى ؛ يُحقِّق غاية الحُكُومة البريطانيَّة في إنشاء وطن قومي لليهُود ، وتنفيذ وعد بلفُور . وكان من نتيجة ذلك أنَّ الأمير فَيْصَل يأخذ بنصيحة لُورنس ، ويجتمع بحاييم وايزمن (Chiam Weizmann)[4] زعيم المُنظَّمة الصّهيونيَّة العالميَّة[5] .

---

(1) مُقتبس من : أحمد قدري ، المصدر السّابق ، ص 96 ؛ قدري قلعجي ، المصدر السّابق ص284 ؛ مُحَمَّد صُبيح ، المصدر السّابق ، ص 97 ـ 80 .

(2) مُذكّرات رُستُم حيدر ، ص208 ـ 209 .

(3) سُليمان مُوسى ، المُراسلات التّاريخيَّة ، المُجلَّد الثّاني ، ص22 . جُورج لنشُوفسكي ، الشَّرْق الأوسط في الشُّؤُون العالميَّة ، الجُزء الثّاني . ترجمة جعفر الخيَّاط ، بغداد ، مكتبة المُتنبِّي ، 1964 ، ص142 .

(4) حاييم وايزمن (1874 ـ 1952) كيماوي وزعيم صهيوني . تولَّى عدَّة مناصب ؛ إذْ أصبح رئيساً للجنة لندن الصّهيونيَّة أثناء الحَرْب ، وعُيِّن رئيساً للبعثة الصّهيونيَّة التي أُرسلت إلى فلسطين . كما مثَّل الحَركَة الصّهيونيَّة في مُؤتمر الصُّلح 1919 ، وانتُخب رئيساً للمُنظَّمة الصّهيونيَّة العالميَّة . وأصبح أوَّل رئيس للكيان الصّهيوني عام 1948 . للتّفاصيل ؛ انظر : الفكْرة الصّهيونيَّة النُّصُوص الأساسيَّة ، إشراف أنيس الصّايغ ، ترجمة لُطفي العابد ومُوسى عنز ، بيرُوت ، مركز أبحاث مُنظَّمة التّحرير الفلسطينيَّة ، 1970 ، ص443 ـ 444 .

(5) لأهمِّيَّة هذا الاجتماع ، ولمعرفة خفايا الدّور الذي أدَّاه لُورنس فيه ، سنُفرد له مبحثاً خاصّاً من هذا الفَصْل .

عاد الأمير فَيْصَل إلى باريس لحُضُور مُؤتمر الصُّلح بتاريخ 6 كانون الأوَّل عام 1919، وكان لُورنس قد وَصَلَ إلى باريس مُجدَّداً، بصفته عُضْواً في الوفد البريطاني، لذلك لم تستطع فرنسا الاعتراض على وُجُوده، ويبدو أنَّ انضمامه إلى الوفد البريطاني كان لثقة الحُكُومة البريطانيَّة فيه؛ لكونه الشّخص الوحيد الذي يستطيع تمرير السّياسة البريطانيَّة لدى الأمير فَيْصَل. لذلك نراها تعهد إليه بمهمَّة الاتِّصال بين الوفدَيْن العَرَبي والبريطاني. وطوال مُدَّة وُجُوده في باريس كان يُرافق الوفد العَرَبي، وكان يُقيم في جناح الملك فَيْصَل الخاصّ، حتَّى إنَّه كان يرتدي ملابسه حسب عمله، فعندما يُرافق الوفد العَرَبي يرتدي الملابس العَرَبيَّة، ولكنَّه يُبدِّلها بالزّيِّ الرَّسْمي البريطاني عندما يكون مع وفد بلاده[1].

ذَكَرْنَا أنَّ فرنسا لم تستطع الاعتراض على وُجُود لُورنس على أراضيها، لكونه ضمن الوفد البريطاني، ولكنَّ الاعتراض - هذه المرَّة - جاء من قِبَل وزارة شُؤُون الهند ورجالها، وخُصُوصاً فلبي، الذي صَرَّحَ قائلاً: "لم أشعر بالارتياح لمظاهر الأُمُور، ولكنِّي كُنتُ عاجزاً عن التّأثير على التَّطوُّرات، فوزارة الهند تُؤيِّد سياسة ولسن الاستعماريَّة في العراق، بينما تُؤيِّد وزارةُ الخارجيَّة الملكَ حُسَيْن، وَوَلَدَهُ فَيْصَل، وصديقَهُما لُورنس"[2]. كما أثار ترشيح لُورنس امتعاض اللُّورد هاردنك (Harding) وكيل وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة، الذي صَرَّحَ أنَّ عمل لُورنس هذا لم يكن بتكليف من القسم السّياسي للوفد البريطاني، وقال: "إنَّنا وزارة شُؤُون الهند ووزارة الحَرْب نشعر بعُمق أنَّه مسؤول إلى حَدٍّ بعيد عن مُشكلتنا مع الفرنسيِّيْن في سُورية"[3].

إنَّ موقف وزارة شُؤُون الهند من ترشيح لُورنس لعُضْويَّة الوفد البريطاني ناتج عن اقتناعها بأنَّه يعمل على تعزيز اتِّجاه السّياسة البريطانيَّة المُؤيِّد للملك حُسَيْن وأولاده، والمُتمثِّل بوزارة الخارجيَّة، ضدَّ تطلُّعات وزارة شُؤُون الهند، التي كانت تُحاول جاهدةً عَرْقَلَةَ هذا الاتِّجاه، وتصوير الاتِّجاه المُساند لابن سُعُود، الذي تُؤيِّده هي.

---

(1) Maurice Lares, Op. Cit., P..425.

(2) نقلاً عن خيري حمَّاد، أعمدة الاستعمار البريطاني في الوطن العَرَبي - الحلقة الأُولى، عبد الله فلبي، بيرُوت، الدّار القوميَّة للطّباعة والنّشر، د.ت، ص72.

(3) Quoted in: Jukka Nevkivi, Op. Cit., P. Los

وبينما كان الوفد العَرَبي يأمل في عَرْض قضيَّته على أنظار المُجتمع العالمي، كانت فرنسا تُحاول عَرْقَلَةَ عمله، ففي اليوم الثّالث لوُجُود الوفد في باريس؛ زاره السَّيِّد جان كو(Jan Cout) في مقرِّ إقامته، وأبلغ الأمير فَيْصَل أنَّ الحُكُومة الفرنسيَّة لا تستطيع تخصيص أيَّة مقاعد للوفد، بحُجَّة أنَّ دولة الحجاز غير مُعترَف بها رَسْمِيّاً، فاضطُرَّ الأمير فَيْصَل إلى إرسال مُذكّرة إلى وزارة الخارجيَّة الفرنسيَّة جاء فيها أنَّه جاء إلى هُنا مُمثِّلاً لأبيه عن مملكة الحجاز بدعوة من الحُكُومة البريطانيَّة، فأجابت وزارة الخارجيَّة الفرنسيَّة أنَّها لا تستطيع تلبية طَلَبه، لوُصُوله مُتأخِّراً إلى باريس، وأنَّ جميع مقاعد المُؤتمر قد نَفَدَتْ، فلم يكن منه إلاَّ الاعتماد على لُورنس، الذي تلقَّف هذه الفُرصة، وتوسَّط لدى اللُّورد كرزن، الذي توسَّط - بدوره - لدى الحُكُومة الفرنسيَّة، فأمرت بتخصيص مقعدَيْن للوفد العَرَبي[1]، شريطة أنْ يكون فَيْصَل مُمثِّلاً لوالده ملك الحجاز، وليس مُمثِّلاً للقوى العَرَبيَّة بين الإسكندرونة واليمن، كما أوضحَتْهَا برقيَّة الأمير فَيْصَل إلى بيشون وزير الخارجيَّة الفرنسي[2].

أراد لُورنس - من وراء عمله هذا - أنْ يُثبت أنَّه الصّديق الصّدوق للعَرَب، والمُدافع عن حُقُوقهم، كما أراد أنْ يُعزِّز ثقة الأمير فَيْصَل بقُدراته ونُفُوذه لدى الحُكُومة البريطانيَّة، فَضْلاً عن أنَّه أراد إقناع الأمير فَيْصَل بأنَّ الحُكُومة البريطانيَّة تعمل من أجل المصلحة العَرَبيَّة. وقد نَجَحَ في ذلك فعلاً، وهذا ما أكَّدته رسالة فَيْصَل إلى الأمير زيد: "... ولاشك أنَّ الفَضْل في دُخُولنا المُؤتمر يعود إلى إنكلترا، التي برهنت حُكُومتها على الصّدق في القول والعمل."[3].

---

(1) مُذكّرات رُستُم حيدر، ص216؛ سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص233.

(2) سُليمان مُوسى، المُراسلات التّاريخيَّة، المُجلَّد الثّاني، ص23؛ مُؤرِّخ الثّورة العَرَبيَّة، المصدر السّابق، ص64. ومن الجدير بالذِّكْر؛ أنَّ الوفد العَرَبي إلى مُؤتمر الصُّلح كان ينقسم إلى:

1 - المندوبين المُفوَّضين؛ وهُم الأمير فَيْصَل، ورُستُم حيدر.

2 - المندوبين الفنِّيِّين؛ وهُم كُلٌّ من نُوري السّعيد، وأحمد قدري، وفارس الخوري، وأمير رسلان، وتحسين قدري.

3 - السّكرتاريا العامَّة: عوني عبد الهادي، السّكرتير: أمين كسباني. انظر:

Maurice Lares, Op.Cit., P. 429.

(3) مُقتبس من: سُليمان مُوسى، المُراسلات التّاريخيَّة، المُجلَّد الثّاني، ص41.

افتُتح المُؤتمر يوم 18 كانون الثّاني 1919، ومثّل فيه العَرَبَ مندوبان؛ هُما الأمير فَيْصَل ورُستُم حيدر، وكانت القضيَّة الأُولى التي تتطلَّب الحسمَ من جانب أعضاء المُؤتمر هي المُوافقة على فَصْل البلاد العَرَبيَّة عن الدّولة العُثمانيَّة، لكي يتسنَّى لأبنائها تقرير مصيرهم، وبضغط من الرّئيس الأمريكي وورد ولسن (T.W.Wilson) [1]؛ وافق المُؤتمر على فَصْل البلاد العَرَبيَّة، على الرّغم من مُعارضة بريطانيا، التي كانت ترغب بتأجيل عمليَّة الفَصْل، لغاية التَّوصُّل إلى اتِّفاق مع الدّولة العُثمانيَّة[2].

ولأجل أنْ يبسط الأميرُ فَيْصَلُ مطالبَ العَرَب أمام المُؤتمر، وكَسْب أصوات التَّجمُّع الدّولي؛ فقد توجَّب عليه ورفاقه أنْ يُعدُّوا مُذكّرة تُلقَى أمام المُؤتمرين، تحوي مطالبَ العَرَب بالحُرِّيَّة والاستقلال، بأُسْلُوب ينم عن خبرة ودراية سياسيَّة، ولأجل أنْ تضع بريطانيا بصماتها في كُلِّ خطوة يخطوها الوفد العَرَبي، فقد أعدت مُذكّرة تُقرأ من الأمير فَيْصَل، وأرسلتها بيد مارك سايكي، وكانت تلك المُذكّرة تتضمَّن طَلَبَ الانتداب على جميع المناطق العَرَبيَّة، وقد وَصَفَهَا رُستُم حيدر بقوله: "... وفيها بعض النُّكت ليس إلاَّ..."[3]. وفي مساء اليوم نفسه 5 شباط عام 1919، اجتمع لُورنس بمُذكّرة أُخرى مُشابهة للأُولى، ولكنَّ الوفد العَرَبي - بعد التّباحث - رغب في كتابة مُذكّرة جديدة. وبعد أنْ أتمَّ الوفد كتابة المُذكّرة عُهد إلى أمين كسباني، سكرتير الوفد، بترجمتها إلى الإنكليزيَّة[4].

---

(1) وورد ولسن: (1856 - 1924) الرّئيس الثّامن والعشرين للولايات المُتّحدة الأمريكيَّة. تولَّى رئاسة الولايات المُتّحدة الأمريكيَّة لدورَتَيْن رئاسيَّتَيْن بين 1913 - 1924. للتّفاصيل انظر:
The Encyclopedia Americana, Vol. XII, P.P. 476 – 477.

(2) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص234.

(3) مُقتبس من مُذكّرات رُستُم حيدر، ص233 - 234.

(4) يعتقد سُليمان مُوسى أنَّ لُورنس هُو الذي ترجم المُذكّرة العَرَبيَّة إلى اللُّغة الإنكليزيَّة، وكان رُستُم حيدر، وعوني عبد الهادي يُعاونانه على التّرجمة إلى الفرنسيَّة. انظر:
سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص2234، بينما لا يُشير رُستُم حيدر إلى ذلك في مُذكّراته. وممَّا ذَكَرَهُ رُستُم حيدر أنَّ الذي كان يترجم المُذكّرة إلى اللُّغة الفرنسيَّة هُو شخص فرنسي كان يقف إلى جانب كليمنصو، وكان يعتمد في ترجمته على ما يُلقيه لُورنس من ترجمة بالإنكليزيَّة، وهذا معناه أنَّ المُذكّرة لم تُترجم إلى الفرنسيَّة أصلاً في اللّيلة التي سَبَقَتْ إعدادها. انظر: مُذكّرات رُستُم حيدر، ص236. ويذكر عوني عبد الهادي أنَّ الذي ترجم المُذكّرة، وألقاها أمام مُؤتمر الصُّلح هُو لُورنس. نقلاً عن: سُليمان مُوسى، المُراسلات التّاريخيَّة، المُجلَّد الثّاني، ص72. والواقع أنَّ لُورنس قرأ النّسخة الإنكليزيَّة المُترجمة من قبَل أمين كسباني ليس إلاَّ.

وفي صباح اليوم التّالي 6 شباط عام 1919، اجتمع لُورنس مع الأمير فَيْصَل، وكان معهما مارك سايكس، من أجل التّباحث بصُورة نهائيَّة على صيغة المُذكّرة. وكان من رأي لُورنس وسايكس - بعد أنْ قرءا المُذكّرة بصيغتها الإنكليزيَّة - أنْ يُبدِّلا بعض فقراتها التي لا تتماشى مع المصلحة البريطانيَّة. وممَّا اعترضا عليه أنَّ الوفد العَرَبي طالب بمُذكّرته أنْ يكون لُبنان ضمن الأراضي والسّيادة السُّوريَّة، الأمر الذي عارضه مارك سايكس، وطالب باستقلاله. وفيما يتعلَّق بفلسطين؛ فقد اعترض لُورنس على التّدخُّل في شُؤُون فلسطين، حتَّى من قَبل الأمير فَيْصَل، لكي تبقى تحت السّيطرة البريطانيَّة، فلم يُخالفه الأمير فَيْصَل، وَرَضَخَ لأمره، وتمَّ الاتِّفاق بينهما على أنْ تكون فلسطين - لأهميَّتها العالميَّة - خارجة عن نُفُوذ الأمير فَيْصَل[1].

ومهما يكن من أمر؛ فقد ألقى الأمير فَيْصَل مُذكّرته[2] أمام مجلس العشرة، وممَّا جاء فيها أنَّه طَلَبَ المُصادقة على تأليف ولايات عَرَبيَّة مُتَّحدة، يكون لدولة الحجاز شيء من السّيادة عليها، كما اعترف بامتيازات لُبنان، وحقِّ فرنسا في بَسْط حمايتها عليه، نتيجة لبعض الأصوات اللُّبنانيَّة التي تُطالب بالحماية الفرنسيَّة[3].

واحتوت مُذكّرته اعترافه بوُجُود وضع خاصٍّ في فلسطين، بناء على التّعليمات التي تلقَّاها من لُورنس؛ وممَّا قاله: "...لكنَّني أُفكِّر أنَّ العَرَب يتحاشون من أخذ المسؤوليَّة على عاتقهم في حفظ المُوازنة الدِّينيَّة في تلك القطعة..... وهُم يودُّون أنْ يُؤازَروا مُؤازرة محسوسة، بشرط أنْ يكون للحُكُومة الأهليَّة النّصيب الأعظم والكلمة النّافذة"[4]. كما اعترف بالوُجُود البريطاني في العراق، ولكنَّه رَفَضَ المُساعدة الأجنبيَّة للمناطق العَرَبيَّة، إذا كانت مُرتبطة بالتّنازل عن السّيادة العَرَبيَّة، مُؤكِّداً على وُجُوب وُجُود نوع من الوحدة الاقتصاديَّة واستقلال في اتِّخاذ قرار المُساعدة من الإدارات العَرَبيَّة نفسها[5]، وكان لُورنس

---

(1) مُذكّرات رُستُم حيدر، ص 230.

Lioyed George OP.Cit. 2.P.1042.

(2) للاطِّلاع على نصِّ المُذكّرة التي قدَّمها الملك فَيْصَل:

(3) D. lioyed George, Op. cit., Vol. 2 , P. 1042. Ibid. 1042.

(4) مُقتبس من: مُذكّرات رُستُم حيدر، ص 785.

(5) مُحَمَّد جميل بيهم، قوافل العُرُوبة...، ج2، ص37.

يقرأ الخطاب الموُجُود لديه بالإنكليزيَّة. وهُناك بعض الشُّكُوك في احتمال تقديم لُورنس ترجمة رَسْميَّة غير مُحرَّفة للخطاب[1].

و في اجتماع المُؤتمر يوم 21 آذار عام 1919، تمَّ الاتِّفاق على تكوين لجنة رُباعيَّة يكون لكُلِّ دولة من الدُّول الأربعة، إنكلترا وفرنسا وإيطاليا والولايات المُتَّحدة عُنوان فيها. فاختار الرّئيس الأمريكي الدُّكتُور هنري كينج (H.King) والسَّيِّد تشارلس كرين(Crane)، بينما عيَّنت الحُكُومة البريطانيَّة ـ قبل انسحابها من اللّجنة ـ كُلاً من السَّيِّد هنري مكماهون وهوكارث، وامتنعت فرنسا عن تعيين مُمثِّليها، بحُجَّة أنَّ سُكَّان سُورية في وضع لا يسمح لهم بالإجابة عن الأسئلة المُوجَّهة إليهم. ولكنَّ السّبب الحقيقي هُو أنَّ فرنسا لم تكن تشعر بالارتياح من الوُجُود البريطاني في المناطق التي كان من المُقرَّر أنْ تزورها البعثة[2]. وعلى الرّغم من انسحاب فرنسا وبريطانيا وإيطاليا؛ فإنَّ الرّئيس الأمريكي أصرَّ على إبقاء هذه اللّجنة، التي عُرفَتْ ـ فيما بعد ـ بلجنة كنك ـ كرين نسبة لعُضْوَيْهَا، حتَّى لو لم تشترك فيها الدُّول الأُخرى. ولأجل تقريب وُجهات النَّظَر بين الدُّول الثّلاث؛ عُقد اجتماع بمُبادرة من ويكهام ديدس (Wekham Dedis) مُحرِّر صحيفة التّايمز، وكان ممَّن يحضره لُورنس وبعض الشّخصيَّات الفرنسيَّة والأمريكيَّة. وخلال هذا الاجتماع؛ عارض لُورنس إبقاء هذه اللّجنة إلى سُورية، وأوضح أنَّ الاتِّجاه للوحدة العَرَبيَّة لا يملك قيمة سياسيَّة جدِّيَّة في الوقت الحاضر والمُستقبل، وممَّا اقترحه في هذا الاجتماع أنْ لا تكون لسُورية علاقة بالملك حُسَيْن، لتسهيل التّفاهم بين فَيْصَل وفرنسا، على اعتبار أنَّ فَيْصَلاً واقع تحت تأثير والده، وقال: إنَّه سينصح فَيْصَلاً بتأخير سفره، لإعطاء الفُرصة للتّفاهم مع الفرنسيِّين مُباشرة، ولتفادي اللّجنة الرُّباعيَّة[3].

ويبدو أنَّ السّبب في تغيُّر موقف لُورنس من فرنسا، هُو تأثير حُكُومته، التي ارتأت أنَّ الاهتمام الأمريكي الجديد بالمنطقة سيُؤدِّي إلى الإضرار بمصالحها في العراق وفلسطين، وأنَّ التّقارب مع فرنسا هُو أسهل السُّبُل لقَطْع الطّريق أمام الأمريكان للتّدخُّل في شُؤُون المنطقة.

---

(1) خيريَّة قاسميَّة، الحُكُومة العَرَبيَّة...، ص95.

(2) كمال مظهر أحمد، أضواء على قضايا دوليَّة...، ص92.

(3) Jukka Nevakivi, Op.Cit. P 137-138.

ومن هذا المُنطلق؛ حاول لُورنس إقناع الأمير فَيْصَل بعقد اتِّفاق مع كليمنصو، ينصُّ على استقلال سُورية، مُقابل تصريح فَيْصَل بأنَّ فرنسا هي دولة الانتداب الوحيدة، ولكنَّ فَيْصَل رَفَضَ ذلك؛ أنَّه لا يستطيع إجبار شعبه على المُوافقة، ويتوجَّب على الفرنسيِّين - في هذه الحالة - التّعامل مع الشّعب، وليس معه[1].

وأبدى الأمير فَيْصَل تشجيعاً لإرسال اللّجنة إلى سُورية، وَوَصَفَهَا بأنَّها". كانت أحسن ما سمعه في حياته. "في مُقابلة أجراها مع الكُولُونيل إدوارد هاوس E.House عُضْو الوفد الأمريكي إلى مُؤتمر الصُّلح بتاريخ 29 آذار 1919، وكان لُورنس يحضر هذا اللّقاء بصفة مُترجم. وفي هذا الاجتماع؛ عَرَضَ الأميرُ فَيْصَلُ فكْرةَ وضع سُورية تحت الانتداب الأمريكي، وذلك لأنَّه وَجَدَ عدم اتِّفاق بين بريطانيا وفرنسا. ونلاحظ في هذا الاجتماع تبدُّلاً في موقف لُورنس من اللّجنة الرُّباعيَّة، ويبدو أنَّ سبب هذا التَّبدُّل أنَّه وَجَدَ إرسال اللّجنة واقعاً لا محالة، لإصرار الرّئيس الأمريكي على إرسالها، فَضْلاً عن أنَّ الأمير فَيْصَل كان يُؤيِّد إرسالها. لذلك وَجَدَ أنَّ مُعارضته لا تُجدي نفعاً، بل رُبَّما تُؤدِّي إلى فقدان ثقة فَيْصَل به.

وممَّا صَرَّحَ لُورنس به خلال الاجتماع أنَّ البريطانيِّين إذا وافقوا على انتداب الولايات المُتَّحدة على سُورية، فإنَّ فرنسا ستتَّهمهم بالنِّفاق، وأضاف أنَّ العَرَب في سُورية يُريدون انتداباً بريطانياً، والجالية العَرَبيَّة في الولايات المُتَّحدة تُريد انتداباً أمريكيّاً، وأعرَب عن أمله برئيس اللّجنة كونه أمريكيّاً، قد يُمكن إقناعه بجعل تقريره لصالح انتداب أمريكي على سُورية، بعد أنْ يتأكَّد من رغبات السُّكَّان، وأوضح - كذلك - أنَّه يرى مُعارضة شديدة في أوساط باريس ضدَّ إرسال اللّجنة[2].

غادر الأمير فَيْصَل فرنسا مُتوجِّهاً إلى سُورية التي وَصَلَهَا في أوائل أيَّار عام 1919، وأخذ يُهيِّئ الرّأي السُّوري لاستقبال لجنة التّحقيق بكلمة مُوحَّدة وهي الاستقلال، وتحديد الدّولة

---

(1) Malcoim Brawn, Op. cit., P. 164.

(2) انظر: مُذكّرات رُستُم حيدر، ص307، عبد المُنعم النّاصر، المصدر السّابق، ص 95.

Jukka Nevakivi, op.cit. P. 140.

وانظر كذلك: على المحافظة، العلاقات الأُردُنيَّة - البريطانيَّة من تأسيس الإمارة حتَّى إلغاء المُعاهدة 1921 - 1957، بيرُوت، دار النّهار، 1973، ص18 - 19.

المُنتدَبة عليه، الأمر الذي أقلق الحُكومة الفرنسيَّة، فَبَعَثَتْ جُورج بيكُو قُنْصُلها العامَّ في بيرُوت مُحمَّلاً باقتراحات لتسوية الخلاف مع الأمير فَيْصَل، ولكنَّ الأمير رَفَضَ المُقترحات التي جاء بها جُورج بيكُو؛ لأمله في الحُصُول على الاستقلال، نتيجة التّوصيات التي سترفعها اللّجنة.

وَصَلَتْ اللّجنةُ فلسطينَ بتاريخ 10حُزيران عام 1919، ثُمَّ تجوَّلت في دمشق وبيرُوت، وكان رأي السُّكَّان فيهما هُو طلب الاستقلال والمُساعدة من أمريكا وبريطانيا، مع رفض تامٍّ للانتداب الفرنسي، ورفض إنشاء وطن قومي لليهُود، ثُمَّ عادت اللّجنة إلى باريس، وقدَّمت تقريرها، الذي لم يُؤخذ بتوصياته، حتَّى إنَّه لم يُنشَر إلاَّ في عام 1922، وهكذا؛ أُصيبت آمال الأمير فَيْصَل بصدمة شديدة من جرَّاء ذلك[1].

وفي أيلول عام 1919، وجَّه رئيس الوُزراء البريطاني الدّعوة إلى الأمير فَيْصَل لزيارة أُورُوبا للمرَّة الثّانية، لإقناعه بقبول التّطوُّرات الجديدة بين فرنسا وبريطانيا[2]. ففي 13 أب عام 1919، اتَّفق كُلٌّ من كليمنصو ولويد جُورج على انسحاب القُوَّات البريطانيَّة فوراً من سُورية باستثناء فلسطين، ومن قلقيليا، على أنْ تحلَّ محلَّها القُوَّات العَرَبيَّة في سُورية الدّاخليَّة والقُوَّات الفرنسيَّة في السّاحل السُّوري وقلقيليا. ونصَّ الاتِّفاق ـ كذلك ـ على وضع ولاية الموصل وفلسطين والعراق وشرقي الأُردُن تحت السّيطرة البريطانيَّة[3].

وكانت وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة قد كلَّفت لُورنس ـ الذي كان في هذا الوقت عُضْواً في كُلِّيَّة أول صولز Allsoils college ـ بأنْ يُقنع الأمير فَيْصَلاً بضرورة قبول الاتِّفاق الأنكلو ـ فرنسي، وقد أجاب لُورنس على الطَّلَب المُوجَّه إليه مُقترحاً اتِّباع خطٍّ جديد في سياسة بريطانيا تجاه العَرَب، مُؤكِّداً أنَّ بإمكانه أنْ يُؤثِّر على الأمير فَيْصَل، ويُقنعه بقبول الإجراءات الفرنسيَّة على اعتبار أنَّها إجراءات مُؤقَّتة[4].

---

(1) سُليمان مُوسى، لُورنس العَرَب، ص243.

(2) Richard Graves op.cit. p.86.

(3) Ernest main, op.cit,p.86.

(4) مُذكّرات رُستُم حيدر، ص473.

واستناداً إلى بُنُود الاتِّفاق الأنكلو ـ فرنسي؛ نزلت القُوَّات الفرنسيَّة بقيادة الجنرال غُورُو في سُورية وقلقيليا، بعد أنْ غادرتها القُوَّات البريطانيَّة، ممَّا أدَّى إلى حُدُوث صدامات عديدة بين الأهالي والقُوَّات الفرنسيَّة، فعاد الأمير فَيْصَل إلى سُورية، وعقد المُؤتمر السُّوري العامّ الذي أعلن تنصيبه ملكاً على سُورية يوم 8 آذار 1920.

وَجَدَ الحُلفاء في الإجراءات خَطَراً يُهدِّد مصالحهم، ورداً على هذه الإجراءات؛ دُعي مجلس الحُلفاء الأعلى للاجتماع في سان ريمو بتاريخ 25 نيسان 1920. وتقرَّر في هذا الاجتماع تطبيق مبدأ الانتداب؛ حيثُ وُضع العراق وسُورية الطّبيعيَّة تحت الانتداب، وأنْ تُقسَّم سُورية إلى ثلاثة أجزاء، وأنْ يُنفَّذ وعد بلفُور في فلسطين، ولم يلبث الجيش الفرنسي أنْ زَحَفَ على دمشق، وقضى على استقلال الدّولة العَرَبيَّة في سُورية[1].

هكذا عمل لُورنس من خلال الأمير فَيْصَل على تحقيق مصلحة بلاده، وتوجيهه بما يخدم مصالحها. وقد ساعدَتْهُ في ذلك عدَّة عوامل يُمكن أنْ نُلخِّصها بأنَّ الأمير فَيْصَل قائد عسكري لا علم له بألاعيب السّياسيَّة الدّوليَّة، فلم يكن قد نَضَجَ سياسياً بعد، وعندما وَصَلَ إلى باريس، وَجَدَ نفسه مُحاطاً بالأطماع البريطانيَّة في العراق، والفرنسيَّة في سُورية، كما واجه أطماعَ الحَرَكَة الصّهيونيَّة، ومن أجل أنْ يُقاوم كُلَّ هذه المُؤامرات، كان لابُدَّ له من شخص قريب من دوائر صُنْع القرار السّياسي في هذه الدُّول. ولَمَّا كان لُورنس قريباً جداً منه؛ فقد بادر إلى ترسيخ فكْرة أنَّه صديق العَرَب والمُدافع عن حُقُوقهم، وبأنَّه صاحب نُفُوذ كبير لدى الحُكُومة البريطانيَّة، وَجَدَ الأمير فَيْصَل أنْ لابُدَّ من الاعتماد عليه لتحقيق مطالب العَرَب، ذلك الاعتماد الذي استغلَّه لُورنس في تحقيق مصلحة بريطانيا.

ـ دور لُورنس في عقد اتِّفاق ـ وايزمان:

اتَّبعتْ الحَرَكَة الصّهيونيَّة ـ مُنذُ بداية توجُّهها نحو فلسطين ـ سياستَيْن: الأُولى سياسة سرِّيَّة هدفها الدّعوة لليهُود لإنشاء الدّولة اليهُوديَّة على حساب العَرَب، والثّانية سياسة عَلَنيَّة

---

(1) ج. ب. ديروزيل، التّاريخ الدّبلُوماسي في القرن العشرين، ترجمة خُضر خُضر، الجُزء الأوَّل، بيرُوت، دار المنصور، 1985، ص44 ـ 45.

هدفها الظّاهر التّعاون مع العَرَب، حتّى تتمكّن من تحقيق أهدافها في النّهاية، وانطلاقاً من هذا الموقف؛ سَعَتْ الحَرَكَة الصّهيونيَّة - خلال الحَرْب العالميَّة الأُولى وبعدها - إلى الاتّصال ببعض الزّعامات العَرَبيَّة، تحقيقاً لهذا الغرض، مُعتمدَة - في ذلك - على بعض الشّخصيَّات السّياسيَّة البريطانيَّة ذات المُيُول الصّهيونيَّة[1]، وكان لُورنس واحداً من الشّخصيَّات التي اعتمدتْ عليها الحَرَكَة الصّهيونيَّة لما وَجَدَتْ فيه من المُيُول الصّهيونيَّة، فقد كانت جميع أقواله وأفعاله في الفترة الواقعة بين عامَيْ 1918 و 1922، تدلُّ دلالة واضحة على تعامله مع الحَرَكَة الصّهيونيَّة تعاملاً جَعَلَهُ من أشدِّ دُعاتهم في المنطقة.

ففي شباط عام 1918، كَتَبَ كلايتون إلى سايكس بأنَّه حثَّ لُورنس على الضغط على الأمير فَيْصَل بضرورة الاتِّفاق مع الصّهاينة[2] وكان ردُّ لُورنس الذي بَعَثَهُ بتاريخ 21 شباط عام 1918: إنَّني أستخدم تأثيري على فَيْصَل، لكي تكون مُعاملة اليهُود في فلسطين من قِبَل العَرَب أفضل مُعاملة[3].

وبالفعل؛ نَجَحَ هذا التّأثير؛ حيثُ رَتَّبَ لُورنس لقاءً بين الأمير فَيْصَل وحاييم وايزمن في حُزيران 1918، في مُعسكر فَيْصَل في الوهيدة قُرب العَقَبَة[4]، وليس في فلسطين كما يعتقد البعض[5]، ولكنَّ لُورنس لم يحضر هذا اللّقاء؛ لأنَّه كان غائباً في المنطقة الشّماليَّة[6]، ومن

---

(1) بدأ هذه الجُهُود السِّر مارك سايكس؛ حيثُ اتَّصل بلجنة الاتِّحاد السُّوريَّة في القاهرة، من أجل توحيد الجُهُود العَرَبيَّة - الصّهيونيَّة. كما شكَّل لجنة مُشتركة في بريطانيا من عَرَب وصهيونيِّين من أجل تحقيق الهدف المُشار إليه. وكانت المُحاولة الثّانية هي الاتِّصال بالملك حُسَيْن عن طريق هوكارث. كما أرسلت البعثة الصّهيونيَّة إلى فلسطين في آذار/ 1918 برئاسة حاييم وايزمن، والتي حاولت الاتِّصال بالزُّعماء السُّوريِّين والفلسطينيِّين. . . . إلخ. انظر:
A.I.Tibawi, T.E.Lawrence, Fisal and Weizman, Middle East Forum, Beirut, Vol. XIV, No. L1969, P.82.

(2) Ibid P.83.

(3) مُقتبس من: بوندرافسكي، المصدر السّابق، ص118.

(4) خيريَّة قاسمية، النّشاط الصّهيوني في الشّرْق العَرَبي ومداه، بيرُوت، مركز أبحاث مُنظَّمة التّحرير الفلسطينيَّة، 1973، ص369.

(5) مُحَمَّد عبد الرّحمن بُرج، تحالف الصّهيونيَّة والاستعمار مُقدّماته. . . . نتائجه، القاهرة، المُؤسَّسة المصريَّة للتّأليف والتّرجمة والطّباعة والنّشر، 1964، ص31.

(6) يعتقد بعض الباحثين خطأ أنَّ لُورنس كان حاضراً في هذا اللّقاء، وكان يتولى مهمَّة التّرجمة بين كُلٍّ من فَيْصَل ووايزمن. انظر: علاء جاسم المُحَمَّد، المصدر السّابق، ص69، زين نُور الدِّين زين، المصدر السّابق، ص99.

المُحتمل أنَّ عدم حُضُور لُورنس لهذا اللّقاء كان مقصوداً، خوفاً من أنْ يفقد ثقة زُملائه من الضبَّاط العَرَب، فليس من المعقول أنْ يترك لُورنس لقاءً مُهمّاً هكذا، ويفوته. وفي هذا اللّقاء ـ الذي حَضَرَهُ الكُولُونيل جويس كمُترجم ـ سأل الأميرُ فَيْصَلُ حاييمَ وايزمن عن هدف المنهاج الصّهيوني؛ فأكَّد له وايزمن أنَّ الحَركَة الصّهيونيَّة لا تهدف إلى إنشاء حُكُومة يهُوديَّة في فلسطين، ولكنَّ هدفها تطوير البلاد، بما يعود بالنّفع على الطَّرَفَيْن، عن طريق وَضْع الخبرة والأموال اليهُوديَّة في خدمة هذا الغرض. كما أكَّد له أنَّ حظَّ العَرَب سوف يتحسَّن نتيجة لأعمال اليهُود[1].

كانت غاية وايزمن من هذا الاجتماع هي التَّوصُّل إلى عقد اتِّفاق مع الأمير فَيْصَل إلاَّ أنَّه لم يحصل اتِّفاق بين الرّجلَيْن، ذلك الاتِّفاق الذي ظلَّت الحَركَة الصّهيونيَّة تسعى إليه بعد هذا التّاريخ، ولكنْ؛ يبدو أنَّ تفاهماً ما قد حَصَلَ بينهما؛ حيثُ كَتَبَ وايزمن: أنَّ الاجتماع الصّحراوي الأوَّل وضع أُسُس صداقة طويلة بيننا[2]. وقد قدَّر الصّهيونيُّون أنَّ الأمير بحاجة إلى خدماتهم لإدارة المناطق المُحرَّرة، إذْ قدَّروا المبالغ المطلوبة لهذا الغرض بحُدُود 200.000 جنيه استرليني في الشّهر؛ وحيثُ أنَّه لا يستطيع الحُصُول على هذه المبالغ قبل حُلُول موسم الحصاد لعام 1919، فقد عرضوا عليه قرضاً وخدمات مُستشار مالي لقاء مُساعدته لهم في فلسطين[3]. ولكنَّ الأمير اعتذر عن تلبية طلب وايزمن على اعتبار أنَّه لم يكن سوى جُنْدي في جيش الملك حُسَيْن وأنَّه غير مُخوَّل البتَّة في البَحْث في أُمُور سياسيَّة كهذه، وأنَّ أمر تقريرها منوط بالملك حُسَيْن[4] هكذا عاد وايزمن خالي الوفاض من رحلته تلك.

---

(1) مُذكّرات حاييم وايزمن، بلا. 1952، ص66، فاضل حُسَيْن، فَيْصَل الأوَّل والصّهيونيَّة، "مجلَّة المُعلّم الجديد"، المُجلَّد الحادي والعشرون، الجُزء السّادس، تشرين الثّاني وكانون الأوَّل 1958، ص11؛ حسن صبري الخُولي، المصدر السّابق، الجُزء الأوَّل، ص474؛ أحمد طربين، فلسطين في خُطط الصّهيونيَّة والاستعمار1897 ـ 1922، القاهرة، معهد البُحُوث والدّراسات العَرَبيَّة، 1970، ص130، مُحَمَّد عزَّة دروزة، القضيَّة الفلسطينيَّة في مُختلف مراحلها، الجُزء الأوَّل، بيرُوت، المكتبة المصريَّة، 1959، ص42؛ زاهية قدُّورة، تاريخ العَرَب الحديث، بيرُوت، دار النّهضة العَرَبيَّة، 1975، ص199.

(2) مُقتبس من: حاييم وايزمن، المصدر السّابق، ص66.

(3) فيليب نايتلي، وكُولن سمبسون، المصدر السّابق ص120 ـ 121.

(4) A.L. Tibawi, T. E. Larence, Fisal....P. 83.

وعندما وَصَلَ الأمير فَيْصَل إلى لندن، في نطاق زيارته لحُضُور مُؤتمر الصُّلح توحَّدت الجُهُود الصّهيونيَّة ـ البريطانيَّة من أجل إجباره على توقيع اتِّفاق بما يخدم أهداف الصّهيونيَّة العالميَّة، وكان لُورنس ـ بحُكْم علاقته القويَّة مع الأمير فَيْصَل وميله للخطِّ العامِّ للسّياسة البريطانيَّة تجاه الصّهيونيَّة ـ رجلهم الذي يعتمدون عليه كثيراً في تحقيق هذا الهدف. لذا؛ فُوتح من قبل روبرت سيسل(Robert Cicel) وكيل وزير الخارجيَّة البريطاني، بترتيب لقاء بين الأمير فَيْصَل ووايزمن في غُضُون أربع وعشرين ساعة بعد وُصُوله من لندن، وهكذا أصبح لُورنس ـ سراً ـ المُستشار غير الرّسمي حول القضيَّة العَرَبيَّة ـ الصّهيونيَّة، وبضغط منه، فقد ارتأى الأمير السّير مع المُنظَّمة الصّهيونيَّة[1].

ومن خلال لُورنس؛ جرى ترتيب اجتماع بين الأمير فَيْصَل وحاييم وايزمن في فُندق كارلتون (Carelton Hote) بتاريخ 11 كانون الأوَّل عام 1919، وقد أُحيط الاجتماع بسريَّة تامَّة؛ بحيثُ لم يعلم به أحد من أعضاء الوفد العَرَبي. وكان لُورنس حاضراً في هذا الاجتماع بصفة مُترجم[2].

وعلى الرّغم من عدم وُجُود سجلٍّ عَرَبي لمُحادثات فَيْصَل مع وايزمن، أو نُسخ لرسائله وبرقيَّاته العَرَبيَّة في هذه المرحلة، لكنَّ راوية حاييم وايزمن في مُذكّراته الشّخصيَّة تُسلِّط الضّوء عليه؛ حيثُ يذكر أنَّه طَلَبَ من الأمير فَيْصَل المُوافقة على وعد بلفُور، بعد أنْ أوضح أنَّ اليهُود هُم السَّنَدُ الوحيد للعَرَب، وبامتلاكهم الأموال والخبرات في شتَّى الميادين، وأنَّهم قادرون على مُساندة العَرَب، وأكَّد للأمير فَيْصَل عدم وُجُود أطماع سياسيَّة لليهُود في فلسطين، وأنَّ هدفهم هُو مُساعدة العرب وتعمير الأراضي العَرَبيَّة[3]. كما اتَّفق الاثنان على مُعارضة اتِّفاقيَّة سايكس ـ بيكُو. وبتأثير من لُورنس؛ تكوَّنت للأمير قناعة أنَّه إذا توصَّل العَرَب إلى اتِّفاق مع اليهُود، فإنَّهم سيُوحِّدون جُهُودهم للحَدِّ من أطماع فرنسا في سُورية. يتَّضح ذلك جلياً من خلال التّصريح الذي أدلى به الأمير فَيْصَل إلى الصُّحُفي البريطاني

---

(1) Ibid P84.

(2) فيليب ناتيلي، وكُولن سيمبسون، المصدر السّابق، ص121.

(3) سُليمان مُوسى، الحَرَكَة العَرَبيَّة.....، ص435 ـ 436.

جيفرز(Jeffries) قال فيه: "إنَّ العَرَب قد حُرموا من الوُصُول إلى المُتوسِّط، وأنَّه كان يُطالب بالوُعُود التي أُعطيت لوالده، ولكنَّ أيدي حُكُوميَّة رَسْميَّة كانت تقبض عليه، وتدفعه نحو صداقة جديدة للدُّكتُور وايزمن"[1]، وليس من المُستبعد أنْ يكون لُورنس قد حرَّف ترجمة أقوال وايزمن، وجَعَلَ فَيْصَل يقتنع بجدواها.

وقد شهد أحد أيَّام شهر كانون الثّاني 1919، بعد يوم 4 منه، اجتماعاً آخر، تمَّ فيه التّوقيع على الاتِّفاق بين الأمير فَيْصَل وحاييم وايزمن[2]، ومن المُحتمل أنَّ الاتِّفاق كُتبَ من قبَل لُورنس[3].

كما صَرَّحَ به حاييم وايزمن بقوله: ". . لقد قابلتُ الأمير فَيْصَل عدَّة مرَّات بعد ذلك في أُورُوبا، وتجسدت مُفاوضاتنا باتِّفاق وَضَعَهُ الكُولُونيل لُورنس، وَوَقَّعَهُ الأمير نفسه"[4].

قُدِّم مشروع الاتِّفاق باللُّغة الإنكليزيَّة إلى الأمير فَيْصَل من قبَل لُورنس، ومن المُثير للدّهشة أنَّ اتِّفاقيَّة مع زعيم عَرَبي لا يعرف الإنكليزيَّة تكون بتلك اللُّغة، وليس لها أصل وترجمة عَرَبيَّة، لذا؛ فمن الطّبيعي أنْ يعتمد الأمير فَيْصَل - في تفهُّم بُنُودها - على ترجمة لُورنس[5].

تضمَّن مشروع الاتِّفاقيَّة عبارات "الدّولة اليهُوديَّة"، و"الحُكُومة اليهُوديَّة"، ولمَّا قرأ لُورنس هذا الاتِّفاق أمر فَيْصَل إبدال هذه العبارات بعبارة "فلسطين"، و"حُكُومة فلسطين"[6]، وقد أوضح أرنولد توينبي (A.J.Toynbee) ذلك في تقرير رَسْمي قدَّمه إلى وزارة

---

(1) مُقتبس من: خيريَّة قاسميَّة، قراءة تاريخيَّة لاتِّفاقيَّة وايزمن، "مجلَّة شُؤُون فلسطينيَّة"؛ بيرُوت، العدد94، أيلول1979، ص76.

(2) للاطِّلاع على نصِّ الاتِّفاقيَّة؛ راجع: جُورج أنطُونيُوس، المصدر السّابق، ص592 - 595؛ مُحَمَّد مُظفَّر الأدهمي، المصدر السّابق، ص28 - 29.

(3) Maurice Lares, Op. Cit. P.425.

(4) حاييم وايزمن، المصدر السّابق، ص66.

(5) A.L.Tibawi, T.E Lawrence, Fisal..., p.85.

(6) فيليب نايتلي، وكُولن سيمبسون، المصدر السّابق، ص122.

الخارجيَّة[1]. ولمَّا كان الأمير فَيْصَل حذراً في تعامله مع المُنظَّمة الصّهيونيَّة، فقد ذيَّل الاتِّفاقيَّة بتحفُّظ كَتَبَهُ بخطِّ يده جاء فيه: "إذا حَصَلَ العَرَب على استقلالهم، كما طَلَبْنَاهُ في مُذكّرتنا المُؤرَّخة في 4 كانون الثّاني 1919، المُقدَّمة إلى وزارة خارجيَّة بريطانيا العُظمى، فإنَّني أُوافق على البُنُود المذكورة أعلاه، ولكنْ؛ إذا حَصَلَ أقلُّ تغيير أو تعديل على تلك المطالب، فإنَّني لا أكون مسؤولاً عنها بحال من الأحوال"[2].

وبإضافته لهذا التّحفُّظ، فإنَّ الأمير فَيْصَل قد نَسَفَ الاتِّفاق من أساسه، وأصبح خالياً من أيَّة قيمة سياسيَّة فعليَّة.

ولأجل أنْ يطَّلع الدُّكتُور حاييم وايزمن على نصِّ التَّحفُّظ؛ فقد ترجمه لُورنس إلى اللُّغة الإنكليزيَّة بالصُّورة التّالية: "إذا تأسَّس للعَرَب دولة كما طَلَبْنَاهُ في تقريرنا المُقدَّم إلى وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة، فإنَّني سأُنفِّذ ما كُتِبَ في هذه الاتِّفاقيَّة، أو إذا حَدَثَتْ تغييرات، فإنَّني غير مسؤول عن فشل تنفيذ الاتِّفاقيَّة"[3].

وعند مُقارنتنا للتَّحفُّظ الذي كَتَبَهُ فَيْصَل، وترجمته للإنكليزيَّة التي كَتَبَهَا لورانس، نجد أنَّ هُناك اختلافاً كبيراً في نصِّيهما، ممَّا يدلُّ على أنَّ لُورنس ترجم التَّحفُّظ ترجمة سيِّئة ومُضطربة، مع إهمال بعض الكلمات التي تجاوزها بنفسه عَمْداً، فقد أشار تحفُّظ فَيْصَل إلى عبارة" وإذا حَصَلَ العَرَب على استقلالهم"، وهذا معناه طَلَب الاستقلال إلى كُلِّ البلاد المذكورة في المُذكّرة المُؤرَّخة في 4 كانون الثّاني عام 1919، بدُون استثناء، ولكنَّ لُورنس ذَكَرَ في ترجمته"إذا تأسَّس للعَرَب دولة"، فقد تَرَكَ العبارة مُبهمَة وقابلة للتّأويل، فهُو يقصد بها إعطاء العَرَب الحقَّ في تأسيس دولة في مكان ما، ومَنْعهم من تأسيسها في مكان آخر، وعندما نعلم أنَّ لُورنس لم يذكر تاريخ المُذكّرة المُقدَّمة إلى وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة وهُو (4 كانون الثّاني عام 1919) فهُو - بهذا - يستثني فلسطين من تلك الدّولة المُقترحة، خُصُوصاً إذا

---

(1) أمين المُميَّز، عودة إلى اتِّفاقيَّة فَيْصَل وايزمن، القسم الأوَّل، "مجلَّة آفاق العَرَبيَّة"، العدد5 كانون الثّاني 1978، ص10.

(2) Quoted in: A.L.Tibawi, T.E.Lawrence, Fisal,.... P. 86.

(3) مُقتبس من: مُحَمَّد مُظفَّر الأدهمي، المصدر السّابق، ص32.

ما علمنا أنَّ تلك المُذكّرة تنصُّ على طَلَب استقلال البلاد العَرَبيَّة مُوحَّدة في آسيا؛ من الخطِّ المُمتدِّ شمالي الإسكندرونة وديار بكر حتَّى سواحل المُحيط الهندي جنوباً، وفلسطين كما هُو معروف تقع ضمن تلك المنطقة. لذا؛ أراد لُورنس أنْ تكون فلسطين خارج حُدُود تلك الدّولة، ليتسنَّى لبريطانيا والمُنظَّمة الصّهيونيَّة العالميَّة إقامة الوطن اليهُودي الموعود.

وبعد أنْ وُقِّعتْ الاتِّفاقيَّة من قبَل الأمير فَيْصَل مع التَّحفُّظ الذي كُتِبَ في ذيل المشروع أُرسلَتْ من قبَل لُورنس إلى حاييم وايزمن، ومعها قُصاصة من الورق، تحتوي على ترجمة لُورنس لتحفُّظ الأمير فَيْصَل، وما إنْ قرأها وايزمن حتَّى أضاف بخطِّ يده تاريخ مُذكّرة فَيْصَل، الذي تعمَّد لُورنس عدم الإشارة إليه، كما كَتَبَ عبارة "وُقِّعَتْ من قبَل الأمير فَيْصَل"[1].

وليس من المُستبعد أنْ يكون الأمير فَيْصَل قد تعرَّض لضغُوط كبيرة من جانب لُورنس، لكي يُجبره على توقيع الاتِّفاق؛ إذْ يبدو أنَّه كان مُتردِّداً في عقده من خلال التّناقض الوارد بين تاريخ كتابة الاتِّفاق من قبَل لُورنس ووايزمن وهُو (3 كانون الثّاني عام 1919) وتاريخ المُذكّرة هُو (4 كانون الثّاني) وهذا معناه أنَّ الاتِّفاق بقي مع فَيْصَل عدَّة أيَّام قبل توقيعه[2].

ولكنَّ نتيجة هذا اللّقاء لم تكن أكثر نجاحاً من اللّقاء الأوَّل قُرب العَقَبَة، ففي كلا اللّقاءَيْن ضخَّمت الدّعاية الصّهيونيَّة نتائجهما، على الرّغم من أنَّ الاتِّفاق الأخير لا يمتلك أيَّ قيمة سياسيَّة، نَظَراً لأنَّ تحفُّظ الأمير قد جَرَّدَهُ من مضمونه.

هكذا قدَّم لُورنس خدمة كبيرة للحَرَكَة الصّهيونيَّة؛ جَعَلَتْ حاييم وايزمن يُثني على جُهُوده في هذا المجال؛ حيثُ كَتَبَ إطراءً له جاء فيه: "... ويقضي عليَّ الواجب أنْ أبحث هذه النّاحية (الاتِّفاقيَّة) من تاريخ العلاقات مع العَرَب واليهُود، وأنْ أُثني - هُنا - أعطر الثّناء على الخدمات التي قدَّمها لُورنس للقضيَّة اليهُوديَّة. . . . . وكان موقف لُورنس من

---

(1) A.L.Tibawi, Amodern History of Syria, London, 1969, P. 291.

(2) سُليمان مُوسى، الحَرَكَة العَرَبيَّة. . . . . ، ص440.

الصّهيونيَّة موقفاً إيجابيّاً لا شكَّ فيه، وقد كان من الخطأ البالغ أنَّ الكثيرين تصوَّروا أنَّ لُورنس عدوُّ الصّهيونيَّة، بحكْم أنَّه كان صديق للعَرَب"[1].

قابل لُورنس هذا الإطراء والتّثمين - من قبَل وايزمن - بما يُبادله، ففي رسالة كَتَبَهَا إلى الأُسقف الأنجليكاني في القُدس رَدّاً على رسالة الأخير الذي طَلَبَ منه تكذيب الادِّعاء المنسوب إليه - أيْ للُورنس - من قبَل هوريس آ. م كالون (H.A.M.Kaloon) مُؤلِّف كتاب " الصّهيونيَّة والسّياسة الدّوليَّة"، وباتِّهام المصالح التّبشيريَّة للكنيسة الأنجليكانيَّة بالوُقُوف وراء الدّعاية المُوجَّهة ضدَّ المصالح اليهُوديَّة، أوضح هذا الإطراء بقوله: . . إنَّني أظنُّكَ تُريد منِّي إنكار الأمر؛ لأنَّكَ تُريد أنْ تشعر بالثّقة في نفسكَ، وتنتصر على الدُّكتُور وايزمن، ذلك الرّجل العظيم الذي لا نليق - لا أنا ولا أنت عزيزي الأُسقف - أنْ نمسح حذاءه"[2].

ومن المُفيد أنْ نذكر - هُنا - أنَّ السّعي الحثيث - من قبَل لُورنس - من أجل إقامة وطن قومي لليهُود لم يكن سعياً مُفاجئاً حتَّمته ضرورات المرحلة، بل كان له مُقدّماته؛ إذْ وافق على مشروع الكابتن وليم ييل (William Yeele) عُضْو الوفد الأمريكي إلى مُؤتمر الصُّلح، القاضي بتحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهُود تحت الانتداب البريطاني، واصفاً إيَّاه بأنَّه يُعطي العَرَب أكثر ممَّا كان يتمنَّى أنْ يحصل عليه لهم[3].

ومن الوقائع المُهمَّة التي توجَّه فيها أصابع الاتِّهام للُورنس، هُو موضوع الرّسالة التي وجَّهها الأمير فَيْصَل إلى فليكس فرانكفورتر(Felix Frank Furter) عُضْو الوفد الأمريكي إلى مُؤتمر الصُّلح؛ إذْ إنَّ الأمير فَيْصَل أدلى بحديث إلى جريدة الماتان في آذار1919، قال فيه: " إنَّ الأُمَّة اليهُوديَّة يُمكن أنْ تأوي إلى فلسطين، التي هي مركز لديانة أبنائها، ولكنَّ الأكثريَّة من العَرَب، ويجب أنْ يكون الحُكْم تبعاً لمنفعة الأكثريَّة، غير أنَّ الأساس يجب أنْ يُبنى على المُساواة"[4].

---

(1) مُقتبس من: حاييم وايزمن، المصدر السّابق، ص67.

(2) مُقتبس من: عبد المُنعم النّاصر، المصدر السّابق، ص137.

(3) أنيس صايغ، الهاشميُّون وقضيَّة فلسطين، ص84.

(4) مُقتبس من: مُذكّرات رُستُم حيدر، ص282.

شَعَرَ زُعماء الحَرَكَة الصّهيونيَّة بالقلق من جرّاء هذا التّصريح، وخُصُوصاً الأمريكان منهم. ففي هذه المرحلة اقترب الصّهاينة الأمريكان من الأمير فَيْصَل في باريس من خلال لُورنس عن طريق إشاراتهم إلى مُساعدة أمريكيَّة للقضيَّة العَرَبيَّة، وبناء على نصيحة لُورنس ولخوفهم من الأطماع الفرنسيَّة كان الوفد العَرَبي يُعلّق بعض الآمال على الولايات المُتّحدة الأمريكيَّة. ومن هذا المُنطلق؛ اقترح على فيلكس فرانكفورتر انتزاع رسالة من الأمير فَيْصَل، مُتعاطفة مع المصالح الصّهيونيَّة، فسعى لدى لُورنس لترتيب هذا اللّقاء[1].

تمَّ اللّقاء بين الأمير فَيْصَل وفيلكس فرانكفورتر، بحُضُور لُورنس الذي كان يُترجم بينهما. وبعد تبادل وُجهات النَّظَر؛ اتَّفق الاثنان على إعطاء صفة رَسْميَّة لمُحادثاتهم بأنْ يُدوِّن لُورنس بالإنكليزيَّة فَحْوى وُجهات النَّظَر الخاصَّة بالأمير فَيْصَل، ويحملها إلى الأمير فَيْصَل الذي كان عليه توقيعها بعد الاطّلاع على ترجمتها بالعَرَبيَّة، ثُمَّ يبعث بها إلى فيلكس فرانكفورتر الذي كان عليه أنْ يقوم بعمل مُماثل[2].

أُرسلت رسالة الأمير فَيْصَل، التي كَتَبَهَا لُورنس بالإنكليزيَّة، وبتوقيع الأمير فَيْصَل، إلى فيلكس فرانكفورتر بتاريخ 3 آذار عام 1919، وممَّا تضمَّنته هذه الرّسالة عَطْفَ العَرَب على الحَرَكَة الصّهيونيَّة، ومُوافقة الوفد العَرَبي في باريس على مُقترحات المُنظَّمة الصّهيونيَّة إلى مُؤتمر الصُّلح، باعتبارها مُقترحات مُعتدلة، كما تضمَّنت مُوافقة الوفد على أنَّ هُناك مُتَّسعاً من المكان في سُورية لكُلٍّ من العَرَب واليهُود.

احتفظ الصّهاينة بهذه الرّسالة، واعتبروها وثيقة رَسْميَّة، وأخذوا يُبرزونها بمُناسبة وبغير مُناسبة. وأثناء زيارة الأمير فَيْصَل إلى لندن في خريف عام 1919، أعلن في تصريح له لمجلَّة جويش كرونيكل(Jewish Chronicle) مُوافقته على الهجرة اليهُوديَّة المُنتظمة التي لا تتجاوز 1500 مُهاجر سنوياً، مع تعهُّده بضمان حُقُوق مُتساوية لليهُود مع العَرَب، وحُكْماً ذاتيّاً في توجيه مدارس طائفتهم، وحُرِّيَّة في استخدام اللُّغة العبريَّة، ووسائل تأسيس مركز للثّقافة

---

(1) A.L.Tibawi, T.E.Lawrence, Fisal..P89.

(2) ذوقان قرقوط، المشرق العَرَبي في مُواجهة الاستعمار في تاريخ سُورية المُعاصرة، القاهرة، الهيئة المصريَّة للكتاب، 1977، ص48.

اليهُوديَّة. وإجابة على نَقْد الأمير فَيْصَل لأُولئك الصّهاينة الذين تحدَّثوا بأنَّ فلسطين قد أصبحت يهُوديَّة مثلما إنكلترا إنكليزيَّة، شَرَحَ مُحلِّل المجلَّة أنَّ اليهُود تصوَّروا أنَّ وعد بلفُور عُني بالوسائل السّياسيَّة والاقتصاديَّة والثّقافيَّة لتأسيس وطن قومي لليهُود الذي سيُصبح ـ أخيراً ـ دولة يهُوديَّة. وَطَلَبَ من الأمير فَيْصَل توضيح ما إذا كانت هذه المطامع تتناقض مع التَّطلُّعات العَرَبيَّة، فأعلن الأمير فَيْصَل أنَّ العَرَب سيُقاتلون من أجل إخضاع فلسطين للدّولة العَرَبيَّة، لكونها آخر جُزء من هذه المملكة، من أجل تحقيق سيادة العَرَب على أراضيهم[1].

جاء هذا التّصريح صَدْمَة للصّهاينة الذين أرسلوا هربرت صموئيل Herbert Samuel إلى وزارة الخارجيَّة، حاملاً معه رسالة الأمير فَيْصَل إلى فيلكس فرانكفورتر. وَطَلَبَ من وزارة الخارجيَّة التَّدخُّل مع الأمير فَيْصَل؛ لأنَّ تصريحه يُؤدِّي إلى تزايد مصالح العَرَب، فَضْلاً عن أنَّه يُؤدِّي إلى شُعُور اليهُود بالخطر. وقد رُفض الطَّلَبُ ـ بشكل كامل ـ من قِبَل اللُّورد كرزن، الذي خلَّف بلفُور في وزارة الخارجيَّة بتاريخ 24 تشرين الأوَّل عام 1919[2].

لم يقتصر قيام الصّهاينة بعَرْض تلك الرّسالة على الدّوائر السّياسيَّة البريطانيَّة، بل تعدَّاه إلى عَرْضها أمام بعض اللّجان الدّوليَّة. ففي خلال أعمال لجنة شُو Shaw Commission[3]، التي أُرسلت إلى فلسطين عام 1929، أُثير موضوع الرسالة من جديد؛ حيثُ أبرزها المُحامي اليهُودي لويد فريدمان Liuyed Fredman في إحدى جلسات هذه اللّجنة، ممَّا جَعَلَ عوني عبد الهادي ـ الذي كان في فلسطين حينئذ ـ يطلب من الملك فَيْصَل في رسالة بَعَثَهَا إليه توضيحاً لتلك الرّسالة، فأجابه رُستُم حيدر رئيس الدّيوان المَلَكي ـ على لسان الملك ـ بعدم علمه بكتابة تلك الرّسالة[4]، كما أعلن الملك فَيْصَل الأوَّل ـ بواسطة رئيس ديوانه رُستُم حيدر بتاريخ 25 كانون الثّاني عام 1930، ـ عدم مسؤوليَّته عن هذه الرّسالة،

---

(1) A.L. Tibawi, T.E. Lawrence, Fisal.., P.86.

(2) Ibid. p.89.

(3) لجنة شُو سُمِّيتْ بهذا الاسم نسبة إلى رئيسها، وأرسلتها بريطانيا بعد ثورة البراق، هدفها التّحقيق عن مظالم اليهُود في فلسطين. للتّفاصيل؛ انظر: مُحَمَّد عزَّة دروزة، حول الحَرَكَة العَرَبيَّة الحديثة، المُجلَّد الأوَّل، ص67 ـ 70.

(4) أنيس صايغ، الهاشميُّون وقضيَّة فلسطين، ص77.

وذلك برسالة بَعَثَهَا إلى مُحرِّر جريدة البلاد التي نَشَرَتْ مقاطع من رسالته إلى فيلكس فرانكفورتر[1] . ويُعتقَد ـ على فرض صحَّة الرّسالة ـ أنَّها كُتِبَتْ، ووُقِّعَتْ من قِبَل لُورنس باللُّغة الإنكليزيَّة[2] . ولم يكن ذلك بغريب عن لُورنس، ذلك أنَّ بعض الرّسائل التي تُنسب للأمير فَيْصَل كُتِبَتْ من قِبَله، دُون علم الأمير فَيْصَل، ومنها أنَّه أرسل برقيَّة باسم الأمير فَيْصَل إلى الأمير زيد يحتجُّ فيها على الحَمْلَة التي تعرَّضت لها المُنظَّمة الصّهيونيَّة العالميَّة في الصّحافة السُّوريَّة، بحُجَّة أنَّ المُنظَّمة الصّهيونيَّة تُساند القضيَّة العَرَبيَّة[3] .

والسُّؤال الذي يتبادر إلى الذّهن : أ كان لُورنس يُنفِّذ تعليمات حُكُومته بشأن التّعاون مع اليهُود؟ أم أنَّ عمله كان بمحض إرادته الشّخصيَّة ؟ يعتقد المُؤرِّخ "أرنولد تُوينبي" أنَّ لُورنس كان يعمل بدافع من اجتهاده الشّخصي، وبدُون ضغط من حُكُومته"[4] .

وليس من المُستبعد أنْ تكون غاية لُورنس من وراء هذا التّعامل المشبوه، هُو دقُّ أسفين في عامل وحدة العَرَب، وهُو الإسلام، حتَّى يسهل على بريطانيا السّيطرة على المنطقة بسُهُولة ويُسْر، ويتَّضح هذا من خلال الكثير من أقواله ؛ إذْ وَرَدَ في أحد تقاريره السِّرِّيَّة : " أهدافنا الرّئيسة تتلخَّص في تحطيم الوحدة الإسلاميَّة وتفتيتها، التي تقف عائقاً خطراً في وجه مُخطَّطاتنا"[5] . وهكذا التقت أهدافه مع أهداف المُنظَّمة الصّهيونيَّة التي لا يُمكن أنْ تزدهر ضمن كتلة إسلاميَّة مُوحَّدة .

ـ لُورنس يحضر مُؤتَمَرَيْ القاهرة والقُدس 1921 :

كان لاندلاع الثّورة العراقيَّة عام 1920، وخُرُوج الملك فَيْصَل من سُورية، أثر كبير في توجيه نَقْد لاذع لأُسْلُوب الحُكُومة البريطانيَّة في إدارة المناطق المُستعمَرَة . وممَّا يُذكَر أنَّ لُورنس كان واحداً من أُولئك الذين وجَّهوا نَقْداً للحُكُومة البريطانيَّة وأُسْلُوبها في إدارة العراق في

---

(1) مُذكّرات رُستُم حيدر، ص 283 .

(2) مُذكّرات رُستُم حيدر، ص2281؛ خيريَّة قاسميَّة، عوض عبد الهادي..... ، ص24 ـ 25 .

(3) خيريَّة قاسميَّة، قراءة تاريخيَّة . . . ، ص89 .

(4) سُليمان مُوسى، الحَرَكَة العَرَبيَّة . . . ، ص434 .

(5) مُقتبس من : زُهدي الفاتح، لُورنس على خُطى هرتزل، ص152 ـ 153 .

مجموعة مقالات نَشَرَتْهَا مُختلف الصُّحُف البريطانيَّة ؛ إذْ أعلن فيها مُلاحظاته وتعليقاته ومُقترحاته . وممَّا اقترحه تشكيل إدارة عَرَبيَّة في العراق ، فَضْلاً عن إخراج المُوظَّفين البريطانيِّين الذين لا يُجيدون العَرَبيَّة من الوظائف الحُكُوميَّة ، وَجَعْل اللُّغة العَرَبيَّة اللُّغة الرَّسْميَّة في البلاد ، وتشكيل فرقَتَيْن من الجيش ، يكون جميع أفرادها من العَرَب ، هدفها المُحافظة على الأمن في البلاد ، وإجلاء الجُيُوش البريطانيَّة[1] ، وأعرَب لُورنس عن ثقته بأنَّ تحقيق هذه الشُّرُوط سيضمن إخلاص العَرَب للحُكُومة البريطانيَّة قائلاً : " إنَّني أثق بأنَّ تحقيق هذه الشُّرُوط سيضمن إخلاص العَرَب لنا ، كأيِّ عُضْو آخر في الإمبراطُوريَّة ، مع أنَّنا لا ننظر إليهم بقدر سنْت واحد من الأهمِّيَّة "[2] .

لم تكن تلك المُشكلة الوحيدة التي واجهت الحُكُومة البريطانيَّة ، فكان هُناك صراع خفيٌّ وتناقضٌ واضحٌ في رَسْم السّياسة البريطانيَّة وتوجيهها بين دوائر مُتعدِّدة كوزارة الخارجيَّة ، ووزارة الهند ، ووزارة الحَرْب ، ولأجل إزالة هذا التّناقض ؛ أسندت الحُكُومة البريطانيَّة هذه المهمَّة إلى وزارة المُستعمرات[3] وعُهد إلى ونستون تشرشل بتسلُّم هذه الوزارة ، التي كان عليها " تهدئة الشَّرْق الأوسط " على حَدِّ تعبير لُورنس[4] .

عَهَدَ ونستون تشرشل بمهمَّة " تهدئة الشَّرْق الأوسط " إلى قسم جديد استُحدث لهذا الغرض ، أُطلق عليه "قسم الشَّرْق الأوسط" Middle East Department ، ودُعي إليه عدد من المُختصِّين بشُؤُون الشَّرْق الوسط ؛ أمثال هيوبرت يُونك ، وكورنواليس ، وريدر بُولارد ،

---

(1) "Daily Herald Newspaper, August, 1920 dated, 9th"

وانظر كذلك : هنري فُوستر ، نشأة العراق الحديث ، ترجمة سليم طه التكريتي ، الجُزء الأوَّل ، بغداد ، المكتبة العالميَّة ، 1989 ، ص139 ـ 140 ، " مجلَّة الرّابطة العَرَبيَّة " مُجلَّد 2 ، 13 كانون الثّاني197 ، ص259 ؛ "جريدة الشَّرْق" ، بغداد ، العدد8 ، 1920 .

(2) مُقتبس من : ل . ن كُوتلُوف ، ثورة العشرين الوَطَنيَّة التَّحرُّريَّة في العراق ، ترجمة عبد الواحد كَرَم ، بيرُوت ، دار الفارابي ، 1975 ، ص132 .

(3) Direction de Affaires, 2.Ambassade de France en Angleterre, 314, E politiques et commerciales, Asie, no.51, 7Fevrier, 1921, P01.

مُحَمَّد يُوسُف إبراهيم ، المصدر السّابق ، ص84 .

(4) نقلاً عن : جيمس مُوريس ، المصدر السّابق ، ص90 .

وماينرتزهاجن، ولُورنس، الذي فُوتح بأمر انضمامه إلى هذا القسم شخصياً من قبَل تشرشل[1].

ولأجل تنفيذ المهامِّ المنوطة به، باشر قسم الشَّرْق الأوسط بمُمارسة أعماله، وكان أوَّل عمل قام به هُو دعوته لعدد من الشّخصيَّات العسكريَّة والمَدَنيَّة للاجتماع في القاهرة، للفترة من 12 ـ 32 آذار عام 1921، لبَحْث السُّبُل الواجب اتِّخاذها من أجل تنفيذ السّياسة الجديدة التي تنوي وزارة المُستعمرات السَّيْرَ عليها، وكان من بين الشّخصيَّات ـ بالإضافة إلى تشرشل ـ لُورنس، برسي كُوكس، هربرت صموئيل، هيوبرت يُونك، و المس بل. كما حَضَرَهُ من العراقيِّيْن جعفر العسكري، وساسون حسقيل[2].

شكَّل المُؤتمرُ ثلاثَ لجان هي اللّجنة السّياسيَّة التي ترأسها تشرشل، وأدَّى لُورنس فيها دوراً بارزاً، واللّجنتان الأُخريتان هُما للعسكريَّة والماليَّة[3]، وكان على تلك اللّجان إعادة النَّظَر في السّياسة البريطانيَّة في المشرق العَرَبي، والتي اعتُبرت فاشلة، والعمل على تبديلها بسياسة جديدة وُفق السُّبُل الآتية:

1 ـ دراسة كيفيَّة تنصيب فَيْصَل على عرش العراق، بعد خُرُوجه من دمشق، بضغط من القُوَّات الفرنسيَّة.

2 ـ تنصيب حاكم على شرقي الأُردُن.

3 ـ تخفيض الإنفاق العسكري عن طريق تقليل القُوَّات البريطانيَّة في العراق بواسطة إقامة قواعد عسكريَّة جويَّة، هدفها المُحافظة على الأمن الدّاخلي[4].

---

(1) سُليمان مُوسى، تأسيس الإمارة الأُردُنيَّة 1921 ـ 1925، عمَّان، مطابع العُمَّال التّعاونيَّة، 1972، ص72.

(2) أنيس صايغ، الهاشميُّون والثّورة العَرَبيَّة الكُبرى، ص204، أحمد عبد الرّحيم مُصطفى، في المناهة الانكليزيَّة العَرَبيَّة قراءة في كتاب ايلي خضُّوري، "مجلَّة العَرَبي" الكُويت، العدد233، نيسان 1978، ص145؛ توفيق مُفرج، بريطانيا العُظمى والعَرَب، "المُقتطف"، المُجلَّد التّاسع والخمسون، الجُزء الثّالث، كانون الأوَّل 1921، ص269.

(3) بُوندرافسكي، المصدر السّابق، ص129.

(4) علي المحافظة، تاريخ الأُردُن المُعاصر عهد الإمارة 1921 ـ 1946، عمَّان، مطبعة الجامعة الأُردُنيَّة، 1973، ص22.

كانت القضيَّة السّياسيَّة المطروحة في هذا الاجتماع المُصادقة على تنصيب الأمير فَيْصَل على عرش العراق، وإبعاد المُنافسين له على هذا المنصب[1]. ومن الجدير بالذِّكْر؛ أنَّ فكْرة تنصيب فَيْصَل على عرش العراق لم تكن وليدة المُؤتمر، بل إنَّها سَبَقَتْ المُؤتمر بفترة ليست بالقصيرة، فكان أوَّل مَنْ فاتح الملك فَيْصَلاً بعرش العراق هُو كُورنواليس (Cornwallis) بطَلَب من اللُّورد كرزن وزير الخارجيَّة، بالرَّغم من تردُّده في هذا الموضوع، لخوفه من أنْ تعتبر فرنسا هذا العملَ غير وُدِّيٍّ بالنّسبة لها[2]، ذلك أنَّ فرنسا أبدت مُعارضة شديدة لترشيح الأمير فَيْصَل لعرش العراق، خوفاً على مصالحها وحقِّها في نفط الموصل، استناداً إلى اتِّفاق جرى بين كُلٍّ من لويد جُورج وملير ان بإعطاء فرنسا 25٪ من نفط الموصل[3]. وكان رَدُّ الأمير فَيْصَل على طَلَب كُورنواليس رَفْضَهُ هذا المُقترح، ذلك لأنَّ عرش العراق قد رُشِّح له شقيقه الأمير عبد الله[4] (116). فعُهدَ إلى لُورنس بمهمَّة تنسيق الأمر بين الأمير فَيْصَل والأمير عبد الله. فبادر إلى الاجتماع بالأمير فَيْصَل في لندن بتاريخ 16 شباط عام 1921، للغاية نفسها. وبعد لقائه بالأمير؛ بَعَثَ بتقريره إلى وزارة المُستعمرات جاء فيه: "..... و ذكرت احتمال عقد مُؤتمر في مصر بين وزير المُستعمرات من جهة، ومعاونيه البريطانيِّين من جهة ثانية، وهذا المُؤتمر سوف يبحث القضايا السّياسيَّة والتّاسيسيَّة والماليَّة في المناطق العَرَبيَّة..... إنَّ هذه القضايا جميعها تهمُّ قومه، وتهمُّ أُسرته خُصُوصاً، وأظنُّ أنَّ المُؤشِّرات الحاليَّة تُبرِّر الآمال التي تُراوده بالوُصُول إلى تسوية مُرضية لجميع الأطراف، وقد

---

(1) وهُم كُلٌّ من عبد الرّحمن النّقيب، طالب النّقيب، هادي العُمري، الشّيخ خزعل أمير المحمَّرة، ابن سُعُود أمير نجد، والي بشتكوه الإيراني، وآغاخان زعيم الطّائفة الإسماعيليَّة. انظر: عبد المجيد كامل التّكريتي، الملك فَيْصَل الأوَّل ودوره في تأسيس الدّولة العراقيَّة الحديثة1921 ـ 1933، بغداد، دار الشُّؤُون الثّقافيَّة، 1991، ص32.

(2) مجيد خدُّوري، نظام الحُكْم في العراق، ترجمة فَيْصَل نجم الدِّين الطّرقجي، بغداد، مطبعة المعارف، 1946، ص9. Ernist main, Op. Cit. P 76.

(3) E. 314, 2, pl.

(4) جاء ترشيح الأمير عبد الله ملكاً على العراق من قبَل المُؤتمر العراقي العامِّ، الذي عُقد في دمشق بتاريخ الثّامن من آذار1918. انظر: سُليمان مُوسى، الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى، وثائق وأسانيد، ص168 ـ 170، وكان الأمير عبد الله يُعلن في كُلِّ مُناسبة عن حقِّه في هذا العرش. ويقول: "إنَّ والدي طَلَبَ إليَّ أنْ أتنازل عن حقِّي، ولكنِّي لم ألبِّ طَلَبَهُ، ولم أتنازل ـ ولن أتنازل ـ عن حقِّي في عرش العراق... ...سأحتفظ بحقِّي ولو للتّاريخ. مُقتبس من: ساطع الحصري، مُذكّراتي في العراق 1921 ـ 1941، الجُزء الأوَّل، بيرُوت، دار الطّليعة، 1967، ص24.

ذكَرت قضيَّتَيْ العراق وشرقي الأُردُن.... "[1]. وبعد تردُّد من جانب الأمير فَيْصَل، قَبلَ أنْ يتولَّى عرش العراق عندما أخبره لُورنس أنَّه سيتولَّى إقناع الأمير عبد الله بالتّنازل عن حقِّه[2]. ويبدو أنَّ الأمير فَيْصَلاً كان يرغب - في قرارة نفسه - بتولِّي هذه المسؤوليَّة. فقال بهذا الخُصُوص: "... إنَّني واثق من حقِّي ومن فوز الأُمَّة في النّهاية"[3]. وقد أدَّى لُورنس دوراً في تعزيز هذا الاتِّجاه لديه؛ حيثُ أدلى بحديث للكاتبة التُّرْكيَّة خالدة أديب، جاء فيه: "..... كان فَيْصَل يعمل لتحرير أمته مُخلصاً ومُؤمناً، لقد اجتمعتُ به بعد خُرُوجه من دمشق، واحتلال الفرنسيِّيْن لها، فرأيتُ نفسي ضئيلاً أمام زميلي في الحَرْب؛ حيثُ قال لي: أ هكذا تُخلفون الوُعُود، وتنقضون العُهُود؟ لو عَرفْتُ هذه الخاتمة السَّيِّئة لقطعتُ يدي على أنْ أُطلق رصاصة الثّورة..... بعد هذا الحديث الصّريح رأيتُ نفسي ذليلاً أمام فَيْصَل، ورُحتُ أُحبِّذ له قبول عرش العراق، ليُعوِّض ما فات العَرَب من خسارة"[4].

ويبدو أنَّ السّبب الحقيقي لم يكن تعويض فَيْصَل عن خسارته، بقدر ما كانت رغبة الحُكُومة البريطانيَّة في نقل مركز الجذب العَرَبي من دمشق إلى بغداد، وتوجيه الانتباه إلى بغداد، بالقُوَّة نفسها التي يُوجِّه بها الفرنسيُّون اهتمامهم لدمشق عن طريق تنصيب حاكم عَرَبي مُوال للبريطانيِّيْن تماماً، وهي نَظَريَّة خاصَّة بلُورنس[5].

فُتح باب النّقاش في اللّجنة السّياسيَّة لمعرفة آراء الحاضرين بتنصيب فَيْصَل على عرش العراق؛ إذْ طُرحَتْ فكْرة تنصيبه من قبَل السِّر برسي كُوكس الذي أعدَّ خُطَّة بالتّعاون مع الآنسة جرترود بل، هدفها تبنِّي العراقيِّيْن لترشيح الأمير فَيْصَل، وقد أيَّد لُورنس وُجهة نَظَر السِّربرسي كُوكس، باعتبار الأمير فَيْصَل أفضل من الأمير عبد الله الذي وَصَفَهُ بأنَّه كسول

---

(1) مُقتبس من: سُليمان مُوسى، المُراسلات التّاريخيَّة، المُجلَّد الثّالث، ص19.

(2) فاروق صالح العُمر، حول سياسة بريطانيا في العراق 1914 - 1921، دراسة وثائقيَّة، بغداد، مطبعة الإرشاد، 1977، ص103.

(3) مُقتبس من: عبد المجيد التّكريتي، المصدر السّابق، ص32.

(4) مُقتبس من "جريدة الاستقلال"، العدد 2202، حُزيران 1934.

(5) P.R.O.F.O. 371. 5032, E21, Settlements between French and Fisalregards Syria

وغير مُسيطر بكُلِّ الأحوال، في حين كان العراق يحتاج إلى شخصيَّة ثوريَّة ومُسيطرة[1]، و أنَّه أفضل من باقي المُرشَّحين؛ إذْ استبعد لُورنس ترشيح ابن سُعُود لعرش العراق؛ لأنَّه سيُثير نزاعاً طائفياً هُناك، وقد أيَّده تشرشل في رأيه هذا، ويبدو أنَّ موقف لُورنس من ابن سُعُود ناتج عن اعتناق الأخير للمذهب الوهَّابي، كما يتبيَّن من تصريحه في 18 نيسان عام 1919، الذي قال فيه: "إذا تخلَّى ابن سُعُود عن الوهابيَّة وأطماعها، فستكون سياستنا ليِّنة معه، أمَّا إذا أصرَّ على الاستمرار في تبنِّي الوهَّابيَّة؛ فإنَّنا يجب أنْ نشنَّ بفرَق الجيش الهندي الإسلاميَّة حَرْباً لإنقاذ مكَّة، وَضَرْب الحَركَة الوهَّابيَّة"[2]. كما استبعد تشرشل انتخاب السَّيِّد طالب النَّقيب الذي وَصَفَهُ بأنَّه رجل سيِّئ الخُلُق، لا يُؤمن جانبه، وأمَّا عبد الرَّحمن النَّقيب؛ فقد عُدَّ رجلاً مُسنّاً وعلى حافة قبره[3]. كما استبعد ترشيح والي بشتكوه والآغاخان؛ رُبَّما لأنَّهم من غير العَرَب.

وبعد أنْ استُبعدت تلك الخيارات؛ أصبح الطَّريق مُمهَّداً لترشيح الأمير فَيْصَل لعرش العراق، فَبَعَثَ لُورنس ببرقيَّة إلى فَيْصَل يحثُّه على الذَّهاب إلى مكَّة، ويُخبره بأنَّه سيجتمع به لشَرْح الأُمُور، كما حذَّره من نَشْر أيِّ تصريح في الصُّحُف، لأيِّ سبب من الأسباب. وعندما علمت وزارة الخارجيَّة بنصِّ البرقيَّة اعترضت لدى وزارة المُستعمرات، على اعتبار أنَّ هذه البرقيَّة تُناقض التَّعهُّد الذي قدَّمته بريطانيا لفرنسا بشأن عدم تدخُّلها في ترشيح الأمير فَيْصَل لعرش العراق[4]. فكَتَبَ اللُّورد كرزن إلى تشرشل يقول: "أرجو أنْ تُدركوا أنَّ الصُّعُوبة ستكون مُضاعفة إذا اجتمع لُورنس بالأمير فَيْصَل، ورافقه حتَّى جدَّة، وهُو في طريق عودته إلى مكَّة، لينطلق منها مُرشَّحاً لعرش العراق، في الوقت الذي يعرف الجميع أنَّ لُورنس هُو من رجال وزارة المُستعمرات، وأنَّه رافق تشرشل إلى القاهرة"[5].

---

(1) P.R.O, Air5\829, First metting of the Palestine political military, March 17,1921, P. 91: Aaron S. Kliemen, Foundations of British Policy in the Arab Word: the cairo conference of 1921 , London, John Hopkins press, 1971, P. 107.

(2) مُقتبس من: زُهدي الفاتح، لُورنس في الوثائق السِّرِّيَّة، "مجلَّة الدَّارة"، الرِّياض، العدد 2، 1975، ص35.

(3) فيليب نايتلي، وكُولن سيمبسون، المصدر السَّابق، ص147.

(4) Aaron. S. Klieman, Op.Cit P.152.

(5) مُقتبس من: فيليب نايتلي، وكُولن سيمبسون، المصدر السَّابق، ص148.

وكان السِّربرسي كُوكس قد أعلن أنَّ بإمكانه ضمان انتخاب الأمير من قَبَل "مجلس تأسيسي" سيتمُّ تشكيله في العراق فيما بعد، وَوَعَدَ بأنَّه عند الضّرورة فإنَّ المجلس التّأسيسي سيكون مُستعداً للاجتماع والتّصويت خلال مُدَّة أقصاها ستَّة أسابيع من عودته إلى العراق، الأمر الذي عارضه لُورنس والآنسة جرترود بل، ولاعتقادهما بعدم جدوى اجتماع المجلس التّأسيسي؛ ذلك أنَّ الأمير فَيْصَل سوف يُستقبَل بحفاوة كبيرة في العراق[1] ولأجل ضمان مُبايعته؛ فقد اقترح لُورنس عدم تقديم أيِّ تصريح من قبَله فيما يخصُّ الانتداب، أو أيَّة عبارة تُشير إلى المُستقبل السّياسي للعراق، حتَّى قيامه بإلقاء خطاب التّتويج، وقد أكَّد أنَّه ليس من المُفضَّل أنْ يقوم الأمير فَيْصَل بحَمْلَة انتخابيَّة لشَخْصه[2]. وهكذا؛ توجَّه الأمير فَيْصَل إلى بغداد؛ حيثُ بُويع بالملك بتاريخ 2 آب عام 1921، بأغلبيَّة 96.8 ٪ من الأصوات، وكان لمجهود لُورنس الأثر الأكبر في تنصيبه على هذا العرش، تلك الحقيقة التي اعترف بها الأمير فَيْصَل فيما بعد، فقال: "..... أكتبُ لكَ الآن، وبعد أنْ أخذتُ الخبر السَّارَّ بدُخُولنا جَمْعيَّة الأمم، مُبيِّناً لكَ بأنَّ لك اليد الطُّولى في تكوين فكْرة تأسيس كيان عراقنا المحبوب، وإخراجها من القول إلى حيِّز الفعل." [3].

وفي إجابته عن سُؤال وجَّهه رئيس المجلس حول وضع كُردستان في مشروع المملكة النّاشئة، أوضح لُورنس وُجهة نَظَره التي تتمثَّل بعدم وَضْع الأكراد في ظلِّ حُكومة عَرَبيَّة، على الرّغم من أنَّه أدرك - بشكل كامل - أنَّ الأخيرة ستُحاول ترتيب وَضْع يُساعدها في السّيطرة على كُردستان، وأشار إلى اعتباره عملاً غير مرغوب فيه[4].

وكانت المسألة الثّانية التي طُرحت على بساط البَحْث هي مسألة تقليل النّفقات الحَرْبيَّة في العراق، بعد الانتقادات التي وُجِّهَتْ من قبَل البريطانيِّين لأساليب الحُكومة البريطانيَّة،

---

(1) Aaron. S.Klieman, Op. cit. P.138.

(2) P.R.O, P. o,. Air 5\829.P42.

(3) رسالة من الملك فَيْصَل إلى لُورنس مُؤرَّخة في 5 تشرين أوَّل 1932، د. : . و، ملفَّات البلاط المَلكي، ملفَّة 21997 / 311، وثيقة 3، ص3.

(4) P. R. O. Air 8\37. Fourth meeting of the Polttcal Commttee , March 15. 1921, P. 60.

بسبب ارتفاع نسَب الضّريبة التي أثقلت كاهل المُواطن البريطاني[1] ؛ حيثُ توصَّل المُؤتمرون إلى قرار يقضي ببناء قواعد عسكريَّة جويَّة هدفها مُراقبة جويَّـة غير مُباشرة للتَّحرُكات التي تقوم ضدَّ السُّلطة البريطانيَّة ، بناء على مُقترح قدَّمه لُورنس بهذا الشّأن[2] ، بل ذَهَبَ البعض إلى أبعد من هذا ، فنسبوا إليه فكْرة إقامة قاعدة الحبَّانيَّة في العراق[3] . ويُبرِّرلُورنس خُطَّته تلك بقوله : " أمَّا عن تأثير القَصْف الجوِّي ؛ فقد ظَهَرَ - أثناء الحَرْب - أنَّ قُوَّة مُختلطة من العَجَلات والطّائرات كفيلة بالسّيطرة على الصّحراء ، بشرط ألاَّ تكون تحت سيطرة الجيش البرِّي ، وبدون إسناد من المُشاة"[4] .

وما كاد المُؤتمر يُناقش مسألة شرقي الأُردُن حتَّى وَصَلَتْ أنباء بتحوُّل خطير فيها ، ذلك أنَّ الأمير عبد الله دخل عمَّان بتاريخ 12 آذار عام 1921 ، قادماً من الحجاز بهَدَف تحرير سُورية . خلافاً لرغبة بريطانيا ، التي أعلنت - قبل انعقاد المُؤتمر - مُعارضتها لتلك الخُطوة ، ليس خوفاً على الوُجُود الفرنسي في سُورية ، ولكنْ ؛ لعدم ثقتها بقُدرة الأمير عبد الله الماديَّة والعسكريَّة ، ولاقتناعها بأنَّه لا يستطيع الانتصار على فرنسا ، ممَّا يُؤدِّي إلى تشجيع الفرنسيِّين

---

(1) Robert Greves and Liddle Hart, T.E.Lawrence to his Biographers, London, Cassell, 1963, P.LLL.

وانظر كذلك : عبد السّلام خليفة الشّواورة ، العلاقات السّياسيَّة الأُردُنيَّة العراقيَّة من 1921 إلى 1958 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البُحُوث والدّراسات العَرَبيَّة ، بغداد ، ص22 - 23 ، ومثالاً على ضخامة نسبة الضّرائب المفروضة على المُواطن الإنكليزي ، فإنَّ مصاريف الاحتلال في العراق - على سبيل المثال - كلَّفتْ دافعي الضّرائب في 1919 - 1920 ، مبلغ 80 مليون جُنيه إسترليني ، ارتفع إلى 100 مليون جُنيه خلال عام 1920 ، انظر : ألبرت . . منتشاشفيلي ، العراق في سنوات الانتداب البريطاني ، ترجمة هاشم صالح التّكريتي ، بغداد ، مطبعة بغداد ، 1978 ، ص171 .

(2) بُوندرافسكي ، المصدر السّابق ، ص132 ؛

Robert Graves and Liddle Hart, OP. Cit, P. LLL

(3) جاك بيرك وآخرون ، الخطّابي وجُمْهُوريَّة الرّيف ، ترجمة صالح البشير ، بيرُوت ، دار ابن رُشْد ، 1980 ، ص44 . ومن المُفيد أنْ نذكر أنَّ تلك الخُطَّة لم تقتصر على العراق فقط ، بل أصبحت قاعدة أساسيَّة للوُجُود البريطاني في الشَّرْق الأدنى ؛ حيثُ أُنشئت قواعد مُماثلة في كُلٍّ من السُّويس ، وعَدَن ، والبحرَيْن ، وظفار . انظر : بُوندرافسكي ، المصدر السّابق ، ص130 .

(4) مُقتبس من : عبد المُنعم النّاصر ، المصدر السّابق ، ص130 .

على شنِّ هُجُوم على شرقي الأُردُن، فيتهدَّد - بذلك - الوُجُود البريطاني فيها، وفي فلسطين[1].

وبعد مُناقشة مُستفيضة، قُدِّمت ثلاثة حُلُول مُقترحة للخُرُوج من هذا الوَضْع الحرج كالآتي:

1 - تعيين الأمير عبد الله حاكماً لشرقي الأُردُن، وفيما يتعلَّق بذلك؛ ينبغي الحُصُول على مُوافقته.

2 - تعيين حاكم محلِّي بمُوافقة الأمير عبد الله، الذي سوف ينسحب بنفسه من الإقليم.

3 - إرسال حَمْلَة عسكريَّة لمُواجهة الأمير عبد الله عسكرياً[2].

وخلال المُناقشات حول تلك الحُلُول؛ استُبعد الحلُّ الثّاني والثّالث، وذلك لأنَّ بريطانيا لم تكن تمتلك القُوَّة الكافية لتنفيذ الحلِّ الثّالث، وأبدى الجنرال راداكليف **Radeklef** شُكُوكه في امكانيَّة تنفيذ هذا الحلِّ، أمَّا بخُصُوص الحلِّ الأوَّل؛ فقد جُوبه بمُعارضة قويَّة من هربرت صموئيل (**H.Samuel**) المندوب السّامي في فلسطين، وأعرَب عن قلقه من اتِّفاق بريطانيا مع الأمير عبد الله، مُتذرِّعاً بعدَّة حُجج؛ أهمّها أنَّ هذا الاتِّفاق قد يدفع الأمير عبد الله لمُهاجمة سُورية، وإخراج الفرنسيِّين منها، كما أنَّ شرقي الأُردُن - وبوُجُود الأمير عبد الله - ستكون قاعدة لأنشطة الثُّوَّار الفلسطينيِّين. فَضْلاً؛ عن أنَّ وُجُوده قد يُهدِّد المُستعمرات الصّهيونيَّة في فلسطين[3]. الأمر الذي عارضه لُورنس، وأعرَب عن ثقته أنَّه في غُضُون أربع أو خمس سنوات، وباستخدام سياسة عادلة، فإنَّ مُقاومة الصّهيونيَّة ستقلُّ، إنْ لم تنته تماماً. وكان من وُجهة نَظَره أنَّه سيكون من المُفضَّل استخدام شرقي الأُردُن كصمَّام أمان

---

(1) دزموند ستيورات. تاريخ الشَّرْق الأوسط الحديث معبد جانوس. ترجمة زُهدي جار الله، بيرُوت، دار النّهار للنّشر، 1981، ص267.

(2) P.R.O., Air 5\829, P. 100.

(3) P.R. O., 406\46. 54OS;

انظر كذلك: علي المحافظة، تاريخ الأُردُن المُعاصر، ص23.

لمُراقبة أعداء الصّهيونيَّة، بتعيين حاكم يقع على عاتقه مُواجهة الضّغط من قبَل السُّكّان المحلِّيّين، وأنَّ هذا الشّخص من المُمكن أنْ لا يكون قويّاً جداً، وليس من سُكّان شرقي الأُردُن، ولكنَّه يعتمد على الحُكُومة البريطانيَّة للمُحافظة على منصبه[1].

وهكذا تحطَّمت اعتراضات هربرت صموئيل أمام إصرار تشرشل ولُورنس على ترشيح الأمير عبد الله لعرش شرقي الأُردُن. وقرَّروا إرسال قُوَّات بريطانيَّة إلى شرقي الأُردُن لاحتلالها، واعتُبر هذا الحلُّ أفضل احتمال لتقليل الإنفاق العسكري البريطاني. كما اقترح تشرشل على رئيس الوُزراء البريطاني تعديل صكِّ الانتداب على فلسطين؛ بحيثُ يُستثنى شرقي الأُردُن من أحكام وعد بلفُور. فوافقتْ الحُكُومة البريطانيَّة على هذا الاقتراح[2].

كما أكَّد لُورنس خلال هذا الاجتماع - رداً على سُؤال وجَّهه له تشرشل - من أنَّه إذا أثبت الأمير عبد الله أنْ يكون مُوالياً لبريطانيا، ويحتفظ بعلاقات حسنة مع فرنسا في سُورية، فإنَّ احتمال تنصيبه في دمشق سيكون أقلَّ مُعارضة من جانب فرنسا[3].

ولأجل تنفيذ ما وَصَلَ إليه المُؤتمرون، من قرار بشأن شرقي الأُردُن، كَتَبَ تشرشل إلى الملك حُسَيْن عن رغبته بالاجتماع بالأمير عبد الله في القُدس. فكَتَبَ الحُسَيْن إلى الأمير عبد الله يُخبره برغبة تشرشل، وأمره بإجابة الدّعوة في حالة توجيهها إليه[4].

غادر الأمير عبد الله عمَّان مُتوجِّهاً إلى القُدس، بعد أنْ تلقَّى دعوة المندوب السّامي البريطاني فيها، يصحبُهُ وفدٌ ضمَّ كُلاً من رشيد طليع، وعوني عبد الهادي، وأحمد مريود، وأمين التّميمي، وغالب الشّعلان. وعند وُصُولهم منطقة السَّلْط، قضوا ليلتهم فيها، وكان في استقبالهم لُورنس والكابتن سالموند(Salmond)، وفي اللّيلة نفسها؛ دار حديث بين لُورنس والأمير عبد الله عن هدف هذه الزّيارة، فأخبره لُورنس أنَّ هدفها هُو مُساعدة بريطانيا

---

(1) P. R. O., \5\829, P. 98.

(2) Ibid., P. 99.

(3) "جريدة القبلة" العدد47، 28 آذار 1921.

(4) المصدر نفسه.

في تنصيب الأمير فَيْصَل على العراق، وَطَلَبَ منه البقاء في شرقي الأُردُن، والعمل على إحباط حركات العصابات، وأكَّد له أنَّه بعد ستَّة أشهر سيظفر بعرش سُورية[1].

وفي صباح يوم 28 آذار عام 1921، التقى الأمير عبد الله تشرشل؛ حيثُ عقدا اجتماعَيْن في دار المندوب السّامي في جبل الزّيتون، وحضر لُورنس هذَيْن الاجتماعَيْن، مع العديد من الشّخصيَّات البريطانيَّة والعَرَبيَّة، وتمَّ خلالهما الاتِّفاق على:

1 ـ أنْ تُؤسَّس في شرقي الأُردُن حُكُومة وطنيَّة يرأسها الأمير عبد الله.

2 ـ أنْ تكون هذه الحُكُومة مُستقلَّة استقلالاً إدارياً تاماً.

3 ـ مُساعدة هذه الحُكُومة، بتزويدها بالنّفقات، لإعانتها على حفْظ الأمن.

4 ـ تعهَّد عبد الله بصدِّ الغارات البدويَّة على حُدُود سُورية وفلسطين.

5 ـ تعيين مندوب سامي في عمَّان هدفه تقديم النّصح والمشورة للحُكُومة.

6 ـ وَضْع فترة تجريبيَّة أمدّها ستَّة أشهر لبيان نجاح هذه التّجربة من عدمه.

7 ـ تعهَّد الأمير بالمُحافظة على المطارات في عمَّان والكَرَك[2].

وفي هذا الاجتماع؛ طَلَبَ الأمير عبد الله من تشرشل التَّوسُّط لتحسين العلاقات بينه وبين السُّلطة الفرنسيَّة في سُورية[3].

وبعد أنْ أقرَّ المُؤتمر ترشيح الأمير فَيْصَل لعرش العراق، والأمير عبد الله لعرش شرقي الأُردُن، لم يبقَ عليه إلاَّ ترضية ابن سُعُود الذي كان أحد المُرشَّحين لعرش العراق، ولكنَّه لم يستطع الظَّفَر به، وكان اقتراح لُورنس في هذه المسألة هُو أنَّ بريطانيا ـ في هذا الوقت ـ بحاجة

---

(1) P.R.O., F. O. 604\46, 54OS.

عبد الله بن الحُسَيْن، الأمالي السّياسيَّة، ص23 ـ 24، قدري قلعجي، المصدر السّابق، ص420، خير الدِّين الزّركلي، عامان في عمَّان، القاهرة، المطبعة العَرَبيَّة، 1925، ص49، مُحَمَّد أمين الحُسَيْني، حقائق عن قضيَّة فلسطين.

(2) القاهرة، دار الكاتب العَرَبي، 1957، ص274:

John Bagot Clubb, OP. cit., P, 165.

أحمود حرب بشير اللّصاصمة، الحياة النّيابيَّة في المملكة الأُردُنيَّة الهاشميَّة 1929 ـ 1976، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، معهد البُحُوث والدّراسات العَرَبيَّة، 1987، ص7.

(3) تيسير ظبيان، الملك عبد الله كما عَرَفْتُهُ، عمَّان، المطبعة الوطنيَّة، 1967.

إلى قبائل شُمَّر التي كانت في حرب مع ابن سُعُود، وبدَفْع من بريطانيا، للامتناع عن مُهاجمة الملك حُسَيْن، يُضاف إلى ذلك رغبة بريطانيا في صداقة شُمَّر لحماية الطّريق البرِّيِّ التي كانت تنوي إنشاءه بين العراق وفلسطين، لمُرُوره في منطقة الجوف، التي يُسيطر عليها ابن الرّشيد. لذلك؛ اقترح لُورنس مَنْحَ ابن سُعُود معونة ماليَّة قدرها (100.000) جُنيه إسترليني، تُدفع له كُلَّ شهر، مُقابل التزامه بعدم مُهاجمة قبائل شُمَّر والملك حُسَيْن[1].

كما قرَّر المُؤتمر مَنْحَ الملك حُسَيْن معونة ماليَّة قدرها (100000) ألف جُنيه إسترليني شهرياً، لتنظيم الدّولة، مُقابل مُوافقته على مبدأ الانتداب على الأقطار العَرَبيَّة[2].

و قد صَرَّحَ لُورنس عن النّتائج التي توصَّل إليها المُؤتمر، بقوله: إنَّ تشرشل قد حقَّق ـ بتلك الإجراءات ـ نصَّ الوُعُود والعُهُود التي أُعطيَتْ للعَرَب، بل إنَّه مَنَحَهُم أكثر ممَّا خَطَّطَتْ له الحُكُومة البريطانيَّة، لذا؛ فإنَّ بريطانيا خَرَجَتْ من القضيَّة العَرَبيَّة وهي نظيفة اليدَيْن[3].

إنَّ موقف لُورنس هذا يختلف تماماً عمَّا صَرَّحَ به في بداية المُؤتمر، فقد كان مُتشائماً، وأعرَب عن ندمه عند المجيء إلى القاهرة لحُضُور المُؤتمر[4].

ومن هُنا؛ يتضح أنَّ لُورنس استطاع إقناع الحُكُومة البريطانيَّة بجدوى مُقترحاته، وَحَمَلَهَا على تنفيذها، على الرّغم من مُعارضة بعض الشّخصيَّات التي حَضَرَتْ المُؤتمر. وكان هدفه من وراء ذلك كُلِّه تحقيق حُلمه الذي طالما سعى إليه، وهُو تجزئة المشرق العَرَبي إلى عدَّة دُويلات صغيرة، والعمل على عدم تمكينها من الوحدة.

ـ دور لُورنس في مُفاوضات المُعاهدة البريطانيَّة الحجازيَّة:

بعد أنْ أنهى مُؤتمر القاهرة أعماله، انصرفت الحُكُومة البريطانيَّة لوَضْع مُسوّدة المُعاهدة التي تنوي توقيعها مع الملك حُسَيْن، لإقرار ما توصَّل إليه مُؤتمر القاهرة، ولكي يتمَّ من

---

(1) P.R.O, Air 8\37, Fiveth metting of the political Committee, March, 16, 1921, P. 187;
وانظر كذلك: فيليب نايتلي، وكُولن سيمبسون، المصدر السّابق، ص151.

(2) فيليب نايتلي، وكُولن سيمبسون، المصدر السّابق، ص152.

(3) أنيس صايغ، الهاشميُّون والثّورة العَرَبيَّة، ص85، "جريدة الأيّام"، بغداد، العدد 206، 18 كانون الأوّل، 1962.

(4) عبد الرّحمن الشّهبندر، لُورنس في الميزان، المُقتطف"، مُجلّد78، الجُزء السّادس، حُزيران 1931، ص662.

خلالها الإيفاء بتعهُّدات بريطانيا للعَرَب إبَّان فترة الحَرْب. ؛ إذْ قامت وزارة الخارجيَّة بإرسال مُسوّدة المُعاهدة إلى وزارة المُستعمرات، مع رسالة تفويض إلى لُورنس، تُخوِّله ببَذْل أقصى الجُهُود في سبيل إقناع الملك حُسَيْن بتوقيعها، والتّصريح المُرفق بها[1].

ويحتوي هذا التّصريح اعترافاً باسم الملك حُسَيْن بالسّياسة الانتدابيَّة التي تنتهجها بريطانيا في المنطقة[2].

توجَّه لُورنس إلى جدَّة في تمُّوز عام 1921، مُحمَّلاً بمُسوّدة المُعاهدة مع السُّلطات الاستثنائيَّة التي مَنَحَهَا اللُّورد كرزن، للتّفاوض مع الملك حُسَيْن[3] ومن المُحتمل أنْ تكون الثّقة التي يُوليها العَرَب للُورنس أحد العوامل التي دَفَعَتْ الحُكُومة البريطانيَّة لإسناد هذه المهمَّة إليه، فَضْلاً عن أنَّه يعرف كيفيَّة التّعامل مع شخص مثل الملك حُسَيْن[4].

وَصَلَ لُورنس إلى جدَّة في تمُّوز عام 1921، برفقة جبرائيل حدَّاد باشا، وكان في استقباله الملك حُسَيْن مع ولدَيْه الأميرَيْن عليّ وزيد، ووكيل وزارة الخارجيَّة فُؤاد الخطيب، وعدد من رجال الحاشية، ورُتِّب عقد اجتماع في اليوم التّالي 30 تمُّوز عام 1921، وفي هذا الاجتماع؛ استهلَّ لُورنس حديثه قائلاً: إنَّ هُناك دَيْناً يُراد تسديده، ولكنْ؛ لا يتسنَّى لنا تسديده دفعة واحدة؛ حيثُ يُدفَع منه ـ الآن ـ قسط غير قليل، على أنْ يتمَّ تسديد الباقي في المُستقبل، ثُمَّ عَرَضَ على الملك طبيعة مهمَّته، وقدَّم إليه مشروع المُعاهدة المُقترحة، والتّصريح المُرفق بها. فَرَحَّبَ به الملك حُسَيْن، مُبدياً استعداده للبَحْث والمُناقشة[5].

---

(1) Richard Graves, Op. Cit., P. 93; Elizabeth Moneroe, OP. cit., P. 116; Randall Baker, OP. cit., P. R166-167; H. ST, J.B. Philby, London, Ernest Benn Limited, 1930, P. 308.

(2) طالب مُحَمَّد وهيم، مملكة الحجاز 1916 ـ 1925، دراسة الأوضاع السّياسيَّة، جامعة البَصْرَة، مركز دراسات الخليج العَرَبي، 1982، ص190.

(3) سُليمان مُوسى، صفحات مطويَّة مُفاوضات المُعاهدة بين الشّريف حُسَيْن وبريطانيا 1921 ـ 1924، عمَّان، وزارة الثّقافة والشّباب، 1977، وص64 ـ 65.

(4) للاطّلاع على ما تحتويه هذه المُذكّرة؛ راجع: طالب مُحَمَّد وهيم، المصدر السّابق ص191 ـ 192.

(5) سُليمان مُوسى، الشّريف حُسَيْن بن عليّ والثّورة العَرَبيَّة الكُبرى، ص165؛ سُليمان مُوسى، صفحات مطويَّة. . . . . ، ص68؛ أمين سعيد، المصدر السّابق، ص333.

ولأجل تمهيد طريق المُفاوضات؛ كَتَبَ لُورنس إلى وزارة الخارجيَّة يسأل عن اليخت الذي كانت الحُكُومة البريطانيَّة تنوي إهداءه إلى الملك حُسَيْن في حالة توقيعه المُعاهدة[1].

عُقِدَتْ عدَّة جولات من المُفاوضات بين لُورنس والملك حُسَيْن، وكان الملك في جميع هذه اللّقاءات مُراوغاً وعنيداً؛ يُظهر الصّداقة لبريطانيا، ولكنَّه لم يُشر إلى مُسوّدة المُعاهدة، إلى الدّرجة التي جَعَلَتْ لُورنس يصفه بأنَّه طمَّاع وغبي، رغم صداقته لبريطانيا، ذلك أنَّه أبدى رغبته بالعراق، ولكنَّه تخلَّى عن هذه الفكْرة بعد ما بَيَّنَ له لُورنس النّتائج الوخيمة المُترتِّبة على هذا العمل. ويعزو لُورنس سبب مُعارضة الملك حُسَيْن في هذه اللّقاءات إلى حاشيته التي وَصَفَهَا بأنَّها مُعادية لبريطانيا، واستثنى منها فُؤاد الخطيب، والأمير زيداً[2].

واصل لُورنس الضّغط على الملك حُسَيْن، على الرّغم من مُعارضته الشّديدة، من أجل حَمْله على التّوقيع، ولكنَّه لم يَلنْ أمام إصرار لُورنس. ونتيجة لإصرار لُورنس؛ اجتمع به الأمير زيد، وقدَّم إليه مُسوّدة مُعاهدة جديدة مُشابهة قائمة على أساس مشروع المُعاهدة البريطانيَّة[3]. واعتقد لُورنس أنَّ استعمال العقل مع الملك حُسَيْن يُعَدُّ مضيعة للوقت، نتيجة الغُرُور الذي يُسيطر على تفكيره، حتَّى عد نفسه على درجة عالية من الكفاية والحكْمَة تفوق ما لدى الآخرين، ولكنَّه - من جانب آخر - اعترض على استعمال القُوَّة معه، لاعتقاده أنَّ في حالة إيذائه كثيراً فسوف يعتكف في جدَّة، ولا يُمكن لبريطانيا الحُصُول منه على أيِّ شيء[4].

استُؤنفت المُفاوضات للمرَّة الثّالثة، ولكنَّها لم تُحرز تقدُّماً يُذكَر؛ إذْ أصرَّ الملك حُسَيْن على موقفه الرّافض للمُعاهدة، وَطَرَحَ مُسوّدة مُعاهدة بديلة، وَصَفَهَا لُورنس بأنَّها "ثرثرة"؛ لأنَّه أعرَب عن اعتقاده في أنَّ الجولة القادمة ستشهد تجاوباً من قِبَله[5]. وكَتَبَ قائلاً: ". . إنَّ الملك يتحوَّل تدريجيّاً نحو وُجهة نَظَرنا، وقد يحدث ذلك خلال فترة من الزّمن"[6].

---

(1) سُليمان مُوسى، صفحات مطويَّة، . . . . . ، ص68.

(2) Malcolm Brawn, OP. cit., P. 188.

(3) Ibid, P. 189.

(4) Ibid.

(5) طالب مُحَمَّد وهيم، المصدر السّابق، 192 - 193.

(6) Malcolm Brawn, OP. cit,. P. 189.

كان اعتقاد لُورنس في محلِّه ؛ إذْ وافق الملك حُسَيْن على بُنُود المُعاهدة ، بعد استئناف المُفاوضات مُجدَّداً ، باستثناء المادَّتَيْن (1و3) ، كما رَفَضَ المادَّة (14) المُتعلِّقة بقضايا المُحاكمات بين الطَّرَفَيْن ، واقترح - بدلاً عنها - حُضُور مُمثِّل واحد من طَرَف القُنْصُليَّة البريطانيَّة في المُحاكمات التي يكون أحد حاملي الجنسيَّة البريطانيَّة طَرَفاً فيها ، كما رَفَضَ المادَّة (15) المُتعلِّقة بفَرْض الانتداب على بعض الأقطار العَرَبيَّة ، واقترح - بدلاً عنها - استخدام كلمة الوصاية أو المشورة والمُساعدة ، كما اقترح تحديد فترة المُعاهدة ، كأنْ تكون سبع سنوات مثلاً[1] .

ولأجل تحفيز الملك حُسَيْن على موقفه هذا ؛ وافق لُورنس أنْ يمنح الملك - على مسؤوليَّته الخاصَّة - إعانة ماليَّة قدرها(80000) ألف جُنيه إسترليني ، والتي تقبَّلها فوراً ؛ لأنَّه كان يُعاني من ضائقة ماليَّة ، بسبب نَضْب موارد الحج[2] .

أبرق لُورنس بالتَّطوُّرات الجديدة إلى حُكُومته ، مع شُرُوط الملك حُسَيْن وتعديلاته على مُسوّدة المُعاهدة ، كما أخبرهم أنَّه مَنَحَهُ إعانة ماليَّة ، وعلى مسؤوليَّته الخاصَّة ، فَرَدَّ كرزن ببرقيَّة مُماثلة ، مُعلناً مُوافقته على تصرُّف لُورنس بمَنْحه الإعانة الماليَّة ، كما وافق على حذف المادَّتَيْن (1و3) ، ذلك أنَّ المادَّة (4) تُعوِّض عنهما ، كما قدَّم كرزن بعض الاقتراحات المُتعلِّقة بالمادَّة (14) ، وأبدل مضمون المادَّة (15)[3] إلى الصّيغة الآتية : " إنَّ صاحب الجلالة الملك حُسَيْن يُقرُّ هُنا بالمركز الخاصّ لصاحب الجلالة البريطاني فيما يتعلَّق ببلاد ما بين النّهرَيْن وفلسطين ، وبما يتوافق مع ميثاق عصبة الأُمم ، وتعهَّد بأنَّه في مثل هذه الأُمُور التي تتعلَّق بهذه البُلدان ، والتي تدخل ضمن نُفُوذه ، فسيبذل كُلَّ ما بوُسعه لمُساعدة صاحب الجلالة البريطاني "[4] .

اعترض لُورنس على تعديل اللُّورد كرزن المادَّة (15) ، واعتبر عبارة (المركز الخاصّ) و (بمُوجب ميثاق عصبة الأُمم) ، عبارة غامضة ؛ إذْ يُمكن تفسير المادَّة (15) طبقاً للميثاق

---

(1) سُليمان مُوسى ، صفحات مطويَّة . . . . . ، ص70 ، وللاطّلاع على بُنُود مُسوّدة المُعاهدة ؛ راجع : طالب مُحَمَّد وهيم ، المصدر السّابق ، ص421 - 426 ، المُلحق رَقْم (2) .

(2) طالب مُحَمَّد وهيم ، المصدر السّابق ، ص193 .

(3) سُليمان مُوسى ، صفحات مطويَّة . . . . . ، ص70 .

Aaron. S. Kleman, OP. cit., P. 223.

(4) طالب مُحَمَّد وهيم ، المصدر السّابق ، ص194 .

ولكنْ؛ لا يُمكن إسنادها إليه، واقترح تغيير عبارة (المُساعدة) من الميثاق، كما أكَّد لُورنس أنَّ من المُتعذَّر عليه في هذه المرحلة الحُصُول على مُوافقة الملك حُسَيْن على السّياسة الفرنسيَّة في سُورية، نتيجة العلاقات المُتردِّية بينهما[1].

وبينما كان لُورنس وكرزن مُنصرفَيْن تماماً لمُشاوراتهما بشأن تعديلات مُسوّدة المُعاهدة نسيا ـ أو تناسيا ـ أنَّ الملك حُسَيْن مُتذبذب في رأيه، ومن شأنه أنْ يُغيِّر رأيه في أيَّة لحظة، وخُصُوصاً أنَّه أخذ يشكُّ في النّوايا البريطانيَّة، ويبدو أنَّه صَرَّحَ في ذلك إلى ابنه الأمير فَيْصَل؛ الذي رَدَّ عليه يُطمئنه بمقاصد لُورنس في عقد المُعاهدة، مستنداً في ذلك إلى "الإخلاص" الذي برهن عليه لُورنس نحو القضيَّة العَرَبيَّة! كما طَلَبَ منه تأجيل بعض المطالب إلى أنْ يحين الوقت لتحقيقها، خوفاً من فقدان لُورنس، الذي عَدَّهُ فَيْصَل "أكبر صديق وأعظم عضد للقضيَّة العَرَبيَّة"[2]. وبالفعل؛ وبعد عودة لُورنس من عَدَن، واستئناف المُفاوضات في 6 أيلول عام 1921[3]، اقترح الملك حُسَيْن مطالب جديدة هي:

1 ـ عودة بدو الجزيرة كافَّة إلى حُدُود ما قبل الحَرْب، باستثناء مملكته.

2 ـ مَنْحه جميع المناطق التي كانت مُحتلَّة من قبَل دُول الجزيرة إبَّان الحَرْب.

3 ـ حقّه في تعيين القُضاة والمُفتين في الجزيرة والعراق وفلسطين[4].

4 ـ الاعتراف بسيادته على حُكَّام العَرَب كافَّة في كُلِّ مكان.

5 ـ أمَّا القضيَّة السُّوريَّة؛ فأشار إلى إمكانيَّة بَحْثها مع فرنسا على حدة[5].

---

(1) المصدر نفسه، ص194.

(2) رسالة من الملك فَيْصَل الأوَّل إلى الملك حُسَيْن بتاريخ 10 آب 1921، د.ك. و ملفَّات البلاط المَلَكي، الملفَّة رَقْم2247 / 311، وثيقة 9، ص10.

(3) تُشير جميع المصادر إلى زيارة لُورنس إلى عَدَن، ولكنَّها لا تُشير إلى تفاصيل هذه الزّيارة، ولا تتوفَّر لدينا معلومات مُوثَّقة عن غاية هذه الزّيارة. ومهما يكن أمرها، فلابُدَّ أنَّها جاءت لتثبيت النُّفُوذ البريطاني في المنطقة.

(4) Malcolm Brawn, OP. cit., 190, Aaron S.cleman, OP. cit., P. 223.

(5) طالب مُحَمَّد وهيم، المصدر السّابق، ص 195.

كان من شأن المطالب الجديدة للملك إثارة لُورنس، فَرَدَّ عليه رَدّاً جَعَلَهُ يُفكِّر بالانتحار، فما كان من لُورنس إلاَّ أنْ قال له: إنَّ الحُكُومة البريطانيَّة لن تتنازل عن عقد المُعاهدة، وأنَّها سوف تستأنف المُفاوضات مع ابنه الأمير عليّ. فغادر الملك حُسَيْن المكان غاضباً. واتَّفق بعدها على تشكيل لجنة مُؤلَّفة من الأمير زيد، وحدَّاد باشا، وفُؤاد الخطيب لاستئناف المُفاوضات، ذلك أنَّ الملك فَقَدَ الكثير من سُلطته كما أشار لُورنس، وكان لُورنس مُتفائلاً من سَيْر المُفاوضات مع هذه اللّجنة[1].

وعلى أيَّة حال؛ استُؤنفت المُفاوضات مع الأمير عليّ يوم 17 أيلول عام 1921، وقد تناولت العديد من القضايا ذات الاهتمام المُشترك بين الجانبَيْن، ومن بينها العلاقات مع نجد؛ حيثُ أكَّد الأمير على تَبَعيَّة بعض المناطق الكائنة على الحُدُود كرانية وخرمة وترية وبيشة للحُكُومة الحجازيَّة، وفي هذه النُّقطة؛ وافق لُورنس على مُفاتحة وزارتَيْ الخارجيَّة والمُستعمرات، وَوَعَدَهُ بامكانيَّة إعادتها إلى الحجاز في حالة تسليم عبد العزيز بن سُعُود بحُجج الحُكُومة الحجازيَّة. أمَّا فيما يخصُّ القضيَّة اليمنيَّة؛ فقد وافق الأمير عليّ على تحديد الحُدُود بين القُطرَيْن، بشرط أنْ تُنهى مسألة الحُدُود مع نجد[2]، كما تمَّ التَّطرُّق - في هذا الاجتماع - إلى قضيَّة فلسطين؛ حيثُ اقترح لُورنس تأجيل النَّظَر فيها لحين انتهاء المُفاوضات التي يُجريها الوفد الفلسطيني مع الحُكُومة البريطانيَّة[3].

أمَّا فيما يخصُّ مسألة الوحدة؛ فقد أظهر لُورنس ترحيبه وحُكُومته بمثل هذه الخُطوة، على أنْ تعتمد على رغبات السُّكَّان[4]. ويبدو أنَّ لُورنس لم يكن جاداً في موقفه هذا، بل كان هدفه - من إعلان تلك الرَّغبة - تمشية أُمُور المُفاوضات، وبعد ذلك يكون لكُلٍّ حادث حديث.

---

(1) Malcolm Brawn, OP. cit., 190; Aaron S. cleman, OP. cit., P. 223.

(2) طالب مُحَمَّد وهيم، المصدر السّابق، ص 196، حافظ وهبة، جزيرة العَرَب في القرن العشرين، القاهرة، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، 1935، ص 218.

(3) عبد الله بن الحُسَيْن، الأمالي السّياسيَّة، ص 84.

(4) طالب مُحَمَّد وهيم، المصدر السّابق، ص197.

وعند بحث مسألة المُعاهدة، اقترح الأمير عليّ إجراء بعض التّعديلات على بعض بُنُودها، التي رَفَعَهَا لُورنس - بدوره - إلى وزارة الخارجيَّة. وبعد مُشاورات عديدة مع وزارة الخارجيَّة - عن طريق الرّسائل المُتبادلة - وافقت وزارة الخارجيَّة على تعديل العبارات التي لا تجد فيها ضَرَرَاً بمصالحها، لكنَّها لم تُوافق على تعديل البُنُود التي تُشَكِّل تهديداً لمصالحها ونُفُوذها في المنطقة[1].

وبعد المزيد من المُحادثات أعلن الملك حُسين مُوافقته على تصديق مُعاهدة فرساي بشرط: "أنْ يحترم استقلال العرب"، فأبرق لُورنس إلى كرزن في 16 أيلول عام 1921، بهذا التَّطوُّر الجديد، وأخبره أنَّ الملك حُسين وَضَعَ هذا الشّرط دُون علمه، وَطَلَبَ منه أنْ يُعلمه هل أنَّ هذا الشّرط يُبطل مفعول المُصادقة، فأجابه كرزن في برقيَّته المُؤرَّخة في 19 أيلول: أنَّ شرط الملك يُلغي مفعول المُصادقة، وأنَّه - أيْ الملك - لا يحقُّ له وضع أيَّة شُرُوط على مُعاهدة وقَّعتْها أطراف مُتعدِّدة، وقال: إنَّ الحُكُومة الفرنسيَّة سترفض الشّرط، وأوصى لُورنس ببذل جُهُوده لإقناع الملك بسَحْب هذا الشّرط.

ولكنَّ المُفاوضات ازدادت تعقيداً، وعندما بَعَثَ وزير خارجيَّة حُكُومة الحجاز برقيَّة إلى القُنْصُل البريطاني في جدَّة بتاريخ 21 أيلول عام 1921، جاء فيها أنَّ الملك حُسَيْن لا يُمكن أنْ يُوقِّع المُعاهدة، إلاَّ بعد أنْ تُوافق بريطانيا على المحاور الأساسيَّة للنّهضة العَرَبيَّة[2].

وبتاريخ 22 أيلول عام 1921، أبرق لُورنس إلى اللُّورد كرزن يُخبره أنَّ الملك وافق على التّوقيع على كُلِّ فقرة من فقرات المُعاهدة، وأعلن على رُؤُوس الأشهاد أنَّه سيُوقعها عمَّا قريب. ولكنْ؛ عندما قدَّم إليه الأمير عليّ مُسوّدة المُعاهدة صَرَخَ في وجهه، وَضَرَبَهُ، وأرسل شُرُوطاً جديدة كأساس للتّفاوض. ونكاية بالملك؛ قرَّر لُورنس سَحْبَ الإعانة الماليَّة التي مَنَحَهَا له[3]، ممَّا كان له أثره في تضييق الخناق على الملك حُسَيْن؛ لأنَّه كان يُعاني من ضائقة ماليَّة.

---

(1) للاطِّلاع على التّعديلات التي اقترحها الأمير علي؛ راجع: سُليمان مُوسى، صفحات مطويَّة. . . ، ص72 - 77.

(2) المصدر نفسه، ص87 - 79.

(3) Malcolm Brawn, OP. cit., P. 190.

ويبدو أنَّ واحداً من أهمِّ أسباب رَفْض الحُسَيْن التّوقيع على المُعاهدة أنَّها لم تنصّ على استقلال فلسطين، ودُخُولها في الوحدة العَرَبيَّة، وهذا ما احتجَّ به أمام لُورنس، فاعتذر لُورنس عن تلبية هذا الطَّلَب، وممَّا قاله للملك حُسَيْن: إنَّ فلسطين لا تُريدكم. فأجابه الملك: "هذا لا يهمُّنا، فأنا ما أطالب به لنفسي، ولا لأولادي، وكُلُّ ما نطلبه هُو أنْ تفي بريطانيا بوُعُودها للعَرَب، وإذا فَعَلت هذا، فأنا وأولادي نُهاجر من بلاد العَرَب إذا لزم الأمر"[1]. وبالمُقابل؛ ورَدّاً على طَلَب الملك حُسَيْن، اقترح لُورنس إضافة مادَّة جديدة على مشروع المُعاهدة تنصُّ على احترام جميع العُهُود والوُعُود، ولكنَّ الملك رَفَضَ ذلك، وأصرَّ على تنفيذ الوُعُود بمجموعها، على أنْ يكون النَّظَر بمُشكلة سُورية مُستقلاً[2].

لم يكن أحد من حاشية الملك يُشاركه موقفه الرّافض للمُعاهدة، بل كانوا يُؤيِّدون توقيعها بمَنْ فيهم الأمير فَيْصَل[3]، وزوجة الملك. وعلى الرّغم من إلحاحهم الشّديد؛ فإنَّ الملك حُسَيْن ازداد إصراراً على رَفْض المُعاهدة، واعتزل في منزله لا يُكلِّم أحداً، ولا يُخاطب أحداً. وبعد أنْ أُسقط في يده، اتَّفق لُورنس مع حاشية الملك على أنْ يذهب إلى عمَّان، ويجتمع بالأمير عبد الله، ويُوقِّع المشروع، الذي خَوَّلَهُ والده التّوقيع عليه، ومن ثمَّ؛ يُرسله إلى الملك لغَرَض المُصادقة عليه.

وكان هربرت صموئيل، المندوب السّامي في فلسطين، قد أخبر الأمير عبد الله بأنَّ لُورنس سوف يتوجَّه إلى عمَّان برفقة حدَّاد باشا، ومعه مشروع المُعاهدة المُقترَحَة[4] يطلب منه توقيعها بالنّيابة عن والده، الذي فَوَّضَهُ بالتّباحث بشأنها مع الحُكُومة البريطانيَّة[5]، وبتاريخ 9 كانون الأوَّل 1921، وَقَّعَ الأمير عبد الله على نصِّ المُعاهدة الجديدة، بعد أنْ اتَّفق

---

(1) مُقتبس من: أمين سعيد، المصدر السّابق، ص334 ـ 335.

(2) سُليمان مُوسى، صفحات مطويَّة.....، ص80.

(3) انظر في رسالة الملك فَيْصَل الأوَّل والمُؤرَّخة في 6 تشرين الأوَّل عام 1921، في: أمين المُميِّز، رسائل من الملك فَيْصَل إلى لُورنس، "مجلَّة آفاق عَرَبيَّة"، العدد7، آذار 1979، ص17؛ وانظر كذلك: رسالة الملك فَيْصَل إلى والده والمُؤرَّخة في 10 آب 1921، في: سُليمان مُوسى، المُراسلات التّاريخيَّة، المُجلَّد الثّالث، ص227.

(4) عبد الله بن الحُسَيْن، الأمالي السّياسيَّة، ص26.

(5) طالب مُحَمَّد وهيم، المصدر السّابق، ص203.

الجانبان على إضافة بعض التّعديلات على نصّها. واستحصلت مُوافقة وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة حول تلك التّعديلات[1].

و في كانون الأوَّل عام 1922، توجَّه لُورنس إلى جدَّة للحُصُول على مُصادقة الملك حُسَيْن على المُعاهدة التي وَقَّعَهَا الأمير عبد الله نيابة عنه[2]. ولم يكن الملك حُسَيْن ميَّالاً إلى تلك التّعديلات، بل عَدَّهَا أمراً تافهاً، ولكنَّ شجاعته لم تُسعفه في رَفْضها نهائيّاً؛ لأنَّه كان يُعاني من مُشكلات ماديَّة، وهُو بحاجة إلى خدمات بريطانيا. فاقترحت عليه الحُكُومة البريطانيَّة إرسال ولده الأمير عبد الله إلى لندن، للتّباحث بشأن المُعاهدة، ولكنْ؛ لم يحصل أيُّ تقدُّم بشأن توقيعها[3].

وهكذا؛ لم تُجْد الوسائل التي اتَّبعها لُورنس لحَمْل الملك حُسَيْن على توقيع المُعاهدة المُقترحة. ونتيجة لذلك؛ تراجع الاتِّجاه الذي ساانده لُورنس بدَعْم من وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة أمام الاتِّجاه الذي سانَدَتْهُ وزارة الهند، وأقصد بذلك الاتِّجاه المُؤيِّد لابن سُعُود، يتَّضح ذلك جليّاً من خلال إعطاء الحُكُومة البريطانيَّة الضّوء الأخضر لابن سُعُود للاستعداد لمُهاجمة الملك حُسَيْن في مُلْكه.

ـ لُورنس مندوباً سامياً في شرقي الأُردُن:

سَبَقَتْ الإشارة إلى أنَّ مُؤتمر القُدس صادق على إنشاء حُكُومة عَرَبيَّة في شرقي الأُردُن برئاسة الملك عبد الله، ومُنذُ ذلك الحين؛ توجَّه الأمير عبد الله إلى شرقي الأُردُن، لتنظيم دولته الجديدة، ولكنَّ طريقه لم يكن مفروشاً بالزُّهُور إطلاقاً. فقد واجَهَتْهُ مصاعب جمَّة تُحبط ـ أو على الأقلِّ ـ تُعيق هذا العمل. ومن جُملة هذه المصاعب أنَّ شرقي الأُردُن منطقة لم تتعرَّف على أيِّ نوع من أنواع النّظام، بل كانت ساحة لتنازع القبائل البدويَّة فيها، ولكنَّ المصاعب الماليَّة كانت تحتلُّ مركز الصّدارة في التّأثير على سَيْر الإدارة في شرقي الأُردُن.

---

(1) حافظ وهبة المصدر السّابق، ص219.

(2) H.St.John Philby, Forty Years in the Wiledrness, London, Rebort Hale Limited, 1975, PP. 107-108.

(3) حافظ وهبة، المصدر السّابق، ص219.

فعلى سبيل المثال؛ كانت تُرافق الأمير عبد الله قُوَّة مُؤلَّفة من 500 شخص، يعتمدون في كافَّة أُمُورهم المعيشيَّة عليه، كما أنَّه كان مُرتبطاً ببعض الالتزامات الاجتماعيَّة؛ إذْ يُقدَّر عدد الوافدين إليه بين (200 ـ 300) ضيف يومياً، وكُلُّ هؤلاء يحتاجون إلى أموال طائلة، لم يكن الأمير عبد الله ـ بأيِّ حال من الأحوال ـ قادراً على الإيفاء بها[1].

شَكَّلَ الأميرُ عبدُ الله الحُكُومةَ الأُولى في 11 نيسان عام 1921، وعَيَّنَ رشيد طليع رئيساً لمجلس المُشاورين، وكان مُعظم أعضاء الحُكُومة من حزب الاستقلال السُّوري[2]. وبعد تأليف الحُكُومة زار السِّر هربرت صموئيل، المندوب السّامي البريطاني في فلسطين والأُردُن، بصُحبة وفد مُكوَّن من السِّر ويدهام ديدس، واللُّورد أدوارد هاري، والكُولُونيل لُورنس، للمُساهمة في تنظيم الإدارة الجديدة؛ حيثُ عَيَّنَ سبعة من المُستشارين الإنكليز، لتقديم النُّصْح والمشورة إلى الأمير عبد الله من أجل تنظيم الإدارة والدِّفاع، كما عَيَّنَ جُوليُوس أبرامسن(J.Abramsin) مندوباً سامياً، ورئيساً للمُستشارين البريطانيِّين[3].

وبعد عودة السِّر هربرت صموئيل إلى القُدس؛ كَتَبَ إلى وزير المُستعمرات ـ برغبة من الأمير عبد الله ـ بسَحْب الطّائرات من شرقي الأُردُن، واقترحوا ـ بدلاً عنها ـ إنشاء قُوَّة مُؤلَّفة من أربعة آلاف رجل، يعتمدون في نفقاتهم على الحُكُومة البريطانيَّة، ولكنَّ لُورنس وهربرت صموئيل رَفَعَا التّوصية الآتية:

1 ـ تخويل الأمير عبد الله إنشاء قُوَّة مُؤلَّفة من 750 رجلاً.

2 ـ وَضْع أربع سيَّارات مُصفَّحة في عمَّان.

3 ـ مَنْح الأمير عبد الله إعانة ماليَّة قدرها خمسة آلاف جُنيه شهرياً.

---

(1) سُليمان مُوسى، تأسيس الإمارة الأُردُنيَّة. . . . . ، ص133.

(2) وهُم كُلٌّ من رشيد طليع، وأحمد مريود، ومظهر رسلان، وحسن الحكيم، وكانوا قد طُردوا من سُورية على أيدي الحُكُومة الفرنسيَّة، والتجؤوا إلى شرقي الأُردُن؛ حيثُ أنشؤوا حزبهم من جديد عندما تولّوا الحُكْم. انظر: علي المحافظة، تاريخ الأُردُن المُعاصر، 1921 ـ 1946، ص25.

(3) عليّ المحافظة، العلاقات الأُردُنيَّة ـ البريطانيَّة، ص19؛ خير الدِّين الزِّركلي، عامان في عمَّان، ص54.

وافق تشرشل على توصيات كُلٍّ من لُورنس وصموئيل، وأضاف إليها مُوافقته بإنشاء قُوَّة شرطة قوامها 500 رجل، فَضْلاً عن القُوَّة السّابقة، لكنَّه رَفَضَ رَفْضَاً قاطعاً سَحْبَ الطّائرات[1]، ذلك أنَّها كانت قُوَّة رَدْع يُقصد منها القضاء على أيَّة حَرَكَة قد تُؤدِّي إلى تهديد المصالح البريطانيَّة، فَضْلاً عن إجهاض أيَّة حَرَكَة مُعادية للوُجُود الفرنسي في سُورية، لذلك كان وُجُود الطّائرات ضرورياً بالنّسبة لبريطانيا.

وبعد أنْ قاربت المُدَّة التّجريبيَّة التي أُقرَّت في مُؤتمر القُدس على الانتهاء، كانت رغبة صموئيل المُلحَّة هي إخراج الأمير عبد الله من شرقي الأُردُن، وضمّها إلى فلسطين. لذلك؛ نراه يتحدَّث في تقاريره عن الفوضى الإداريَّة، وعن إنفاق المعونات الماليَّة في غير الوُجُوه التي أُعطيت من أجلها، تُوضح هذه الغاية برقيَّة رَفَعَهَا هربرت صموئيل إلى لُورنس بتاريخ 23 تمُّوز 1921، جاء فيها: "..... إنَّ صبر عبد الله قد نَفَدَ، وهُو يُطالب ـ الآن ـ بحلٍّ ثابت مُعيَّن عند انتهاء الفترة التّجريبيَّة..... يبدو أنَّ استمرار التّرتيب الرّاهن بعد فترة الأشهر السِّتَّة لن يكون مقبولاً بالنّسبة لعبد الله، وعلى أيَّة حال؛ فإنَّ الاستمرار سوف يكون بمثابة إدامة للاضطراب الإداري في شرقي الأُردُن، ومُحرِّك للتّعقيدات السّياسيَّة مع الفرنسيِّيْن"[2].

وعلى أثر مُحاولة اغتيال المُفوَّض السّامي الفرنسي في سُورية الجنرال غُورُو[3]، توتَّرت العلاقات بين حُكُومة الأمير عبد الله والمندوب السّامي البريطاني أبرامسن؛ إذْ طَلَبَ الأخير تسليم المُتَّهمين بالحادث، الذين التجؤوا إلى شرقي الأُردُن، فَرَفَضَتْ الحُكُومة الأُردُنية هذا

---

(1) سُليمان مُوسى، تأسيس الإمارة الأُردُنيَّة، ص134.

(2) مُقتبس من: المصدر نفسه، ص136، ولمعرفة طبيعة الخلاف بين حُكُومة الأمير عبد الله وأبرامسون؛ انظر كذلك: سُليمان مُوسى، تاريخ الأُردُن تأسيس الإمارة الأُردُنيَّة وتطوُّرها، كتاب بالإنكليزيَّة من تأليف معن بن نوَّار، "المجلَّة الثّقافيَّة"، عمَّان، العدد21، نيسان 1991، ص17.

(3) كان المندوب السّامي الفرنسي يقوم بزيارة إلى مُحمَّد الفاعور، والشّيخ نُوري الشّعلان، في القُنَيْطرَة يوم 23 حُزيران 1921؛ حيثُ دُوهم من قبَل عدد من الفرسان، الذين أطلقوا العيارات النّاريَّة على موكبه، ممَّا أدَّى إلى إصابته وعدد من مُرافقيه.
للتّفاصيل انظر: خير الدِّين الزّركلي، عامان في عمَّان، ص187.

الطَّلَب، ممَّا اضطُرَّ رشيد طليع إلى تقديم استقالته، وعُهد إلى مظهر رسلان بتأليف المجلس الجديد، كما حَدَثَ - في الوقت نفسه - عصيان الكُورة في شمال الأُردُن[1].

ونتيجة لهذا الوَضْع المُتأزِّم؛ كُلِّف لُورنس - الذي كان يقوم بمُفاوضة الملك حُسَيْن لعقد الاتِّفاقيَّة البريطانيَّة الحجازيَّة - من قبَل تشرشل، بالذّهاب إلى عمَّان، والوُقُوف على حقيقة الأوضاع هُناك، واقتراح ما يراه مُناسباً، لتلافي هذا الوَضْع المُتأزِّم[2]. وكان سبب دعوة تشرشل للُورنس هُو أنَّ الأخير واكب أحداث وتطوُّرات تأسيس الإمارة الأُردُنيَّة، وهُو أعْلَمُ من غيره بما يُمكن عمله، لتجنُّب إخفاق الحُكُومة الأُردُنيَّة.

وَصَلَ لُورنس إلى عمَّان في 12 تشرين الأوَّل عام 1921، برفقة هيوبرت يُونك؛ حيثُ اكتشف أنَّ الأمير عبد الله لا ينوي تَرْك البلاد، ولكنَّه كان يُعاني من صُعُوبات عديدة سببها قلَّة الدَّعْم البريطاني المُقدَّم له، وقد أوضح يُونك هذه الحقيقة بقوله: إنَّ السّبب في أنَّ الأُمُور لم تَسرْ كما يجب في شرقي الأُردُن إلى "أنَّنا لم نُعط الأمير عبد الله ذلك التّعضيد الذي وَعَدْنَاهُ به"[3]. ولتلافي حالة الفوضى؛ بادر لُورنس إلى اتِّخاذ عدد من الإجراءات؛ أهمّها:

1 - عَزْل جميع المُوظَّفين الإنكليز في شرقي الأُردُن، باستثناء الكابتن بيك[4].

2 - تولِّي مهمَّة المندوب السّامي في عمَّان، ولعدم رغبته في البقاء في هذا المنصب، اقترح تعيين جُون فلبي بدلاً عنه.

3 - أوصى بأنْ يكون المُوظَّفون البريطانيُّون في شرقي الأُردُن مُستقلِّين عن حُكُومة فلسطين، مع بقائهم اسمياً تحت إشراف المندوب السّامي في فلسطين.

---

(1) رَفَضَ الشّيخ كُليب الشّريدة الاعتراف بالسُّلطة المركزيَّة، وفي حُزيران 1921، حاصر أهل الكُورة القُوَّة العسكريَّة التي كانت بقيادة فُؤاد سليم، وأرغموها على التّسليم، بعد قَتْل وجَرْح عدد من الضُّبَّاط والجُنُود. للتّفاصيل؛ انظر: فريدريك. ج. بيك، تاريخ شرقي الأُردُن وقبائلها، ترجمة بهاء الدِّين طُوقان، عمَّان، الدّار العَرَبيَّة للتّوزيع والنّشر، ص281.

(2) سُليمان مُوسى، تاريخ الأُردن . . . ، ص 17.

(3) المصدر نفسه، ص 17.

(4) "جريدة ألف باء"، دمشق، العدد 350، 2 تشرين الثّاني، 1921.

4 ـ اقترح زيادة القُوَّة الجويَّة في شرقي الأُردُن وتزويدها بالمدرعات لتستطيع حفظ الأمن[1]. ولم يقتصر لُورنس على هذه الإجراءات بل رفع إلى حُكُومته عدَّة توصيات كان من أهمها:

1 ـ استمرار الإدارة التي يرأسها الأمير عبد الله في شرقي الأُردُن.

2 ـ إخراج المُوظَّفين السُّوريِّين من أعضاء حزب الاستقلال من البلاد.

3 ـ تخفيض مُخصَّصات الأمير عبد الله، فبعد أنْ كانت(5000) جُنيه، سوف تُخفَّض إلى (2000) جُنيه، ومن ثمَّ؛ إلى(1000) جُنيه لكُلِّ شهر.

4 ـ إصدار بيان رَسْمي من الحُكُومة البريطانيَّة باستثناء شرقي الأُردُن من وعد بلفُور.

5 ـ دعوة الأمير عبد الله إلى لندن، للتّباحث معه في مُستقبل الدّولة الجديدة[2].

لم يُرحِّب هربرت صموئيل وأعضاء إدارته في فلسطين بتوصيات لُورنس، لكونها تتنافى تماماً مع رغبتهم في دَمْج شرقي الأُردُن مع فلسطين تحت إدارة بريطانيَّة مُباشرة، فَضْلاً؛ عن أنَّهم أرادوا ـ بمُعارضتهم تلك ـ النّكاية بلُورنس، الذي اتَّهم تقاريرهم بالتّضليل والمُخادعة.

ولكنَّ تشرشل لم تنطل عليه حُجج صموئيل وجماعته، فأبرق إليه بتاريخ 22 تشرين الثّاني قائلاً: " يسرُّني أنْ تُبلغه (أيْ للُورنس) مُوافقتي التَّامَّة على ما قام به من أعمال في رحلته كُلِّها"[3].

بدأت الحُكُومة البريطانيَّة العمل من أجل تطبيق توصيات لُورنس، فأبرقت إلى السِّر برسي كُوكس، المندوب السّامي في العراق، تُخبره أنَّها قرَّرت تعيين جُون فلبي في منصب المندوب السّامي البريطاني في شرقي الأُردُن، بناء على اقتراح لُورنس، وكان نصُّ البرقيَّة

---

(1) عليّ المحافظة، العلاقات الأُردُنيَّة ـ البريطانيَّة، ص40 ـ 41؛ عبد السّلام خليفة الشّواورة، المصدر السّابق، ص26، عليّ المحافظة، تاريخ الأُردُن المُعاصر، ص27.

(2) Aaron S.Kleman, OP. cit., P. 226.

(3) سُليمان مُوسى، تأسيس الإمارة الأُردُنيَّة، ص144.

كالآتي : " يرغب لُورنس ـ الذي يعمل حالياً في منصب رئيس المُعتمدين البريطانيّين [المندوب السّامي] في شرقي الأُردُن ـ أنْ يُعفى حالاً من منصبه المُؤقَّت ، وهُو يقترح أنْ يخلفه فلبي "[1] .

وَصَلَ فلبي إلى عمَّان بتاريخ 27/ تشرين الثّاني 1921 ، وكان في استقباله لُورنس ، الذي أخذه ـ بدوره ـ إلى الأمير عبد الله . وفي اليوم التّالي ؛ غادر كُلٌّ من لُورنس وفلبي إلى القُدس ، لحُضُور اجتماع أعدَّه هربرت صموئيل ، للتّباحث بشأن إدارة شرقي الأُردُن[2] .

أدَّى لُورنس دوراً بارزاً في هذا الاجتماع ، فقدَّم العديد من المُقترحات التي لم تحظَ ـ على ما يبدو ـ بتأييد هربرت صموئيل . وكان محور حديث لُورنس هُو إعطاء الأمير عبد الله فُرصة جديدة للعمل في شرقي الأُردُن ، الأمر الذي عارضه هربرت صموئيل ، تمهيداً لضمّ شرقي الأُردُن إلى فلسطين . كما اعتقد لُورنس أنَّ حُكُومة عبد الله ستُوافق على أنْ يتولَّى ضابط بريطاني قيادة القُوَّات الاحتياطيَّة وغيرها من قُوَّات الدَّرَك والشُّرطة ، وسيكون هذا الضّابط بمثابة مُدير الأمن العامّ ، وله الحقُّ في حُضُور اجتماعات مجلس المُشاورين ، وكان يرى ـ أيضاً ـ أنَّ حُكُومة شرقي الأُردُن أصبحت في وضع يُمكنها تسليم الأشخاص المُتَّهمين بالهُجُوم على الجنرال غُورُو[3] .

وقبل مُغادرة شرقي الأُردُن ؛ تسلَّم لُورنس من مظهر رسلان رئيس مجلس المُشاورين مُسوّدة الدُّستُور الجديد لإمارة شرقي الأُردُن . وَطَلَبَ إليه تسليمه إلى المندوب السّامي في فلسطين ، ثُمَّ التقى بالأمير مُجدَّداً ؛ حيثُ أظهر رغبته في تفويضه من قبَل الحُكُومة البريطانيَّة بتحديد الحُدُود بين شرقي الأُردُن ونجد . وفي هذه النُّقطة كان من رأي لُورنس ضمّ منطقة الجوف إلى شرقي الأُردُن ، التي يجب أنْ تمتدَّ حُدُودُها حتَّى الطَّرَف الشّمالي من صحراء النُّفُوذ الكُبرى . أمَّا بالنّسبة للحُدُود مع الحجاز ؛ فقد كان لُورنس يعتقد أنَّه بإمكان الأمير عبد

---

(1) مُقتبس من : سُليمان مُوسى ، غربيُّون في بلاد العَرَب ، عمَّان ، المطبعة الوَطنيَّة ، 1969 ، ص105 .

(2) H.St. John Philpy, Forty Years,...P.93.

(3) خيري حمَّاد ، المصدر السّابق ، ص107 ؛ سُليمان مُوسى ، غربيُّون في بلاد العَرَب ، ص109 ـ 110 ، 24 ـ 23 .
John Philpy, Forty Years, H.St., ..P.23 -24.

الله أنْ يحصل على معان والعَقَبَة، كما اقترح عليه أنْ يطلب هذه المناطق من والده حينما يتـمُّ إصلاح الخطِّ الحديدي بين معان وعمَّان[1].

غادر لُورنس عمَّان في 8 كانون الثّاني 1922، وبعدها؛ تَرَكَ البلاد العَرَبيَّـة دُون رجعـة، وقد علَّق فلبي بتاريخ8/ كانون الثّاني عام 1922، على مُغادرة لُورنس قائلاً: "... تَركَني سَفَرُ لُورنس مُتسلِّماً لزمام الأُمُور بصُورة كاملة في البلاد، كمـا خَلَّفَ لـي فراغـاً هـائلاً، كـان مـن الصّعب عليَّ إملاؤه. فهُو يعرف كُلَّ إنسان في هذه البلاد، والكُـلُّ يعرفونـه.... وليـس هُنـاك مجال للشّكِّ في أنَّه قد خَلَّفَ تبدُّلات كُبرى في الوَضْع، أحدثها في الشّهرَيْن القصيرَيْن اللّذَيْـن عمل فيهما في عمَّان، فقد قَلَبَ الصُّورة العابسة المُتشائمة إلى صُورة ضاحكة مُتفائلـة، وأقـام حُكُومة محلِّيَّة، أخذت تعمل في البلاد بنُعُومة ويُسْر وسُهُولة."[2].

---

(1) H.St. John Philpy, Forty Years, ...P.23-24.

(2) مُقتبس من: خيري حمَّاد، المصدر السّابق، ص114.

الفَصْل الخامس:

مرحلة العُزلة والنّشاط الفكْري 1922 ـ 1935

ـ التحاق لورنس بالجيش للمرّة الثّانية:

بعد أنْ تَشكّلت حُكُومتان عَرَبيّتان في العراق وشرقي الأُردُن. ؛ شَعَرَ لُورنس أنّ مهمّته في الشّرْق الأوسط قد انتهت، وأدرك أنّه لا يرغب في البقاء في هذا القسم، ممّا جَعَلَهُ يطلب من تشرشل إعفاءه، ولكنّ الأخير لم يُوافق، إلاّ بعد مُضي أشهر عديدة[1]، وليس من المُستبعد أنْ تكون مُوافقة تشرشل رَدّ فعْل للأنباء التي وَصَلَتْ إليه من مايكل كُولينز[2] Michael Collins، أحد زُعماء دولة أيرلندة الحُرّة، اتّصل بلُورنس، وَعَرَضَ عليه قيادة قُوّات في جيش أيرلندة الحُرّة لاحتلال اكستر Exeter[3]، وهذا ـ بالطّبع ـ ما لا يرضى به تشرشل. وبعد قبول استقالته؛ تفرّغ لُورنس للأعمال الخاصّة به، واستقرّ في مكتب أحد أصدقائه في شارع بارتن(Barten St.) عاكفاً على كتابة مُسوّدة كتابه "أعمدة الحكْمَة السّبعة"، مُواصلاً اللّيل بالنّهار من أجل إنجاز عمله هذا[4].

---

(1)Richard Graves, OP. cit., P. 93.

(2) مايكل كُولينز 1890 ـ 1922) زعيم ثوري أيرلندي. بدأ مُوظّفاً في دائرة البريد. وفي عام 1909، انضمّ إلى مُنظّمة الإخوة الجُمْهُوريّة الأيرلنديّة، شارك في انتفاضة عيد الفُصْح في دبلن عام 1916. وفي عام 1918، فاز بعُضْويّة مجلس العُمُوم البريطاني. وأصبح رئيساً لحُكُومة دولة أيرلندة الحُرّة عام 1921.

للتّفاصيل؛ انظر:

Encyclopedia of world Biocraphy, Vol. 6, New York, 59-60.

(3) فيليب نايتلي، وكُولن سيمبسون، المصدر السّابق، ص181.

(4)Richard Graves, OP. cit., P. 94.

وفي هذه الفترة؛ كان لُورنس يشعر بالإهانة من عدم شَرْعيَّته، وبدأ يشعر أنَّه لا يستحقُّ السّعادة، حتَّى لقد أدَّى به هذا الإجهاد النَّفْسي في تلك الفترة إلى حافَّة الانهيار العصبي، فقد كَتَبَ إلى أحد أصدقائه يقول: "إنَّني أُفكِّر - أحياناً - كم أنا مجنون، وما إذا كان مُستشفى المجانين سيكون لي المقرَّ المثالي"[1].

وبعد مُضي شهرَيْن على استقالة لُورنس من وزارة المُستعمرات، اختار الانضمام إلى سلاح الجوِّ المَلَكي (Royal Air Force). وَحَدَّدَ لُورنس أسباب اختياره الانضمام إلى هذا السّلاح برغبته في تأليف كتاب عن القُوَّة الجوِّيَّة المَلَكيَّة، ولميله إلى العيش في المُستويات السُّفلى للبشر، هذا ما صَرَّحَ به لكُلٍّ من هوكارث ووالدته في رسائله إليهما.

ويبدو أنَّ تلك الأسباب لم تكن حقيقيَّة لتغيير مجرى حياته وتفكيره. إنَّ شُعُور لُورنس بالانهيار والضّعة من جراء العار الذي بدأ يُلاحقه مُجدَّداً، نتيجة لعدم شرعيَّته، هُو السّبب الحقيقي وراء انضمامه إلى هذا السّلاح.

ولأجل إتمام مسألة تطوُّعه، قرَّر لُورنس مُفاتحة السِّر هيوترينشارد(H.Trenchard) رئيس أركان سلاح الجوِّ المَلَكي، حول إمكانيَّة توسُّطه لقبول تطوُّعه؛ إذْ إنَّه كان مُدركاً الصُّعُوبات التي ستُواجهه في سبيل تحقيق ما يرمي إليه، بسبب كِبَر سنِّه، وعدم امتلاكه المهارة اللاَّزمة للتَّطوُّع في هذا الصّنف من القُوَّات المُسلَّحة، ولكي يُقنع ترينشارد بهدفه؛ أخبره لُورنس بأنَّه كان ينوي الكتابة عن تاريخ القُوَّة الجوِّيَّة المَلَكيَّة[2]، علماً أنَّه رَفَضَ ذلك عندما طَلَبَ منه القيام بهذه المهمَّة من قِبَل هيئة أركان سلاح الجوِّ المَلَكي فيما بعد[3]. وهذا يُعطينا دليلاً واضحاً أنَّه لم يكن يهدف - من وراء انضمامه إلى هذا السّلاح - تأليف كتاب عنه، كما صَرَّحَ بذلك لوالدته وهوكارث. وقد وافق رئيس أركان سلاح الجوِّ المَلَكي على طَلَب

---

(1) مُقتبس من: أنتوني فاتنغ، ولويل تُومامي، المصدر السّابق، ص269.

(2) فيليب نايتلي، وكُولن سيمبسون، المصدر السّابق، ص174.

(3) مُذكّرات ليدل هارت، ترجمة بسّام العسلي، بيرُوت، الدّار العَرَبيَّة للدّراسات والنّشر، 1978، ص420.

لُورنس على أمل أنْ يضمَّ كتابه المُقترح إنجازاته في تحديث القُوَّة الجوِّيَّة المَلَكيَّة، مُشترطاً إخباره بالمُدَّة التي يرغب أنْ يقضيها في هذا السّلاح، والبلد الذي سيعمل فيه[1].

أصدر ترينشارد أوامره بالسّماح للُورنس بالالتحاق بسلاح الجوِّ المَلَكي، كعامل طيران، تحت اسم مُستعار هُو جُون هيوم روس(J.H.Ross)[2]، وذلك أنَّ دُخُوله باسم لُورنس سيُسبِّب إحراجاً للمسؤولين عن التّجنيد في القُوّات المَلَكيَّة، ولكون تطوُّعه يُخالف اللّوائح الموضوعة. وكان عليه ـ لكي ينضمَّ إلى هذا السّلاح أنْ يُقدِّم الأوراق التي تُثبت شخصيَّته، وأنْ ينجح في الفَحْص الطِّبيِّ الذي سيُجرى له. وعندما قدَّم أوراقه ارتاب ضابط التّجنيد بأمره، فأخبره بجَلْب شهادة من صاحب العمل الأخير الذي كان يقوم به، مع شهادة حُسْن السِّيرة والسُّلُوك، بالإضافة إلى شهادة الميلاد، وفي المُدَّة نفسها التي عمل فيها لُورنس لاستخراج تلك الأوراق، استفسر المسؤولون عن مكتب التّجنيد من مكتب المعلومات المَدَنيَّة، فلم يجدوا ما يدلُّ على شخصيَّة جُون هيوم روس، فَطُرد حالاً[3]. وبعد تدخُّل من جهات حُكُوميَّة عُليا؛ سُمح للُورنس بالانضمام إلى هذا السّلاح، خُصُوصاً؛ بعد أنْ تمَّ إخبار المسؤولين في مكتب التّجنيد بحقيقة روس، وتحذيرهم بأن عدم قبوله معناه فقدان ضابط التّجنيد لوظيفته. وبعد قبول تطوُّعه؛ نُقل إلى مُعسكر أُوكسبردج(Uxbridge)[4]؛ حيثُ تلقَّى في هذا المُعسكر درساً عنيفاً في التّدريب، فَضْلاً عن تكليفه ببعض المهامِّ الوضيعة التي كان يقوم بها الجُنُود. وباختصار؛ فقد كانت حياته في هذا المُعسكر جحيماً لا يُطاق، حسب ما اعترف به شخصياً[5].

وبتاريخ تشرين الثّاني عام 1922، نُقل إلى مُعسكر فارنبورو (Farnboro) للتّصوير التّابع لسلاح الجوِّ المَلَكي. واستمرَّت الحالة المُتردِّية التي كان يُعاني منها، ممَّا أدَّى إلى مُحاولة

---

(1) فيليب نايتلي، وكُولن سيمبسون، المصدر السّابق، ص174.

(2)Encyclopedia of world Biocraphy, Vol. 6, New York, Mcgran Hill, ino., 1973, P. 376.

(3) ريتشارد الدنكتون، المصدر السّابق، ص368.

(4)Robert Graves, OP. cit., P. 419.

(5) للتّفاصيل عن الصُّعُوبات التي واجهت لُورنس في مُعسكر أُوكسبردج؛ راجع:
T.E.Lawrence, The Mint, London, Jonathancape, 1955, PP. 69-71.

تخطّي رُؤسائه، ومُفاتحته بعضاً من أصدقائه من ذوي النُّفُوذ لتخليصه من هذا الوَضْع. وتأتي في هذا السّياق رسائله إلى أُوليفر سوان(O.SWAN) مُساعد رئيس أركان سلاح الجوّ المَلَكي، الذي رَتَّبَ - بنفسه - عمليَّة تطوُّع لُورنس، بعد أنْ طَلَبَ منه تخليصه من تلك الحياة القاسية في هذا المُعسكر. فَطَلَبَ سوان من آمر الوحدة الإسراع بتخريج لُورنس من الدّورة، لحاجتهم في استخدامه في إحدى الوحدات[1].

كان لتلك المُراسلات أثرها السّلبي على وُجُود لُورنس في المُعسكر؛ إذْ أخذ الضبّاط يرتابون بأمره، نتيجة تجاوزاته المُستمرَّة لتخطّي رُؤسائه، فعرفوا شخصيَّته، وكان ظنُّهم أنَّه يقوم بمهمَّة تجسُّسيَّة لحساب وزارة الطّيران، ممَّا خَلَقَ وَضْعَاً مُحرجاً للضبّاط في المُعسكر. ويبدو أنَّ أحد الضبّاط قد سَرَّبَ خبر وُجُود لُورنس في هذا المُعسكر إلى إحدى الصُّحُف، فَظَهَرَ في صبيحة يوم 27 كانون الأوَّل خبر في الدّيلي إكسبريس (Daily Express) تحت عُنوان: "ملك غير مُتوَّج يُصبح جُنْديَّاً، لُورنس العَرَب، بطل الحَرْب الشّهير يُصبح جُنْديَّاً"[2]. ولقد وَلَّدَ هذا الخبر رُدُود فعْل عنيفة في وزارة الطّيران، فأصدرتْ أمرها بطَرْد لُورنس من الخدمة في سلاح الجوّ المَلَكي. وعلى الرّغم من مُحاولات لُورنس المُتكرِّرة لإعادته إلى الخدمة في سلاح الجوّ المَلَكي، لكنَّ مُحاولاته تلك باءت بالفشل. ممَّا اضطرَّه إلى الالتحاق بسلاح الدبَّابات المَلَكي(Royal Tank Crops) في شهر آذار 1923، تحت اسم مستعار هُو (تي. أي. شُو) (T.E.Show)، وهُو الاسم الذي تبنَّاه قانونيَّاً في عام 1927، واستقرَّ في مُقاطعة دورست (Dorset)؛ حيثُ حَصَلَ - هُناك - على منزل في كلاودز (Clouds Hills) الذي أصبح منزله فيما بعد[3]، وقد كُلِّفَ لُورنس في سلاح الدبَّابات بعمل علامات للجيش وإصلاح الملابس العسكريَّة. وفي هذه المرحلة؛ وَجَدَ مُتَّسعاً من الوقت لمُمارسة هوايته المُفضَّلة في رُكُوب الدَّرَّاجات، وعمل على إجراء اختبارات السُّرعة لها،

---

(1) فيليب نايتلي، وكُولن سيمبسون، المصدر السّابق، ص195. وللاطّلاع على رسائل لُورنس إلى أُوليفر سوان؛ راجع:

David Carenett, Op. Cit., PP. 237-238; Malcolm Brawn, Op.Cit.,PP.208-209.

(2) نقلاً عن: فيليب نايتلي، وكُولن سيمبسون، المصدر السّابق، ص196.

(3)Encyclopedia Britannica, Vol. 13, P. 830.

ولكنَّ شُعُوره بالاشمئزاز لم يُفارقه، فكَتَبَ يقول: "..... إنَّ العالم سوف يكون مكاناً أفضل بدُون المخلوقات البشريَّة..... إنَّ هذا يبدو جُنُوناً، وأنا أندهش - أحياناً - من جُنُوني"[1].

لذلك؛ استمرَّ لُورنس في مُحاولاته للعودة إلى القُوَّة الجويَّة المَلَكيَّة عن طريق مُراسلة بعض أصدقائه المعروفين؛ ومنهم: برنارد شُو، وديفيد كارنيت، وجُون بوشان، وغيرهم. ولكنَّ مُحاولاته تلك لم تنجح إلاَّ بتاريخ 16 تمُّوز؛ حيثُ أصدر رئيس الوُزراء البريطاني ستانلي بالدوين **Stanly Baldwin** أوامره بنَقْل لُورنس من سلاح الدَّبَّابات إلى سلاح الجوِّ المَلَكي، وبعد تدخُّل أصدقائه بصُورة مُباشرة، أو غير مُباشرة[2].

فَنُقل إلى كُلِّيَّة كاديت **Cadet College** في كارنوبل (**Cornwall**) التي كَتَبَ عنها: "..... إنَّ أقسام كُلِّيَّة كاديت قد تمَّ تجميلها - بالحقيقة - للتّخلُّص من المرارة، وإذا كانت هُناك مرارة، فإنَّها من الثّكنة العسكريَّة (سلاح الدَّبَّابات). إنَّ القُوَّة الجويَّة لا تعني تدمير الإنسان أو تحطيم إنسانيَّته، فهُنالك الشّمس والمُعاملة الطَّيِّبة والمقياس الحقيقي للسّعادة لأُولئك الذين يتطلَّعون للمُستقبل، أو إلى الماضي"[3].

واصل لُورنس عمله في هذه الكُلِّيَّة بكُلِّ همَّة ونشاط، فكان - فَضْلاً عن عمله الرَّسْمي - يقوم - في أوقات فراغه - بإعداد كتابه "أعمدة الحكْمَة السّبعة". كما كان يعمل على إعداد طبعة مُختصرة لكتابه بعُنوان "ثورة في الصّحراء".

وفي الوقت نفسه؛ صَدَرَ للكاتب الأمريكي لويل تُوماس كتاب "مع لُورنس في جزيرة العَرَب"، ولتجنُّب الضَّجَّة التي يُمكن أنْ يُحدثها إصدار هذا الكتاب، قرَّر لُورنس تَرْك إنكلترا، وَطَلَبَ نَقْله إلى الهند، التي وَصَلَهَا في كانون الأوَّل 1926[4].

أثار أمر نَقْل لُورنس إلى الهند مُوظَّفي حُكُومة الهند، الذين رأوا فيه خَطَراً يُهدِّد ما يُخطِّطون إليه من سياسات، لا سيما أنَّه دائم الانتقاد لسياساتهم، وخُصُوصاً في العراق.

---

(1) Quoted in: Richard Graves, Op. Cit., P.97.

(2) Ibid., P.110.

(3) T.E.Lawrence, The Mint, P.8.

(4) أنتوني ناتنغ، ولويل تُوماس، المصدر السّابق، ص275.

لذلك بدأوا بوَضْع العراقيل بوجهه، وتحديد حركته، خوفاً من إثارته المشاكل[1]. فنُقل - في بداية الأمر - إلى مُستودع كراتشي التّابع للقُوَّة الجوِّيَّة المَلَكيَّة، الذي عمل فيه 18 شهراً، قبل أنْ ينتقل إلى قاعدة ميرانشاه على الحُدُود الأفغانيَّة[2].

اقترن وُجُود لُورنس في هذه القاعدة بالثّورة التي نَشَبَتْ في أفغانستان ضدَّ حُكْم أمان الله خان عام 1928؛ حيثُ اتُّهم بتنظيم تلك الثّورة، بتحريض من الحُكُومة البريطانيَّة في الهند. وعلى أثرها؛ حَدَثَتْ أزمة سياسيَّة بين مجلس الوُزراء والبرلمان البريطاني، فتمَّ استدعاء لُورنس من الهند. ولم تهدأ تلك الأزمة إلاَّ بتدخُّله شخصياً لدى بعض أعضاء مجلس العُمُوم، وتقديمه تأكيدات قاطعة بأنَّه ليس له علاقة بتلك الثّورة[3].

كان لهذه الحادثة أثرها في اهتمام الصّحافة، وتوجيه الانتقادات والاتِّهامات للُورنس. ففي بريطانيا؛ اتَّهمه حزب العُمَّال والصُّحُف اليساريَّة البريطانيَّة بالتَّورُّط في هذه الثّورة، حتَّى إنَّ بعض الشُّيُوعيِّين البريطانيِّين أحرقوا دُمية تُمثِّل لُورنس في إحدى المُظاهرات[4]. ولم تقتصر تلك الحَمْلَة على بريطانيا وحدها، بل تعدَّتْهَا إلى الاتِّحاد السُّوفيتي، الذي وُصفَ لُورنس هُناك بأنَّه جاسوس إمبريالي بريطاني[5].

---

(1) المصدر نفسه، ص275.

(2) مُذكّرات ليدل هارت، ص26.

Richard Graves ,Op.Cit.P.103.

(3) للمزيد من التّفاصيل عن دور لُورنس في تلك الثّورة؛ راجع:

فيليب نايتلي، وكُولن سمبسون، المصدر السّابق، ص249 - 254؛ جمال هاشم، أحمد الذُّويب، السّياسة البريطانيَّة تجاه أفغانستان 1907 - 1929، رسالة دُكتُوراه غير منشورة مُقدَّمة إلى كُلِّيَّة الاداب - جامعة بغداد، 1994.

(4) أنتوني ناتنغ، ولويل تُوماس، المصدر السّابق، ص276.

(5) ومن الجدير بالذِّكْر؛ أنَّ هذا الاتِّهام كان بداية لسلسلة من الاتِّهامات؛ أهمّها أنَّ اسم لُورنس وَرَدَ في إحدى مُحاكمات ستالين في مُوسكُو. ففي أحد محاضر التّحقيق؛ وَرَدَ اسمه على اعتبار أنَّه أجرى خلال عامَيْ1927 - 1928، مُفاوضات مع الأحزاب في إنكلترا، بهدف التّحضير لثورة ضدَّ الحُكُومة السُّوفيتيَّة مع تدخُّل عسكري من جانب بريطانيا وفرنسا. ومن حُسْن حظِّه أنَّه كان يخدم في هذه الفترة في الهند. انظر:

Michael Yardley, Baking in to The Limelight, Abiography of T.E.Lawrence, London, Haarrep, 1985, P.207

كما انتقل هذا الاهتمام إلى الصّحافة العراقيَّة التي كَتَبَتْ عن علاقة لُورنس بالأحداث الجارية في أفغانستان، نقلاً عن بعض الصُّحُف البريطانيَّة والهنديَّة، وعدَّت اشتراك لُورنس في الثّورة من الأُمُور المُسلَّم بها[1]. لم تقتصر تلك الصُّحُف على الإعلان عن دور لُورنس في الثّورة في أفغانستان، بل ذَهَبَتْ إلى أبعد من ذلك، فَنَشَرَتْ جريدة "الرّافدان" خَبَراً مفاده أنَّ لُورنس مَرَّ ببيرُوت، مُتخفِّياً بالملابس العَرَبيَّة[2].

كما ادَّعت الصّحيفة نفسها في عدد آخر بأنَّ لُورنس يتجوَّل في نواحي نجد، مُستخدماً اسماً جديداً هُو الشّيخ ظافر[3]. ونَشَرَتْ "جريدة العراق" مقالاً جديداً جاء فيه: أنَّ لُورنس قد اشترك في الانتفاضة الكُرديَّة في تُركيا[4]، تحت اسم جديد هُو (W.S.Stawres)[5] ولكنَّ مُديريَّة المطبوعات كَذَّبَتْ هذا الخبر[6].

والغريب أنَّ تلك الأخبار جاءت بعد عودة لُورنس من الهند. ويبدو أنَّ خبر اشتراكه في الثّورة الأفغانيَّة قد فَسَحَ مجالاً رَحْباً لأقلام الكُتَّاب، ليكتبوا ما يشاؤون عنه، وعن دوره السّياسي آنذاك.

وبعد عودته إلى إنكلترا؛ جَدَّدَ عقد خدمته في سلاح الجوِّ المَلَكي لُمدَّة خمس سنوات أُخرى تبدأ من عام 1930، وَخَدَمَ في تلك الفترة في كات ووتر (Catt Water) وفي مُونت باتن (Mount Batten)، وكانت السّنوات التي قضاها لُورنس في هذا المكان سعيدة فعلاً،

---

(1) انظر في هذا الصّدد ما كَتَبَتْهُ جريدة العالم العَرَبي"، بغداد، الأعداد 1497 و 1507 و 1514، بتاريخ 29 كانون الأوَّل 1929، و 9 و 17 شُباط 1929.

(2) صحيفة "الرّافدان"، بغداد، العدد3، 20 شُباط 1930.

(3) المصدر نفسه، العدد5، 23 شُباط 1930.

(4) انتفاضة كُرديَّة نَشَبَتْ في 8 حُزيران 1930؛ إذْ قامت الفصائل المُسلَّحة بمُهاجمة القُرى الواقعة في المنطقة المُحاذية للحُدُود التُّركيَّة ـ الإيرانيَّة. استطاعت القُوَّات التُّركيَّة إجهاض هذه الحَرَكَة في 18 تمُوز 1930. للتّفاصيل؛ راجع: سُعاد حسن جواد، التّطوُّرات الاقتصاديَّة والسّياسيَّة والدّاخليَّة في تُركيا في سنوات الأزمة الاقتصاديَّة العالميَّة 1929 ـ 1933، ورسالة ماجستير غير منشورة، كُلِّيَّة الآداب، جامعة بغداد، 1989، ص129 ـ 145.

(5) "جريدة العراق"، بغداد، 21 تشرين الثّاني 1930.

(6) "مجلَّة لُغة العَرَب"، بغداد، السّنة الثّانية، الجُزء الثّالث، 1930.

فقد احتفظ بصداقة متينة مع آمر جناحه سدني سميث ((SidnySmith وزوجته اللّذَيْـن فَتَحَا بيتهما لاستقباله[1].

كما احتفظ بصداقة عميقة مع اللّيدي أستورAstor عُضْو مجلس العُمُوم البريطاني عن مُقاطعة بليمـوث، التي كـانت تستقبله في بيتها؛ حيثُ يُوفَّر لـه مُقابلة بعـض الشّخصيَّات المرموقة[2].

وخلال هذه المرحلة؛ انصرف لُورنس إلـى عمله الـذي شـمل اختبـار الجـانب الملاَّحي لمحطَّة الزّوارق الطّائرة، كما كان يعمل في أوقات فراغه على إعداد ترجمة جديـدة "للأُوديسة" فَضْـلاً؛ عـن اشـتراكه في بتنظيـم سـباق الحَدَث العـالمي (Schneider Trophy seaplane) للزّوارق البُخاريَّة، وعمل - كذلك خلال هـذه الفـترة - علـى إجـراء تجـارب لتصميـم قـوارب الإنقاذ البحري، وواصل إجراء هذه التّجارب حتَّى نهاية عقد عملـه مـع سـلاح الجـوّ المَلَكي عام 1930[3].

وقبل يوم من إعفائه؛ كَتَبَ لُورنس إلى قائد سلاح الجوّ المارشال أدورد النكتون: "كُنتُ في البلاد في القُوَّات المُسلَّحة..... و إذا كُنتَ تحفظ عنِّي ذلك الملفَّ القديم، أرجو غلقه بهذه المُلاحظة التي تقول: كم كُنتُ تعيساً؟". هكذا تَرَكَ لُورنس الخدمة في 26 شباط 1935، وقـرَّر الانسـحاب مـن دائـرة الضّـوء، والاسـتقرار في منزلـه في كلـود زهـل، للانصـراف لمشـاريعه الأدبيَّة[4].

اتَّسـمت هـذه المرحلـة مـن حيـاة لُورنـس بسـمات ثـلاث، وكـان أوَّلـها أنَّـه كـان يشـعر بالتّعاسة، نتيجة شُعُوره بلا شَرْعيَّته، فَضْلاً؛ أنَّ تلك المرحلـة كـانت مـن أهـمِّ مراحـل حياتـه إنتاجاً من الأدب والتّأليف، كما أنَّها مَثَّلتْ أقصى ما توصَّل إليه لُورنـس مـن شُـهرة، فبـدأت المُؤلَّفات تتوالى عن حياتـه، وأخـذت الصُّحُـف تُتابع أخبـاره ونشـاطاته، واتَّسـعت - في هـذا

(1)Richard Graves, Op. cit., P. 105.

(2) أنتوني ناتنغ، ولويل تُوماس، المصدر السّابق، ص 271.

(3)Michael Yardley, Op. Cit., P.207.

(4)Ibid, P. 110.

الوقت ـ دائرة معارفه وعلاقاته، وأخذت تشمل شخصيَّات سياسيَّة وأدبيَّة وعسكريَّة لها وزنها المُؤثِّر في بريطانيا.

ـ مُؤلَّفات لُورنس:

ـ صحراء زن[1] The Wilderness of Zin:

والكتاب هُو عن تقرير وَضَعَهُ لُورنس بالاشتراك مع ليونارد وولي بتكليف من الحُكُومة البريطانيَّة. وكان هدف الحُكُومة البريطانيَّة من وراء هذا التّقرير، كما سبق الإشارة إليه[2] هُو وَضْع خرائط لصحراء سيناء، ومعرفة مناطقها، والقبائل التي تقطنها، ودراسة طُبُوغرافيَّتها، ذلك أنَّها كانت على وشك دُخُول الحَرْب العالميَّة الأُولى، ولَمَّا كانت سيناء إحدى المناطق المُحتملة لتقدُّم القُوَّات البريطانيَّة، لذلك؛ رغبت الحُكُومة البريطانيَّة في معرفة كُلِّ شيء عن هذه المنطقة، ورَسْم خرائط لها، ليتسنَّى وَضْع خُطط تقدُّم القُوَّات البريطانيَّة. في حين كان هدفها المُعلَن هُو معرفة الطُّرُق التي ضلَّ فيها الإسرائيليُّون لُمدَّة 40 عاماً في صحراء سيناء، وذلك بتكليف من صُندُوق الاستكشاف الفلسطيني(Palestine Exploration Fund).

احتوى هذا التّقرير على معلومات تفصيليَّة لمنطقة المَسْح، التي تمتدُّ جنوب خطِّ غزَّة ـ بئر السّبع، في المنطقة التي اقتُطعت من قبَل الحُكُومة العَرَبيَّة من رَفَح إلى العَقَبَة. فهُو على سبيل المثال، لا الحصر، تناول دراسة منطقة "عين قاديس"، على اعتبارها مقراً للقبائل الرَّحَّالة. كما تضمَّن التّقرير توضيح طُرُق القوافل من فلسطين إلى مصر، التي كانت سالكة في زمن نُزُول الإنجيل، فَضْلاً عن توضيح الطّريق التي كانت الحُكُومة البيزنطيَّة قادرة من خلالها أنْ تنتشر في جميع المناطق التي تكون فيها بوادر للحياة والحضارة. وتناول التّقرير بالدّراسة منطقة "اسبيتة"، التي توصَّلت البعثة بشأنها إلى نتيجة مُؤدَّاها أنَّ هذه المنطقة تمَّ هَجْرها تدريجيّاً، بعد أنْ كانت مأهولة بالسُّكَّان بين القرنَيْن الثّاني عشر والرّابع عشر الميلاديَّيْن.

---

(1)Leonard Woolley and T.E.Lawrence, The Wilderness Of Zin

(2) انظر صفحة (43).

لم يقتصر التّقرير على المعلومات التّاريخيَّة، بل تعدَّاه إلى دراسة المنطقة؛ إذْ تناول طبيعة الكنائس البيزنطيَّة في فلسطين من حيثُ التّصميم وطبيعة الزّخارف المُستخدَمة في تجميلها. واحتوى التّقرير ـ كذلك ـ على دراسة مُفصَّلة للطّريق المُمتدِّ من العَقَبَة إلى البحر المُتوسِّط، وتوصَّل إلى نتيجة مُؤدَّاها أنَّ هذا الطّريق كانت مُستخدمة بدلاً من طريق السُّويس ـ فلسطين في زمن النّبي سُليمان، عندما نزل أُسْطُوله في رأس خليج العَقَبَة.

وفي نطاق دراسته لمنطقة البتراء، أوضح التّقرير خطأ الفَرَضيَّة القائلة: إنَّ البتراء كانت مركز تجارة النّبطيِّين، ذلك أنَّها لم تكن على خطِّ مُرُور بضائعهم.

وتضمَّن التّقرير ـ كذلك ـ دراسة وافية لاكتشافات بعض الرَّحَّالة البريطانيِّين والألمان والفرنسيِّين؛ أمثال مُوسيل، وإدوارد بالمر، وكذلك رحلات تايروايت دريك، وتضمَّن التّقرير تعريفاً ببعض الأسماء التي أشارت إليها بعض الكتابات القديمة.

وعلى الرّغم من النّتائج المُهمَّة التي توصَّل إليها التّقرير، فقد اعترف لُورنس بأنَّه ووليلم لم يأتيا بشيء جديد، ذلك أنَّه ـ كما قال ـ قد كَرَّرَ الشّيء الكثير من عمل بعض الرَّحَّالة الذين سبقوهما إلى هذه المنطقة.

وبالنَّظَر لاشتراك الاثنَيْن في هذه المرحلة، فكان من الطّبيعي أنْ يتقاسما تأليف هذا التّقرير. فنُلاحظ أنَّ ليونارد وولي مسؤول بشكل رئيس عن النّصف الأوَّل من الفَصْل الأوَّل والأجزاء المُتعلِّقة بالنُّصُب الصّخريَّة والمناخ والحقبة البيزنطيَّة في الفَصْل الحادي عشر، وما يخصُّ أخبار شمال المنطقة في الفَصْل الثّالث، وكُلّ الفَصْل الخامس، ماعدا الخاتمة. أمَّا لُورنس؛ فهُو مسؤول ـ بشكل كامل ـ عن النّصف الثّاني من الفَصْل الأوَّل (وهُو ما يتعلَّق بالعَقَبَة)، والجُزء الأوَّل من الفَصْل الثّاني، وما يتعلَّق بدرب الشّور في الفَصْل الثّالث، وأغلب الفَصْل الرّابع، وجُزء الخاتمة المُتعلِّق بالعَقَبَة في الفَصْل الخامس.

ولأجل توضيح بعض الأفكار الواردة فيه، فقد احتوى التّقرير على مجموعة كبيرة من المُخطَّطات التي جَمَعَهَا لُورنس من خلال موادِّ الاكتشاف، وقام برَسْمها داربي شاير

(B.R.Derbishire) . أمَّا الصُّور التي ملأت صفحات التّقرير ؛ فقد كان يلتقطها المُؤلِّفان . وكانت هُناك مجموعة من الخرائط التي قام برَسْمها ، وَوَضَعَ المقياس لها ليونارد وولي .

وكان من المُقرَّر أنْ يقوم نيوكومب ـ الذي عمل رئيساً للبعثة ـ بكتابة بعض الفُصُول عن القبائل العَرَبيَّة وأسماء الأماكن في منطقة الاكتشاف . ولكنَّ اندلاع الحَرْب العالميَّة الأُولى ، واستدعاءه إلى فرنسا ، حال دُون ذلك .

يحتلُّ الكتاب أهميَّة كبيرة بالنّسبة للقارئ المُتخصِّص ، نتيجة للمعلومات الغزيرة المُتوفِّرة عن منطقة تكاد تكون مجهولة ، في وقت كتابة هذا التّقرير ، على الأقلِّ . كما خَدَمَ هذا التّقرير لُورنس خدمة مُمتازة ؛ إذْ أصبحت الحُكُومة البريطانيَّة على ثقة تامَّة بقُدرته على الرَّسْم . لذلك ؛ أُوكلت إليه مهمَّة رَسْم الخرائط في مصلحة الاستخبارات البريطانيَّة في القاهرة .

ـ كتاب أعمدة الحكْمَة السّبعة Seven Pillars of Wisdom:

و هُو الكتاب الثّاني من سلسلة الكُتُب التي ألَّفها لُورنس ، وعُنوان الكتاب مُستمَدٌّ من عبارات جاءت في أمثال سُليمان : "الحكْمَة بنت بيتها ، وَنَحَتَتْ أعمدتها السّبعة . ذَبَحَتْ ذبائحها ، وَمَزَجَتْ خمرها ، وَصَفَّفَتْ موائدها ، أرسلتْ جواريها تُنادي على مُتُون مشارف المدينة ، من هُوغر فليمل إلى هُنا ، وتقول لكُلِّ فاقد اللُّبّ : هَلُمُّوا كُلُوا من خُبزي ، واشربوا من الخمر التي مَزَجْتُ . اتركوا الغرارة ، واحيوا . انهجوا طريق الفطنة . . . . "[1] .

بدأ لُورنس بكتابة مُسوّدات كتابه ، وبعد أنْ اقترح عليه هوكارث تأليف كتاب عن الثّورة العَرَبيَّة ، أثناء اشتراكه في مُؤتمر الصُّلح بباريس عام 1919 . ولأجل الحُصُول على الوثائق اللاَّزمة لتأليف كتاب من هذا النّوع ؛ قرَّر لُورنس السّفر إلى القاهرة ، ولكنَّه لم يصل إليها مُعافى ، بل على نقَّالة ؛ إذْ إنَّ الطّائرة التي أقلَّته من باريس تحطَّمت عند منطقة سنتوسيل (Cento Celle) في إيطاليا ، وأُصيب لُورنس على أثرها بجرُوح بليغة ، ثُمَّ عاد إلى باريس ، وواصل عمله في الكتابة بصُعُوبة ، حتَّى قيل : إنَّه كَتَبَ ما يُقارب من (30000) كلمة خلال 24 ساعة[2] .

---

(1) مُقتبس من " مجلَّة المُقتطف " ، القاهرة ، مُجلَّد 871 ، 1925 ، ص 22 .

(2) Richard Graves, Op.Cit., P.87 .

وخلال الكتابة؛ كان لُورنس يُعيد كتابة مُسوّداته ثلاث مرّات، ففي المرّة الأُولى كان يروي الحوادث كما يتذكّرها، ثُمّ يُراجع الوثائق والمُذكّرات، ويُعيد كتابة المُسوّدة في ضوئها، وهي المرّة الثّانية، أمّا المرّة الثّالثة؛ فكانت تنقيح الكتابة وصقلها من ناحية الأُسْلُوب، حتّى يكون الكتاب ذا لُغة رفيعة المُستوى[1].

عَرَضَ لُورنس مُسوّدات كتابه على بعض أصدقائه المُقرّبين، ومنهم جُورج برنارد شُو ((CeorgeBernard Show وزوجته شارلوت شُو (Sharrlot Show)، والتي قرأت الكتابَ قبل زوجها، وَبَعَثَتْ رسالة إلى لُورنس، مُعربة فيها عن إعجابها به، فقالت: ". . . . لم أقرأ شيئاً مثل كتابكَ، ولا أعتقد أنّ شيئاً مثله كُتبَ من قبلُ. أنت تسألني هل هُناك شيء في أُسْلُوبك الكتابي. . . . . ؟ أعتقد أنكَ تضحكُ علينا، يا لكَ من أحمق! الحقّ أنّه ليس لديكَ أُسْلُوب؛ لأنّ ما تكتبه يفوق أيّ شيء مُضحك يُسمّى أُسْلُوباً"[2].

وفي سنة 1925، قام لُورنس بطَبْع ثماني نُسخ بمطبعة أُكسفُورد، لكي يُوزّعها على بعض أصدقائه المُقرّبين، الذين يرغبون بالاطّلاع على تفاصيل الثّورة العَرَبيّة. وكانت الآنسة جرترود بل أحد هؤلاء، وقد أُعجبتْ بالكتاب، واقترحتْ عليه نَشْره بصُورة أوسع. فقرّر لُورنس أنْ يطبع كمّيّة محدودة لأصدقائه، وَمَهَرَ كتابه بأحرف T.E.S بدلاً من T.E.L، لكونه قد اتّخذ اسم شُو بدلاً من لُورنس في هذا الوقت. وقد حَدّدَ سعر النُّسخة الواحدة بـ30 جُنيهاً[3]. وعندما ازدادت الاشتراكات الماليّة؛ قرّر لُورنس طَبْع الكتاب طبعة فخمة. فَطَلَبَ من إيريك كينيكتون (A,Kenekton) وبعض الرّسّامين الآخرين وَضْعَ الرُّسُوم له. وزاد سعره إلى تسعين جُنيهاً[4]. وقد صَدَرَت هذه الطّبعة عام 1926، وتُعَدُّ الطّبعة المُعتمدَة لهذا الكتاب[5].

---

(1) "مجلّة المُقتطف"، مُجلّد 1935، 871، ص23.

(2) London, 30 June, 1968 "Sunday Times Newspaper".

(3) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص276.

(4) "مجلّة المُقتطف"، مُجلّد 1935، 781، ص23.

(5) Grand Larouse Encyclopedique, Tom.6 ، Paris Librairie Larousse, 1962, P.643.

وعندما أراد لُورنس أنْ ينشر طبعة شعبيَّة لهذا الكتاب؛ عمد إلى تكليف إدوارد كارنيت (Edward Garnett) باختصاره إلى نصف حجمه الطّبيعي. وقد صَدَرَت هذه الطّبعة عام 1927، بعُنوان: "ثورة في الصّحراء" في كُلٍّ من بريطانيا والولايات المُتّحدة، كما صَدَرَت له ترجمة فرنسيَّة، وقد طَلَبَ لُورنس من ناشر الكتاب الفرنسي أنْ يضع على صدر الكتاب عبارة" تُخصَّص أرباح هذا الكتاب لضحايا الفظائع الفرنسيَّة في سُورية"، ولكنَّ هذه العبارة لم تظهر على نُسخ التّرجمة[1]. وقد تُرجم كتاب "ثورة في الصّحراء" إلى العَرَبيَّة في مصر من قِبَل رشيد كَرَم[2]، وفي العراق؛ حيثُ كَتَبَ مُقدّمته نُوري السّعيد، وَتَرْجَمَهُ كامل صموئيل سميحة.

استهلَّ لُورنس كتابه بعبارة إهداء شعْريَّة إلى (S.A). وقد اختلف الكُتّاب في معنى هذَيْن الحَرْفَيْن، فبعضهم اعتقد أنَّه أهدى الكتاب إلى سُورية العَرَبيَّة، التي قضى فيها أيّاماً سعيدة، وخُصُوصاً في قرقميش. وقال آخرون: إنَّ هذَيْن الحَرْفَيْن يرمزان إلى "داهوم" صديق لُورنس الحميم، واعتقد فريق ثالث أنَّهما يرمزان إلى الأمير فَيْصَل، وغير ذلك من التّأويلات التي تبقى غير مُدعَّمة بدليل وثائقي[3].

احتوى الكتاب على عشرة فُصُول، تناولت أحداث الثّورة العَرَبيَّة، ابتداءً من وُصُول لُورنس إلى جدَّة، ومُرُوراً بالعمليَّات الحَرْبيَّة في الحجاز، وانتهاء بتحرير دمشق على أيدي القُوّات العَرَبيَّة. والكتاب - في حَدِّ ذاته - لم يكن - في يوم من الأيّام - تاريخاً للثّورة العَرَبيَّة، بقدر ما كان تاريخاً لشخص لُورنس، ودوره في تلك الثّورة.

يتميَّز الكتاب - من النّاحية الأدبيَّة - بأُسْلُوب أدبي رصين، قلَّ نظيره بين الكُتُب الأدبيَّة الأُخرى، ذلك الأُسلُوب الذي جَعَلَ البعض يُشكّكون في مقدرة لُورنس تلك، ويعزون كتابة هذا المُؤلَّف إلى بعض أصدقائه من الأدباء، وخُصُوصاً جُورج برنارد شُو، والحقيقة أنَّ برنارد شُو خَدَمَ لُورنس خدمة كبيرة في مجال التّأليف؛ إذْ دَرَّبَهُ على كيفيَّة استخدام الفواصل،

---

(1) Richard Graves, Op. Cit., P.96.

(2) "مجلَّة المُقتطف"، مُجلَّد 1950، 117، ص21.

(3) نقلاً عن: سُليمان مُوسى، لُورنس العَرَب، ص274 - 275.

وتقطيع الكلام، وفيما عدا ذلك؛ فإنَّه لم يُساهم في كتابة أعمدة الحكْمَة السّبعة، ولا في تصحيحه، أو طَبْعه. وكانت مُساهمته الوحيدة تنحصر في حذف فَصْل في مُقدِّمة الكتاب[1].

أمَّا من النّاحية التّاريخيَّة؛ فقد اهتمَّ الكُتَّاب ببعض التّفاصيل الصّغيرة والتّافهة، وَخَصَّصَ لها صفحات كثيرة، كما أنَّ الكتاب مليء بالتّناقضات. فتارةً؛ يصف لُورنس نفسه بقائد الثّورة، ومُؤجِّج أوارها، وتارةً؛ يُعطي للعَرَب الدّور الأكبر في تحقيق الانتصار، الأمر الذي يجعل القارئ يتأرجح بين اتِّجاهَيْن مُتناقضَيْن، ما لم يكن مُزوَّداً بمعلومات كافية عن شخصيَّة لُورنس. ولكنْ؛ على الرّغم من ذلك، يبقى كتاب "أعمدة الحكْمَة السّبعة" أحد المصادر التي لا يُمكن لأيِّ باحث يروم التَّصدِّي لموضوع الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى الاستغناء عنه، وتكمن أهميَّته في أنَّ مُؤلِّفه رجل عاصر الحَدَثَ، وساهم - بشكل أو بآخر - في صُنْعه.

ولا يفوتنا أنْ نذكر أنَّ كتاب "أعمدة الحكْمَة السّبعة" استُعمل عُنواناً لفيلم سينمائي يتحدَّث عن شخصيَّة لُورنس، أنتجه سام سبيكل (S.Spekile) أحد مُنتجي الأفلام في هُوليُود.

دار سَكُّ النُّقُود[2]:

الكتاب عبارة عن يوميَّات كَتَبَهَا لُورنس أثناء خدمته في سلاح الجوِّ المَلَكي للفترة بين شهرَيْ آب وكانون الأوَّل عام 1922، تحت اسم مُستعار هُو جُون هيوم روس. وقد صَدَرَت الطّبعة الأُولى - والوحيدة على حَدِّ علمنا - عام 1955، من قبَل دار نشر جُوناثان كاب.

يحتوي هذا الكتاب على وَصْف دقيق لمشاعر لُورنس التي كانت تتباين بين السّعادة والشّقاء في ذلك الوقت، فقد أمضى أوقاتاً قاسية في مُعسكر أوكسبردج، ولكنَّ أوقاتاً أُخرى من حياته كانت مُفعمة بالسّعادة؛ خُصُوصاً تلك الفترة التي قضاها خارج "أوكسبردج".

كما تضمَّن الكتاب إشارات مُهمَّة إلى ما كان يُلاقيه لُورنس وزملاؤه من قسوة في مرحلة التّدريب، فَضْلاً؛ عن وَصْفه اليومي الدّقيق لبرنامج عمله، الذي كان يتراوح بين تلقِّي الأوامر العسكريَّة، والقيام بأعمال التّنظيف في المُعسكر.

---

(1) "Sunday Times Newspaper" 30 June, 1968.

(2)T.E.Lawrence, The Mint.

و لم تقتصر تلك اليوميَّات على مُدَّة وُجُودلُورنس في أوكسبردج، بل تَعَدَّتْهَا إلى عمله في كُلِّيَّة كاديت، التي كان يشعر بالسّعادة لبقائه فيها، حتَّى إنَّه وَصَفَهَا في كتابه هذا: "إنَّ أقسام كُلِّيَّة كاديت رائعة، وهي بمثابة القسم الأساسي للقُوَّة الجويَّة المَلَكيَّة".

لم يكن لُورنس راغباً في نَشْر كتابه هذا، بناءً على طَلَب ترينشارد، الذي أقلقه ما وَرَدَ فيه من معلومات. فَطَلَبَ منه عدم نَشْره قبل عام 1950؛ لأنَّ المعلومات الواردة فيه تُظهر للقارئ أنَّ مُحاولات الإصلاح والتّجديد لا تسير بشكل جدِّيٍّ وصحيح، خُصُوصاً إذا علمنا أنَّ ترينشارد كان يقوم بتطوير هذا السّلاح. وقد أوضح لُورنس هذا التّخوُّف في كتابه.

أمَّا بشأن المنهج الذي اعتمده لُورنس في كتابه؛ فهُو أُسْلُوب اليوميَّات، فقد اعتاد لُورنس الجُلُوس على فراشه في المساء، رافعاً رُكْبَتَيْه تحت غطائه، ليكتب ما حَدَثَ في نهاره. وقد حَدَّدَ هدفه من كتابه هذا بقوله: "إنَّني أردتُ أنْ أقول هذا ليس كأُسْلُوب دعائي أو أُسْلُوب للتّجميل، لكنْ؛ للتّعبير عن الحقيقة الجليَّة. إنِّي أكتبُ هذا؛ لأعطي صُورة عن سلاح الطّيران المَلَكي. وأعتقد بأنَّ صُورتي مُؤثّرة وذكيَّة حين أعرض الظّلال منها. لقد كُنتُ أرسم صُورة، وحين يكون ذلك ضَرْباً من الأدب، فإنَّه بسبب صدْقها". وكان لُورنس يكتب مُسوّدة الكتاب بمُعدَّل أربعة فُصُول في الأُسبُوع، ويقوم بنَسْخ الفَصْل أربع أو خمس مرَّات، ليجعله بصُورته النّهائيَّة.

وفي عام 1927، بَعَثَ لُورنس بنُسخة من مُسوّدة الكتاب إلى ديفيد كارينت لقراءتها، طالباً منه مُحاولة نَشْرها بعد وفاته. والكتاب - بشكله الحالي - نُسخة طبق الأصل للمُسوّدة التي بَعَثَ بها لُورنس إلى ديفيد كارينت، وبعد أنْ أجرى عليها عدَّة تصحيحات قبل وفاته، وخُصُوصاً في عناوين الفُصُول، واستبدال وحَذْف بعض الكلمات من النَّصِّ الأصلي.

لم يكن الكتاب مصدراً مُهمّاً لدراسة مرحلة من حياة لُورنس فحسب، بل إنَّه من أهمِّ المصادر للكَشْف عن طبيعة التّنظيم الدّاخلي للمُؤسَّسة العسكريَّة البريطانيَّة، وخُصُوصاً سلاح الجوِّ المَلَكي، عن طريق عَرْض صُورة صادقة ونابضة بالحياة لهذه المُؤسَّسة من قَبَل شخص خبر تلك الحياة، وعايشها عن كَثَب.

احتلَّ هذا الكتاب مكانة مُهمَّة في نَفْس لُورنس، وكان يعدُّهُ من أفضل أعماله، يتَّضح ذلك من خلال عبارات الإهداء التي سَطَّرَهَا في مُستهلِّ كتابه إلى ديفيد كارنيت قائلاً: "لقد حلمتُ أنْ آتيكَ أحمل هذا الكتاب، وأقول لك: هذا أفضلُ أعمالي. . . ".

- المجلس الشَّرْقي[1] Oriental Assembly:

صَدَرَت الطّبعة الأُولى من هذا الكتاب عام1939، وكانت آخر طبعة تصل إلينا مُصحَّحة، حسب علمنا بتاريخ 1947. وتضمَّن هذا الكتاب مجموعة من المقالات التي كَتَبَهَا لُورنس في مراحل مُختلفة من مراحل حياته، ابتداءً من عمله في التّنقيب عن الآثار، وانتهاء باشتراكه بالثّورة العَرَبيَّة الكُبرى.

كانت المقالة بعُنوان "مُذكّرات الرّحلة عبر الفُرات"، وهي عبارة عن مُذكّرات شخصيَّة للرّحلة الآثاريَّة التي قام بها لُورنس وأصدقاؤه إلى أعالي الفُرات، بعد قرار المُتحف البريطاني بإيقاف العمل في مدينة قرقميش القديمة في 24 حُزيران 1911.

وقد تضمَّنت تلك المقالة وَصْفاً لهذه الرّحلة وهدفها الذي حَدَّدَهُ لُورنس بالتّنقيب عن الآثار الحيثيَّة، فَضْلاً؛ عن اكتساب معلومات عن القلاع الصّليبيَّة في مناطق حرَّان، وقلعة الرُّوم، وعين تاب. وقد أفادت هذه الرّحلةُ لُورنسَ - بشكل أساسي - في تعميق معرفته بأماكن لم تطأها قدماه قطُّ، فَضْلاً؛ عن معرفته بالشُّعُوب التي تقطن تلك المناطق.

وممَّا كَتَبَهُ لُورنس عن هذه الرّحلة: "مضى على وُجُودنا... أربعة أو خمسة أيَّام نعمل على استخراج المخطوطات القديمة، ونقوم بتصويرها، والتّعليق عليها..... وخلال هذه الرّحلة يُمكن أنْ أُنوِّع خبراتي من خلال المعلومات الجديدة التي سأحصل عليها. . . ".

كَتَبَ لُورنس هذه اليوميَّات في البداية في دفتر مُذكّرات صغير. ويظهر عليها تباين في أُسْلُوب كتابتها، تبعاً لحالة لُورنس البَدَنيَّة والنَّفْسيَّة، فَضْلاً؛ عن أنَّها خالية من التّنقيط. ولكنْ؛ بعد وفاته - وعندما عَزَمَ النّاشر على نَشْرها - أجرى بعض التّصحيحات في نصِّ

(1) T.E.Lawrence, Oreintal Assembly.

المقالة، ولكنْ؛ دُون المساس برُوحها، كم أنَّه زاد بعض المُلاحظات بعد نهاية مُدخل كُلِّ يوم من هذه اليوميَّات.

ولتوضيح بعض مفاصل المقالة، زُوِّدَتْ ببعض الخرائط والصُّور التي قام لُورنس برَسْمها وتصويرها أثناء رحلته. ومن الجدير بالذِّكْر أنَّه صَدَرَ في الآونة الأخيرة في لندن، وبالتّحديد؛ في شهر تشرين الثّاني عام 1993، عن إحدى دُور النّشر كتاب يتناول يوميَّات لُورنس في البلاد العَرَبيَّة، ويشمل الكتاب يوميَّاته بين شهرَيْ تمُّوز وآب 1911؛ حيثُ جاء لُورنس إلى بلاد الشّام، وقضى الشّهر المذكور في جولة، جاب خلالها بعض المناطق والقُرى. وكانت تُمثِّل زيارته الثّانية إلى المشرق العَرَبي، وكان من المُقرَّر لهذه المهمَّة أنْ تمتدَّ لأطول مُدَّة مُمكنة، لولا مرضه الذي حال دُون إكمالها، وأجبره على العودة إلى لندن. وكُنتُ أطمح في العُثُور عليها؛ لأنَّها تُمثِّل إضافة جديدة لليوميَّات التي نَشَرَهَا في كتابه "المجلس الشَّرْقي"، ولكنْ؛ لم يُحالفني الحظُّ في الحُصُول عليها[1].

وفي مقالة "الشَّرْق المُتبدِّل"، التي نُشرَتْ أوَّل مرَّة في صحيفة (راوندتيبل) (The Round Table) في عددها الصّادر في آب 1920، ظَهَرَتْ قُدرة لُورنس على تحليل الشّخصيَّة العَرَبيَّة، وطريقة التّعامل معها. فقد وَصَفَ العَرَب بأنَّهم: "ذوو ألباب ذكيَّة قادرة على التّفكير العميق، ألباب عَمَليَّة قادرة على شيء من الإنتاج، ألباب مُلتهبة قادرة على شيء من التّدمير. إنَّهم شعب ينقصه النّظام وقُوَّة الاحتمال والتّنظيم. هُم عبيد أرقَّاء للفكْرة، رجال تشنُّجات، كالماء مُتقلِّبون، ولكنَّ فيهم شيء من قُدرة الماء على التّغلغل والطّفو".

كما ضمَّ الكتاب بين طيَّاته مقالة بعُنوان "تطوُّر ثورة"، نُشرَتْ في البداية في العدد الأوَّل من مجلَّة "آرمي كواترلي" (The Army Quarterly) الصّادر في تشرين الثّاني 1920.

أظهرت هذه المقالة معرفة لُورنس العميقة بالتّكتيك السّتراتيجي العسكري، وفَهْمه لبعض مبادئ الحُرُوب الحديثة، التي كانت سائدة في ذلك الوقت. والذي يقرأ تلك المقالة

---

(1) حَصَلَ الباحث على هذه المعلومات عن طريق استماعه - بالمُصادفة - لهيئة الإذاعة البريطانيَّة، القسم العَرَبي، صباح يوم3 / 12 / 1993.

يُلاحظ تأثُّره بأفكار الجنرال الفرنسي فُوش (Fosh). وتضمَّنت تلك المقالة ـ أيضاً ـ أساليب إدارة العَمَليَّات العسكريَّة في الحجاز؛ حيثُ تطرَّقتْ إلى احتلال الطّائف وميناء الوجه والعَقَبَة، والفوائد السُّوقيَّة المُترتِّبة على ذلك، فَضْلاً؛ عن احتوائها على آرائه في السُّوق العُثماني الموضوع للدّفاع عن المدينة المُنوَّرة وبين آرائه وأفكاره في أساليب إبقاء حامية المدينة المُنوَّرة مُحاصرة. وممَّا ذَكَرَهُ: "... إذا أخذناهم أسرى، فسوف يُكلِّفونا الغذاء والحراسة في مصر، وإذا أخذناهم باتِّجاه الشّمال إلى سُورية، فسوف يشتركون بالجيش الأساسي المُحاصر لنا في سيناء". وَرَكَّزَ لُورنس في مقالته تلك على أُسْلُوب حرب العصابات، وتخلَّى فيها عن مبدأ القَتْل مُقابل تدمير المعدَّات، ؛ لأنَّ المعدَّات ـ في نَظَره ـ تحتلُّ أهميَّة استثنائيَّة، أكثر من الأشخاص في حرب العصابات، وخُصُوصاً؛ في المناطق الصّحراويَّة، ذلك أنَّ فقدان العُثمانيِّين لتلك المعدَّات سيجعلهم عاجزين تماماً عن الحَرَكَة والمُناورة.

ولم يُهمل لُورنس الإشارة إلى دوره في معارك الثّورة العَرَبيَّة، وممَّا كَتَبَهُ في ذلك: "... من سُوء الحظِّ أنَّني كُنتُ مسؤولاً عن سَيْر القتال كما أُريد، ولم يكن لي التّدريب المُناسب الذي يُؤهِّلني لهذا العمل." كما قال في موضع آخر: "... إنَّ واجبي الشّخصي هُو القيادة، والبدء بتحليل القيادة، ودراستها من النّاحية الإستراتيجيَّة".

تحتلُّ هذه المقالة مكانة مُهمَّة في المصادر الخاصَّة بدراسة أفكار لُورنس العسكريَّة في الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى، لما فيها من معلومات ميدانيَّة وثيقة. وممَّا يُؤخذ على أفكاره في هذه المقالة أنَّها لم تكن أفكار جديدة، بل كانت أفكار مُقتبسة من بعض المُخطِّطين العسكريِّين، مع تحوير بسيط لبعض فقراتها، وخُصُوصاً لأفكار عزيز عليّ المصري رئيس أركان الجيش العَرَبي في بداية الثّورة العَرَبيَّة.

أمَّا المقالة الثّالثة، التي تضمَّنت فَصْلاً مُقتطَعاً من كتاب "أعمدة الحكْمَة السّبعة"، تمَّ اقتطاعه بناءً على نصيحة الأديب برنارد شُو لأسباب سياسيَّة؛ فقد تضمَّنت نَظرة لُورنس لبلاد ما بين النّهرَيْن من وُجهة قيمتها كمصدر للغذاء على درجة عالية من الكفاية، كما تضمَّنت بعض الإشارات إلى الثّروة النّفطيَّة في تلك البلاد، ؛ إذْ أوضحت هذه المقالة أنَّ من

المُهمِّ جداً حماية حقل النّفط الفارسي في رأس الخليج العَرَبي، ومَنْع مُؤسِّسي القاعدة البحريَّة الألمانيَّة هُناك من تهديد هذا الحقل. وكَتَبَ لُورنس في هذه المقالة توصية مُوجَّهة إلى الحُكُومة البريطانيَّة، بضرورة إيجاد الحُلُول للوُعُود التي قَطَعَتْهَا، دُون التّضحية بأيَّة مصلحة لإمبراطُوريَّتها، أو لمصلحة الشّعب البريطاني. ومن المُفيد أنْ نذكر أنَّ هذه المقالة قد احتوتها الطَّبَعَات الأخيرة من كتاب "أعمدة الحِكْمَة السّبعة".

والمقالة الخامسة هي عبارة عن مُقدِّمة بقلم لُورنس للمعرض الشّخصي الذي أقامه أريك كينكتون (A.Kenekton) عن العَرَب، والذي أُقيم في ليستر كالاريز في تشرين الأوَّل عام 1921. وكان قد تمَّ إرسال مخطوطة المُقدِّمة من عَدَن في الخامس والعشرين من آب 1921. وتضمَّنت هذه المقالة مجموعة كبيرة من الصُّور بَلَغَتْ حوالي (108) صُورة، بَيَّنَتْ مشاهد لمناطق من الجزيرة العَرَبيَّة، وطبيعة الحياة فيها، ولَقَطَات لبعض الحَملات العسكريَّة.

- رسائل لُورنس The Letters Of T.E.Lawrence:

لم تُنشر رسائل لُورنس في كتاب واحد، بل إنَّها نُشرَتْ في ثلاثة كُتُب مُستقلَّة لثلاثة من النّاشرين، واحتوتْ هذه الكُتُبُ على الرّسائل التي كَتَبَهَا لُورنس خلال ثلاثين عاماً، ابتداءً من عام 1905؛ أيْ عندما كان عُمره سبعة عشر عاماً.

بَلَغَتْ أعداد الرّسائل المنشورة ما يقرب (600) رسالة، احتوت هذه الرّسائل على معلومات مُفصَّلة ودقيقة عن حياة لُورنس، وعلاقاته الاجتماعيَّة، وأفكاره السّياسيَّة والعسكريَّة، قلَّ أنْ نجدها في مصادر أُخرى عُنِيَتْ بدراسته. وكان أوَّل مَنْ جَمَعَ هذه الرّسائل هُو ديفيد كارنيت (David Garnett) في كتابه[1] (The Essential T.E.Lawrence)، وضمَّ ما يُقارب من 42 رسالة، بَعَثَ بها لُورنس من أماكن عديدة في أوقات مُختلفة من مراحل حياته، وَصَدَرَت الطّبعة الأُولى من هذا الكتاب عام 1951.

وفي عام 1954، صَدَرَت مجموعة جديدة من الرّسائل، جَمَعَهَا، وَرَتَّبَهَا (باسيل بلاك ويل Basil Black Well)، وأصدرها في كتاب تحت عُنوان The Home Letters Of

(1) David Garnett, Op. Cit.

T.E.Lawrence and His Brothers ضمَّ "266" رسالة عائليَّة بَعَثَهَا لُورنس إلى أُمِّه وأبيه وأشقَّائه. وتحتلُّ رسائله لوالدته وأُخوته مكانة مُتميِّزة، أمَّا رسائله إلى والده؛ فهي شحيحة نوعاً ما؛ إذْ لم تتجاوز الثّلاث رسائل، والذي يُميِّز رسائل هـذا الكتاب أنَّ الغالبيَّة العُظمى منها كان قد كَتَبَهَا لُورنس في المرحلة الأُولى من حياته 1905 ـ 1915، والمرحلة التي عمل فيها بالتّنقيب عن الآثار في أُكسفُورد، ورحلاته في فرنسا للبَحْث عن مادَّة أُطروحته عن القلاع الصّليبيَّة، ورحلاته إلى سُورية، كما أنَّ أهمَّ ما يُميِّز هذه الرّسائل أنَّها تحتوي على وَصْف الكثير من عادات وتقاليد السُّكَّان في المناطق التي زارها لُورنس. ويغلب على تلك الرّسائل الطّابع الوَصْفي[1].

وكانت آخر مجموعة من الرّسائل قد جُمعَتْ، ونُشرَتْ من قبَل مالكولم براون (Malcolm Brawen) في كتاب تحت عُنوان ((The Letters Of T.E.Lawrence[2]. وصَدَرَتْ الطّبعة الأُولى من هذا الكتاب عام 1988، واعتمد المُحرِّر في نَشْر هذه الرّسائل على مجموعة الرّسائل المحفوظة في أماكن مُتعدِّدة من العالم، مُوزَّعة على بريطانيا والولايات المُتَّحدة، فَضْلاً؛ عن اعتماده على ما نُشرَ في الكتابَيْن السّالفي الذِّكْر. احتوى هذا الكتاب على "292" رسالة، وَزَّعَهَا المُحرِّر على مراحل حياة لُورنس المُختلفة. ويحتلُّ هذا الكتاب أهمِّيَّة خاصَّة؛ لاحتوائه على رسائل جديدة غير منشورة سابقاً.

ومن خلال اطِّلاعنا على مجموع تلك الرّسائل؛ نستطيع أنْ نخلص إلى عدَّة نتائج؛ يأتي في مُقدّمتها أنَّ رسائل المرحلة الأُولى من حياة لُورنس ـ والتي تبدأ عام 1905 ـ 1915، تتميَّز بطابَعها الوَصْفي المُميَّز، فقد وَصَفَ فيها المناطق التي قام بزيارتها في سُورية من ناحية العادات والتّقاليد، وَوَصْف لبعض الأكلات، فَضْلاً؛ عن وَصْف كامل لطبيعة المناخ السّائد في تلك المناطق، ومن ناحية الأُسْلُوب؛ فقد تميَّزت رسائل تلك المرحلة بأُسْلُوب أدبيٍّ خال من التّشويق، ومُعظم رسائل هذه المرحلة بَعَثَ بها لُورنس من قرقميش عندما كان يعمل بالتّنقيب عن الآثار.

---

(1) Basil Black Well, The Home Letters Of The T.E.Lawrence and His Brothers, Oxford, 1954.

(2) Malcolm Brawen, Op. Cit.

أمَّا رسائل المرحلة الثّانية 1916 ـ 1918 ؛ فكان الطّابع العسكري هُو الغالب عليها . وهُو أمر طبيعي ، نتيجة اندلاع الحَرْب العالميَّة الأُولـى واشتراك لُورنس في أحداث الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى . وتضمَّنت تلك الرّسائل معلومات مُهمَّة كان يبعث بها من المشرق العَرَبي إلى قيادته في القاهرة ، اشتملت على الموقف العسكري لجُيُوش الثّورة العَرَبيَّة ، وتضمَّنت وَصْفاً للاستعدادات والاستحكامات العُثمانيَّة ، فَضْلاً ؛ عن بعض مُقترحاته وأفكاره الخاصَّة . وتضمَّنت تحليلاً دقيقاً لبعض الشّخصيَّات العَرَبيَّة والبريطانيَّة والفرنسيَّة التي عمل معها في الحجاز .

وكان الطّابَع السّياسي البحت هُو السّمة الغالبة على رسائل المرحلة الثّالثة من حياته 1919 ـ 1922 ؛ حيثُ أُرسلت إلى أشخاص يحتلُّون مناصب سياسيَّة مُهمَّة ، وتضمَّنت تلك الرّسائل معلومات مُفصَّلة عن الدّور السّياسي الذي أدَّاه لُورنس في مُؤتمر الصُّلح في باريس ، ودوره في مُفاوضات المُعاهدة البريطانيَّة ـ الحجازيَّة عام 1921 ، وتضمَّنت مُقترحاته وتعديلاته عليها ، فَضْلاً ؛ عن آرائه في تطوير الإدارة في شرقي الأُردُن . وحاول لُورنس ـ من خلال رسائله تلك ـ بَثَّ أفكاره السّياسيَّة ، والعمل على تطبيقها في منطقة المشرق العَرَبي .

أمَّا أهمُّ ما يُميِّز رسائل المرحلة الرّابعة 1922 ـ 1935 ؛ فإنَّها كُتبَتْ إلى شخصيَّات تهتمُّ بالفكْر والأدب ، كما كان مُعظمها يتناول مشاريعه الأدبيَّة ، لا سيما كتابَيْه "أعمدة الحكْمَة السّبعة" ، و"دار سَكِّ النُّقُود" . وتحتلُّ رسائله إلى شارلوت شُو ـ زوجة برنارد شُو ـ مكانة مُهمَّة في مجموع رسائل المرحلة الأخيرة من حياته ؛ لاحتفاظه بعلاقة خاصَّة معها . وكانت رسائلهما شخصيَّة جداً . وقد أفادت تلك الرّسائل لُورنس بأنْ نَزَعَتْ الشَّكَّ من نفسه في مقدرته الأدبيَّة .

والمُلاحظ على مُجمل رسائل لُورنس أنَّ الغالبيَّة العُظمى منها لرجال ؛ باستثناء بعض الرّسائل التي تُعَدُّ على أصابع اليد كانت لشخصيَّات نسائيَّة . ، ممَّا يُعطينا دليلاً على موقفه المُتشنِّج تجاه النّساء .

تكمن أهميَّـة هـذه الرّسـائل في كونـها مصـدراً مُـهمّاً مـن مصـادر دراسـة تـاريخ المشـرق العَرَبي، والعلاقات العَرَبيَّة ـ البريطانيَّة خلال الحَرْب العالميَّة الأُولى، وبعدها، لكون صاحبها قد ساهم في صُنْع الكثير من أحداثها، ولما احتوتْهُ من معلومـات تفصيليَّـة، وآراء مُهمَّـة، وإنْ كانت هذه الآراء تُعبِّر عن وُجهة نَظَـر كاتبـها عـن تلـك المرحلـة المُهمَّـة مـن مراحـل تاريخنـا. وتظهر أهميَّة تلك الرّسائل في اهتمام الباحثين فيـها؛ إذْ قـام بنَشْـر ترجمـة لبعضـها ممَّـا يخـصُّ القضيَّة العَرَبيَّة الدُكتُـور عبـد المُنعـم النّـاصر تحـت عُنـوان: "مُختـارات مـن رسـائل لُورنـس"، وصَدَرَت عن دار الحُرِّيَّة للطّباعة في كتاب عام 1988.

لم تقتصر كتابات لُورنس على الجانب السّياسـي والعسـكري، بـل تَعَدَّتْهَا إلـى الجـانب الأدبي. فقد كانت له اهتمامات أدبيَّة واضحة؛ إذْ إنَّه عَكَفَ على نَشْر قصائده في ديوان شـعر أطلـق عليـه اسـم "الأقلِّيَّات"، رَدّاً علـى كتـاب كـانت شـارلوت شُـو قـد ألَّفتـه عـن الأخـلاق المسيحيَّة، وأهدتْهُ إيَّاه.

والواقع أنَّ شارلوت شُو قدَّمـت هـذا الدّيـوان ـ بعـد وفـاة لُورنـس ـ إلـى شـقيقه، الـذي سَلَّمَهُ ـ بدوره ـ إلى أحد أصدقاء لُورنس عام 1963، وقد تبيَّن ـ فيمـا بعـد ـ أنَّـه بيـع إلـى أحـد هُواة جَمْع الكُتُب، والذي سَمَحَ لمُحرِّري جريدة الصّانديِ تايمز(Sunday Times) بـالاطِّلاع عليه، ويحتوي ديوان "الأقلِّيَّات" على 112 قصيدة.

وتعدَّتْ اهتمامات لُورنس الأدبيَّة من التّـأليف إلـى النَّقْـد. فقـد كـان برنـارد شُـو يبعـث ببعض مسرحيَّاته ـ قبل نَشْرها ـ إليـه. وبـالرّغم مـن جَهْلـه بالمسـرح، فقـد كـان لُورنـس ينتقـد مسرحيَّاته نَقْداً معقولاً، وكان يَعُدُّ مسرحيَّته "منزل القُلُوب المُحطَّمة" من أفضل أعماله.[1]

كما شمل نشاط لُورنس في التّأليف كتابة العديـد مـن المقـالات، التـي نَشَـرَتْهَا الصُّحُـف البريطانيَّة آنذاك. وكان من أهمِّها مقالاته عن نَقْد الإدارة البريطانيَّة في العراق.

---

(1) Sunday Times Newspaper" 30 June, 1968.

و انظر كذلك ما نَشَرَتْهُ "مجلَّة المنار"، نقلاً عن الصّانديِ تايمز في عددها(15)، الصّادر في 13 تمّوز1968.

(1) Charles. M. Doughty, Travels in Arabia Desert, London Jonathan Cape.1936.

ولبراعة لُورنس الأدبيَّة، فقد كان يُكلَّف من قبَل أصدقائه بكتابة المُقدِّمة لبعض مُؤلَّفاتهم، كمُقدّمته لكتاب صديقه الرَّحَّالة الشّهير تشارلس داوتي(Charles.M.Doughty) المُعنوَن "رحلات في الصّحراء العَرَبيَّة"Travels in Arabia Peseta"[1].

وتحتلُّ مقالاته وتقاريره - التي كان يكتبها في النَّشْرة العَرَبيَّة السِّرِّيَّة الخاصَّة بالمكتب العَرَبي في القاهرة - أهمِّيَّة خاصَّة لدى وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة، لاحتوائها على معلومات قيِّمة عن البلاد العَرَبيَّة. لذا؛ قامت بطَبْع تلك التّقارير بكتاب أَسْمَتْهُ "التّقارير السِّرِّيَّة من الحجاز"[2].

ومن المُفيد أنْ نذكر أنَّ تقارير لُورنس لم تقتصر على منطقة نشاطه في المشرق العَرَبي، بل تَعَدَّتْهَا إلى منطقة المغرب العَرَبي[3].

يتَّضح ممَّا تقدَّم أنَّ لُورنس لم يكن رجلاً عسكرياً فحسب، بل كان يمتلك مُؤهِّلات أدبيَّة، أَهَّلَتْهُ لكي يكون في مصافِّ الأُدباء العالميِّين.

وفاته:

في صباح يوم 17 أيَّار عام 1935، قرَّر دعوة أحد أصدقائه، ليتناول معه طعام الغداء، وذَهَبَ بدراجته البُخاريَّة إلى منطقة بُوكتكون كامب، على بُعْد ميلين من كلاودز هل، للاتِّصال به، ولتحضير بعض مُستلزمات الدّعوة. وفي طريق عودته إلى منزله في كلاودز هل، وبينما كان يقود درَّاجته بسُرعة كبيرة، أصبح - فجأة - وراء صبيَّين يقودان درَّاجَتَيْن ناريَّتَيْن، ولَمَّا لم يستطع تجاوز إحدى الدرَّاجَتَيْن، انحرفت درَّاجته على يسار الطّريق العامِّ، وَسَقَطَ فاقداً الوعي[4].

---

(1) Charles. M. Doughty, Travels in Arabia Desert, London Jonathan Cape.1936.

(2) سُليمان مُوسى، لُورنس والعَرَب، ص281.

(3) للاطِّلاع على ما كَتَبَهُ لُورنس عن منطقة المغرب العَرَبي؛ راجع على سبيل المثال:
P.R.O., F.O., 371, 2771, X\MO7488, Arab Bureau, Cairo, 6th June, 1916.

(4) Richard Graves, Op. Cit., P. III.

وبينما كان لُورنس فاقداً للوعي على جانب الطّريق العامّ، كان أحد الأشخاص ـ ويُدعى العرِّيف كاتشبول من القُوّات الجوِّيَّة المَلَكيَّة ـ يسير مع كلبه على جانب الطّريق ؛ إذْ شاهد لُورنس ، فَنَقَلَهُ في شاحنة عسكريَّة كانت مارَّة في الطّريق مع أحد الصّبيَّين إلى مُستشفى(Evington Camp Hospital) ؛ حيثُ أُدخلا المُستشفى بين السّاعة 30 . 11 و 45 . 11 صباحاً . وتمَّت حماية لُورنس في المُستشفى من قبَل اثنَيْن من الحَرَس السِّرِّيِّ ، كما أُعطيت تعليمات مُشدَّدة إلى مُوظَّفي المستشفى بعدم الإدلاء بأيِّ تصريح عن حالة لُورنس الصِّحِّيَّة .

و بعد ستَّة أيَّام من تشبُّث لُورنس بالحياة ؛ أصبح قلبه عاجزاً عن النّبض ، على الرّغم من مُحاولات الأطبَّاء اليائسة لإنقاذ حياته ؛ حيثُ فارق الحياة في تمام السّاعة 15 . 8 صباحاً من يوم 19 أيَّار1935 . وكان تقرير المُستشفى عن سبب الوفاة هُو احتقان شرايين القلب ، نتيجة تهشُّم الجُمجُمة ، وتمزُّق الدّماغ[1] .

أجرت السُّلطات البريطانيَّة تحقيقاً عن سبب الاصطدام ، وَشَرَعَتْ بذلك بعد وفاة لُورنس مُباشرة ؛ حيثُ تمَّ استدعاء بعض الأشخاص الذين شاهدوا الحادث . وكان في مُقدّمتهم العريف كاتشبول ، الذي أفاد أمام لجنة التّحقيق أنَّه شاهد سيَّارة سوداء تسير بالاتِّجاه المُعاكس قبل لحظات من الاصطدام ، ولكنَّه لم يستطلع فيما إذا كانت درَّاجة لُورنس تستطيع المُرُور بين السَّيَّارة وسائقَيْ الدّرَّاجَتَيْن . كما استمعت لجنة التحقيق إلى أقوال أحد سائقَيْ الدّرَّاجَتَيْن ، الذي أعلن أنَّه لم تكن هُناك سيَّارة في الاتِّجاه المُعاكس من الطّريق . وهكذا اقتنعت اللّجنة أنَّ دليل السّيارة السّوداء ليس مُقنعاً . وكان قرارها النّهائي هُو أنَّ الوفاة تمَّت بشكل غير مقصود Accidental Death[2] .

لم يقتنع بعض مَنْ عَرَفوا لُورنس وأصدقاؤه بنتائج التّحقيق ، واتَّهموا الحُكُومة البريطانيَّة بإخفاء الحقيقة ، قائلين بأنَّ الحادثة مُدبَّرة من قبَل مصلحة الاستخبارات

---

(1) Michael Yardley, Op. Cit, PP. 213-215.

(2) Ibid., P.217.

البريطانيَّة[1]. وكان البعض الآخر قد اتَّهم الحُكُومة البريطانيَّة باختلاق قصَّة وفاة لُورنس بحادث لفَسْح المجال أمامها لإثارة المتاعب ضدَّ إيطاليا في صراعها مع الحبشة، عن طريق استخدام قبائل الجزيرة العَرَبيَّة في حَسْم هذا الصّراع[2]. وهكذا فُتح الباب على مصراعَيْه للكثير من التّكهُّنات والفَرَضيَّات والاستنتاجات من قبَل معارف لُورنس، وبعض الكُتَّاب والصُّحُفيِّين. فقد أجرى كُولن كراهام دراسة لظُرُوف حادثة وفاة لُورنس، وتوصَّل إلى نتيجة مفادها أنَّه قد قُتل. وهي وُجهة نَظَر اشترك فيها صديقا لُورنس؛ وليمسن، وجون بروس، مُستنداً - بذلك - إلى تهوُّر لُورنس في قيادة الدرَّاجة النّاريَّة[3].

كما أجرى الكاتب ميشيل ياردلي تحقيقاً واسعاً لظُرُوف وفاته، وتوصَّل إلى نتيجة مُؤدَّاها أنَّه قد تكون الحادثة مُدبَّرة من جهات عديدة، تبعاً لمصلحتها من اغتيال لُورنس. مُستنداً - في ذلك - إلى نشاطه السّياسي في المُدَّة الأخيرة من حياته؛ إذْ أبدى لُورنس اهتماماً ملحوظاً بالحَرَكَة الفاشستيَّة البريطانيَّة بقيادة مُوزلي، وانتهى هذا الاهتمام إلى الاتِّصال بها، ممَّا سبب الذُّعر لأوساط المُخابرات البريطانيَّة[4]. ففي أوائل أيَّار عام 1935، دعاه هنري وليمسون إلى زيارة دورست، وكان غرضه من هذه الدّعوة الطَّلَبَ من لُورنس للحُصُول على دَعْمه العامِّ للفاشستيِّين البريطانيِّين. ولم تكن تلك المرَّة الأُولى التي يطلب فيها من لُورنس هذا الطَّلَبَ، فقد صَرَّحَ لكاتب سيرته ليدل هارت أنَّ الفاشستيِّين سألوه أنْ يُصبح "دكتاتُوراً" !! فَرَفَضَ طَلَبَهُم، ولكنَّه وافق أنْ يُصبح دكتاتُوراً للصّحافة؛ أيْ كوبلز البريطاني[5].

---

(1) Ibid., P. 216.

(2) Reader Bullard, The Camels Must Go, London, Faber and Faber, 1961, P.190.

الاستقلال"، العدد2515، 14 تمُّوز 1935جريدة.

(3) Michael Yardley, OP. Cit., P.216.

(4) "مجلَّة الدُّستُور"، العدد 378، 3 حُزيران 1985، ص56.

(5) Michael Yardley, Op. Cit., P.21.

كما أنَّ لُورنس كانت تربطه علاقة وثيقة بالمجموعة المُوالية للألمان في بريطانيا، فمُنذُ عام 1924، كانت تربطه علاقة صداقة حميمة مع اللّيدي أستور رئيسة جَمْعيَّة كليفدن[1] التي أجرت اتِّصالات عديدة مع سفير ألمانيا في لندن[2]. هذه الأسباب تبدو كافية من وُجهة نَظَر القائلين بأنَّ وفاة لُورنس كانت مُدبَّرة.

ولم تكن المُخابرات البريطانيَّة هي الطَّرَف الوحيد الذي أُثيرت حولها الشُّكُوك من قبَل هؤلاء، بل إنَّ هُناك جهات عديدة كان من مصلحتها اغتيال لُورنس.، فقد كان هُناك الألمان، لاعتقادهم بقيامه بمهمَّة تنظيم الدّفاع الدّاخلي البريطاني[3]؛ إذْ إنَّه قد أُشيع في أوائل عام 1935، بأنَّه قد طُلبَ منه المُساعدة لإعادة تنظيم الدّفاع الدّاخلي البريطاني، وقد أخبر لُورنس أحد أصدقائه بشكل شخصي أنَّه فيما إذا حدث ذلك فإنَّه سيشعر بعدم امتلاكه بديلاً، إلاَّ تولِّي المهمَّة، وتأخير مشاريعه الأدبيَّة[4].

وكانت هُناك جهة أُخرى من مصلحتها اغتيال لُورنس؛ وهي دُول إيرلندة الحُرَّة؛ لرَفْضه طَلَب مايكل كُولينز للانضمام إلى الجيش الإيرلندي الحُرِّ. فَضْلاً؛ عن الرُّوس لاعتباره جاسوساً إمبريالِيَّاً عالمِيَّاً، وكذلك الفرنسيِّيْن بسبب نشاطاته المُعادية للفرنسيِّيْن؛ وخُصُوصاً في سُورية[5].

ولكنْ؛ تبقى تلك الآراء مُجرَّد فَرَضيَّات قابلة للرَّفْض والتّأييد. ولحين العُثُور على وثائق تُثبت مقتله، يظهر أنَّ شهرة لُورنس - التي طبَّقتْ الآفاق في السّنوات الأخيرة - هي العامل الأساس في إثارة هذه التَّقوُّلات. ذلك أنَّ الرّأي العامَّ البريطاني لم يستوعب أنَّ شخصيَّة "أُسطُوريَّة" معروفة مثل لُورنس يُمكن أنْ تموت بمُجرَّد حادثة اصطدام سريعة

---

(1) مجموعة من أنصار ميونيخ تُطالب بالتّحالف مع ألمانيا النّازيَّة ضدَّ اتِّحاد الجُمْهُوريَّات السُّوفيتيَّة الاشتراكيَّة، وكان من أعضاء هذه الجَمْعيَّة نيغل تشمبرلن، ولورد هاليفاكس. انظر: إرنست هنري، قصَّة لُورنس، "مجلَّة الشَّرْق"، القاهرة، العدد194، أيَّار 1973، ص59

(2) المصدر نفسه، ص59.

(3) Richard Graves, Op. Cit., P.III.

(4) Ibid., P.111.

(5) Michael Yardley, Op. CIT., P. 219.

ومُفاجئة، لذلك بدأ الرّأي العامُّ ينسج بعض الحكايات حول قضيَّة موته، وتلقَّفت الصّحافة البريطانيَّة والأُورُوبيَّة هذه الحكايات، وصاغتها بأُسْلُوب يُقنع القارئ بأنَّها روايات حقيقيَّة.

وعلى أيَّة حال؛ فقد اتُّخذت التّرتيبات اللاَّزمة لتشييع الجنازة، التي اقتصرت على حُضُور بعض أصدقاء لُورنس القُدامى، بناء على طَلَب العائلة بعدم حُضُور السُّكَّان إلى التّشييع[1]. وكان ممَّنْ حَضَرَ التّشييع رُونالد ستورس، وأريك كينكتون، وونستون تشرشل، واللّيدي أستور. وبناءً على توصية لُورنس؛ فقد دُفن في كنيسة القرية في مُورتن[2].

وكُلِّفَ ليدل هارت بكتابة نَعْيه الذي نُشر في صحيفة التّايمز يوم 20 أيَّار 1935. وقد احتلَّ ما يزيد عن أربعة أعمدة[3]. كما أثار موت لُورنس اهتمام ملك المملكة المُتَّحدة، فَبَعَثَ برسالة إلى شقيق لُورنس جاء فيها: "سيحيا اسم أخيك في التّاريخ، ويشعر الملك بكُلِّ امتنان للخدمات الجُلَّى التي قدَّمها لبلاده، ويشعر أنَّه لأمر مأساوي أنْ تنتهي بهذا الشّكل حياة لا تزال تُبشِّر بالمزيد".

هكذا مات لُورنس، مُخلِّفاً وراءه أُسطُورة مليئة بالألغاز، ولكنَّه - بلا شكٍّ - أحد الرُّمُوز الذين صَنَعوا عَظَمَةَ بريطانيا، التي لا تزال - إلى الآن - تنعم بثمرة إنجازاته، خُصُوصاً في منطقة المشرق العَرَبي.

---

(1) Ibid , P.220.

(2) فيليب نايتلي، وكُولن سميسون، المصدر السّابق، ص296.

(3) مُذكّرات ليدل هارت، ص444.

الخاتمة

توصَّل البَحْث ـ من خلال البَحْث والاستنتاج ـ إلى جُملة من الحقائق، يُمكن تلخيصها بما يأتي:

تمتَّع لُورنس ـ مُنذُ نُعُومة أظفاره ـ بصفات شخصيَّة، لم يكن أحد من أقرانه يتمتَّع بها. ومن هذه الصّفات ذكاؤه الحادُّ، وحُبُّهُ للمُغامرة والمُخاطرة. وكان لهوايته في جَمْع الآثار في أُكسفُورد الأثر الأكبر في توجيه الأنظار إليه من قبَل العاملين في حقل الآثار، وأهمُّهم ديفيد هوكارث، الذي حاول توظيف هواية لُورنس وتوجيهها نحو الشَّرْق، فقد أقنعه بضرورة دراسة القلاع الصّليبيَّة في الشَّرْق كأُطروحة لنَيْل الشّهادة الجامعيَّة. لذا؛ يُمكن أنْ نطلق على لُورنس تسمية" الضّابط المُستشرق" أمثال برسي كُوكس، وأرنولد ولسن، وهذه التّسمية جاءت من خلال اهتمام لُورنس برحلاته المُتكرِّرة إلى الشَّرْق، التي جَعَلَتْهُ يرقى إلى مصافّ الرَّحَّالة والمُستشرقين الغزيري المعلومات عن عادات وتقاليد شُعُوب تلك المنطقة.

ولم يختر لُورنس منطقة نشاطه" المشرق العَرَبي" بمحض إرادته، بل كان نشاطه مُوجَّهاً من قبَل مصلحة الاستخبارات البريطانيَّة، وبالتّحديد من ديفيد هوكارث أحد عُملائها، ولما رأت فيه من اهتمام بالآثار، وبشُعُوب المشرق العَرَبي.

لذا؛ فإنَّ لُورنس عمل مع الاستخبارات البريطانيَّة بعلْمه ـ أو دُون علمه ـ مُنذُ وطئت قدماه أرض المنطقة. وكان للمعلومات التي استقاها لُورنس عن هذه المنطقة أهمِّيَّة خاصَّة للقيادة البريطانيَّة، جَعَلَتْهَا تعهد إليه بمهمَّات استخباريَّة مُختلفة. وهذا ما تبيَّن جلياً من خلال تكليفه بمهمَّة الاستكشاف في صحراء سيناء، وكذلك مهمَّة مُفاوضة القائد العُثماني خليل باشا أثناء مُحاصرة الكُوت.

وعندما اندلعت الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى رغبت القيادة البريطانيَّة ـ مُتمثِّلة بـالمكتب العَرَبي في القاهرة ـ معرفة إمكانيَّات الجُيُوش العَرَبيَّة، فأوكلت للُورنس هذه المهمَّة، خلافاً لما كان يدَّعيه لُورنس من أنَّ ذهابه إلى الحجاز أوَّل مرَّة جاء بناءً على رغبته الشّخصيَّة. ونتيجة لدقَّة المعلومات التي كانت تحتويها تقاريره، فقد رأت فيه القيادة البريطانيَّة أنَّه الشّخص المُؤهَّل ليُؤدِّي مهمَّة ضابط الارتباط بين قُوَّاتها وقُوَّات الثّورة العَرَبيَّة، وتحديداً قُوَّات الأمير فَيْصَل التي كانت ـ آنذاك ـ تُقاتل في الجبهة الشّماليَّة.

إنَّ الانتصارات التي حَقَّقَهَا الجيش الشّمالي بقيادة الأمير فَيْصَل، لم تكن بجُهُود لُورنس الشّخصيَّة وتحت قيادته حسب ادِّعائه، ولكنْ؛ كانت لشجاعة تلك الجُيُوش وقادتها، وعملها من أجل الاستقلال عن الدّولة العُثمانيَّة، فَضْلاً؛ عن شجاعة قيادتها من الأُمراء والضبَّاط العَرَب الأسباب الحقيقيَّة لانتصار العَرَب. وهذا لا ينفي أنْ يكون لُورنس عاملاً مُساعداً في تحقيق تلك الانتصارات، فقد أدَّى دوراً في بعض عمليَّاتها، وخُصُوصاً في تدمير محطَّات السِّكَّة الحديديَّة، ولكنَّه لم يكن قائداً للثّورة، ولا مُؤجِّج أوارها.

وخلال مُدَّة عمله تلك لم يكن لُورنس ذا أهمِّيَّة خاصَّة لدى القيادة البريطانيَّة. فقد كان ـ كغيره من زُملائه الضبَّاط ـ مُكلَّفاً بمهمَّة عسكريَّة كان عليه تأديتها، ولكنَّ مقدرة لُورنس في إقناع رُؤسائه بأنَّ الانتصارات التي حَقَّقَتْهَا الجُيُوش العَرَبيَّة كانت بفَضْل قيادته وتخطيطه، هي التي جَعَلَتْ تلك القيادة تثق بقُدراته، وأصبح شخصها المُعتمَد عليه كثيراً، يُلاحَظ ذلك جلياً بعد احتلال العَقَبَة؛ إذْ أخذت القيادة البريطانيَّة تعهد إليه بمهمَّات، أحجمت عن تكليف غيره بها.

أمَّا في المجال السّياسي؛ فقد عارض لُورنس ـ مُنذُ البداية ـ اتِّفاقيَّة سايكس ـ بيكُو مُعارضة شديدة، ولم تكن مُعارضته تلك تعاطفاً مع العَرَب، بل كان هدفه مَنْع فرنسا من الاستحواذ على سُورية، انطلاقاً من مصلحة بلاده، ولكنَّه فشل في مسعاه هذا، نتيجة الاتِّفاقات المُسبقة بين حُكُومة بلاده والحُكُومة الفرنسيَّة. وخلافاً لمُعارضته مُعاهدة سايكس ـ

بيكُو ؛ فقد أيَّد تنفيذ وعد بلفُور وإنشاء وطن قومي لليهُود في فلسطين. لذا ؛ نراه يسعى حثيثاً لإقناع الأمير فَيْصَل بالتّفاوض مع المُنظَّمة الصّهيونيَّة العالميَّة.

وكان للُورنس دور بارز في التَّحوُّلات السّياسيَّة التي شهدَتْهَا المنطقة. فقد أسهم مُساهمة فعَّالة في تأسيس المملكة العراقيَّة، وولادة إمارة شرقي الأُردُن.

أمَّا آراؤه السّياسيَّة ؛ فقد كان لُورنس يُؤيِّد الاتِّجاه المُساند للشّريف حُسَيْن وأولاده، تدعمه في ذلك وزارة الخارجيَّة. ولكنَّ تطوُّر الأحداث أثبت فَشَلَ هذا الاتِّجاه، وعَجْزَهُ عن الصُّمُود أمام الاتِّجاه المُساند لابن سُعُود، الذي تدعمه وزارة الهند ؛ من خلال فشل لُورنس في إقناع الشّريف حُسَيْن بتوقيع المُعاهدة المُقترَحَة بين بريطانيا ومملكة الحجاز.

المصادر والمراجع

الوثائق غير المنشورة:

الوثائق العراقيَّة:

د . ك . و . ملفَّات البلاط المَلكي :

الملفّ 2197/ 311، المُخابرات مع الدُّول الأجنبيَّة .

الملفّ2247/ 311، حدَّاد باشا .

الوثائق البريطانيَّة غير المنشورة :

Unpublished British Documents

وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة:

Foreign Office (F.O)

- 371, 5030, E8063 ، Memorandum on changes in the general international situation since the date of the main British Regarding the middle east, 12 July 1920.

- 371 ، 3503 ، 4178 ، Tel.No.10250 ، From Political Baghdad to secretary of stste for India ، London ، dated8 ، th and recived 19th November 1918.

- 371 4148 ، 4363 ، War Caabinet Eastern Committee secret Miuntes of ametting held atl ، Carlton House Terrace ، November27, 1918.

- 371 ، 5032 ، E21 ، Settlements between Frensh and Fisal regards Syria ، 1920.

- 371 ، 2771 ، X\M\07488, Arab Bureau, Cairo, 6 th June, 1916 .

- 406, 46, 5408.

سلاح الجوّ المَلَكي:

Royal Air Force

- 5\829, First metting of the palastine political military, March17; 1921.

- 8\37, Fourth meeting of th e political committee, March 15, 1921.

- 8\37, Fifth meeting of the political committee, March, 16, 1921.

الوثائق الفرنسيَّة غير المنشورة:

-E314, 2, Ambassade de France en Angleterre., Direction de Affaires politiques et commerciales, Asie, No, 51,7 Fevrier, 1921.

الوثائق المنشورة:

الوثائق العَرَبيَّة:

- سُليمان مُوسى (الجامع)، الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى وثائق وأسانيد، عمّان، دار الثّقافة والفُنُون، 1966.

- سُليمان مُوسى، المُراسلات التّاريخيَّة 1914 - 1918، (إعداد وتحقيق وترجمة).

المُجلَّد الأوَّل، عمّان، 1973، المُراسلات التّاريخيَّة 1919، (ترجمة وتقديم).

المُجلَّد الثّاني، عمّان، 1975، المُراسلات التّاريخيَّة 1920 - 1923، (تحرير وتقديم)، عمّان، 1978.

الوثائق الأجنبيَّة:

- Hurewitz, J.C, Diplomacy in the Near and Middle East.

A Documentary record: 1914-1950، Vol.2, New York, Octagon Books, 1972.

المصادر العَرَبيَّة والمُترجمة:

كُتُبُ المُذكّرات:

- أحمد قدري، مُذكّراتي عن الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى، دمشق، مطابع ابن زيدون، 1956.

- تحسين العسكري، مُذكّراتي عن الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى والثّورة العراقيَّة، النّجف، مطبعة الغرى، 1938.

- حاييم وايزمن، مُذكّرات حاييم وايزمن، بلا، 1952.

- ساطع الحُصري، مُذكّراتي في العراق 1921 - 1941، الجُزء الأوّل، بيرُوت، دار الطّليعة، 1967.

- سُليمان فيضي، في غمرة النّضال، بيرُوت، دار القَلَم، 1974.

- سُليمان مُوسى، الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى. الحَرْب في الأُردُن 1917 - 1918، مُذكّرات الأمير زيد، عمّان، بلا، 1979.

- عبد الله بن الحُسَيْن، الأمالي السّياسيَّة، عمّان، مطبعة جريدة الأُردُن، 1939.

- عبد الله بن الحُسَيْن، مُذكّرات الملك عبد الله بن الحُسَيْن، بيرُوت، 1965.

- عليّ جودت الأيُّوبي، ذكريات عليّ جودت الأيُّوبي 1900 - 1958، بيرُوت، مطابع الوفاء، 1967.

- ليدل هارت، مُذكّرات ليدل هارت، ترجمة بسام العسلي، بيرُوت، الدّار العَرَبيَّة للدّراسات والنّشر، 1978.

- نجدة فتحي صفوت(مُحقِّق)، مُذكّرات جعفر العسكري، لندن، دارالسّلام، 1988.

- نجدة فتحي صفوت(مُحقِّق)، مُذكّرات رُستُم حيدر، بيرُوت، الدّار العَرَبيَّة للموسُوعات1988.

- نُوري السّعيد، مُذكّرات نُوري السّعيد عن الحركات العسكريَّة للجيش العَرَبي في الحجاز وسُورية 1916 - 1918، بيرُوت، الدّار العَرَبيَّة للموسُوعات، 1987.

. الرّسائل الجامعيَّة غير المنشورة:

ـ أحمد حرب بشير اللّصاصمة، الحياة النّيابيَّة في المملكة الأُردُنيَّة الهاشميَّة 1929 ـ 1967، رسالة ماجستير غير منشورة مُقدَّمة إلى معهد البُحُوث والدّراسات العَرَبيَّة، بغداد 1987.

ـ جبَّار يحيى عُبيد، التّاريخ السّياسي لإمارة حائل، رسالة ماجستير غير منشورة مُقدَّمة إلى كُلِّيَّة الآداب، جامعة بغداد، 1978.

ـ جمال هاشم أحمد الذّويب، السّياسة البريطانيَّة تجاه أفغانستان 1908 ـ 1929، رسالة دُكتُوراه غير منشورة مُقدَّمة إلى كُلِّيَّة الآداب، جامعة بغداد، 1994.

ـ حُسَيْن هادي الشّلاه، طالب النّقيب ودوره في تاريخ العراق الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة مُقدَّمة إلى جامعة عين شمس، 1981.

ـ حميد حمدان التّميمي، البَصْرَة في عهد الاحتلال البريطاني1914 ـ 1918، رسالة ماجستير غير منشورة، مُقدَّمة إلى كُلِّيَّة الآداب، جامعة بغداد، 1978.

ـ سُعاد حسن جواد، التّطوُّرات الاقتصاديَّة والسّياسيَّة والدّاخليَّة في تُركيا في سنوات الأزمة الاقتصاديَّة العالميَّة 1929 ـ 1933، رسالة ماجستير غير منشورة مُقدَّمة إلى كُلِّيَّة الآداب جامعة بغداد، 1989.

ـ سعد كاظم حسن، الملك فَيْصَل الأوَّل ودوره في الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى، رسالة ماجستير غير منشورة مُقدَّمة إلى معهد البُحُوث والدّراسات العَرَبيَّة، بغداد، 1988.

ـ عبد السّلام خليفة الشّواورة، العلاقات السّياسيَّة الأُردُنيَّة العراقيَّة من1921 إلى1958، رسالة ماجستير غير منشورة مُقدَّمة إلى معهد البُحُوث والدّراسات العَرَبيَّة، بغداد، 1987.

ـ مُحَمَّد يُوسُف إبراهيم القُريشي، المس بل وأثرها في السّياسة العراقيَّة، رسالة ماجستير غير منشورة مُقدَّمة إلى كُلِّيَّة الآداب، جامعة بغداد، 1993.

الكُتُب:

ـ أحمد طربين، فلسطين في خُطط الصّهيونيَّة والاستعمار 1897 ـ 1922، القاهرة، معهد البُحُوث والدّراسات العَرَبيَّة، 1970.

- أحمد عطيَّة الله، القاموس السّياسي، القاهرة، دار النّهضة العَرَبيَّة، 1968.

- آرنولد ولسن، بلاد ما بين النّهرَيْن بين ولاءَيْن، الجُزء الأوَّل، ترجمة فُؤاد جميل، بغداد، دار الشُّؤُون الثّقافيَّة العامَّة، 1992.

- ألبرت. م. منتشاشفيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة هاشم صالح التّكريتي، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، 1978.

- أميل تُوما، جُذُور القضيَّة الفلسطينيَّة، بيرُوت، مركز أبحاث مُنظَّمة التّحرير الفلسطينيَّة، 1973.

- أمين سعيد، الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى ومأساة الشّريف حُسَيْن، القاهرة، دار الكاتب العَرَبي، د. ت.

- أنتوني ناتنغ ولويل تُوماس، لُورنس لُغز الجزيرة العَرَبيَّة، بيرُوت، مُؤسَّسة المعارف، 1969.

- أنيس صايغ، الهاشميُّون والقضيَّة الفلسطينيَّة، بيرُوت، المكتبة العصريَّة، 1966.

- أنيس صايغ، في مفهوم الزّعامَّة السّياسيَّة من فَيْصَل الأوَّل إلى جمال عبد النّاصر، بيرُوت، المكتبة العصريَّة، 1965.

- أنيس صايغ، الهاشميُّون والثّورة العَرَبيَّة، بيرُوت، المطبعة الكاثُوليكيَّة، 1966.

- أنيس صايغ (مُشرف)، الفكْرة الصّهيونيَّة النُّصُوص الأساسيَّة، ترجمة لُطفي العابد ومُوسى عنز، بيرُوت، مركز أبحاث مُنظَّمة التّحرير الفلسطينيَّة، 1970.

- بنواميشان، عبد العزيز بن سُعُود بطل ومولد مملكة، ترجمة عبد الفتَّاح ياسين، بيرُوت، دار الكاتب العَرَبي، د. ت.

- بُوندرافسكي، سياستان إزاء العالم العَرَبي، ترجمة خيري الضّامن، مُوسكُو، دار التَّقدُّم 1975.

- تيسير ظبيان، الملك عبد الله كما عَرَفْتُهُ، المطبعة الوطنيَّة، 1967.

- جاك بيرك وآخرون، الخطَّابي وجُمْهُوريَّة الرّيف، ترجمة صالح بشير، بيرُوت، دار رشد، 1978.

- ج. ب. ديروزيل، التّاريخ الدّبلوماسي في القرن العشرين، الجُزء الأوَّل، ترجمة خُضرخُضر، بيرُوت، دار المنصور، 1985.

- جلال يحيى، الثّورة العَرَبيَّة، بدُون معلومات طَبْع.

- جُورج أنطُونيُوس، يَقَظَة العَرَب تـاريخ حَرَكَة العَرَب القوميَّة، ترجمة نـاصر الدِّين الأسد وإحسان عبَّاس، بيرُوت، دار العلم للملايين، 1966.

- جُورج لنشوفسكي، الشَّرْق الأوسط في الشُّؤُون العالميَّة، الجُزء الثّاني، ترجمة جعفر الخيَّاط، بغداد، مكتبة المُتنبِّي، 1964.

- جيمس مُوريس، مُلُوك هاشميُّون، بيرُوت، المكتب العالمي للتّأليف والتّرجمة، بلا، د. ت.

- حافظ وهبة، جزيرة العَرَب في القرن العشرين، القاهرة، لجنة التّأليف والتّرجمة والنَّشْر، 1935.

- حسن صبري الخُولي، سياسة الاستعمار والصّهيونيَّة تجاه فلسطين في النّصف الأوَّل من القرن العشرين، المُجلَّد الأوَّل، القاهرة، دارالمعارف، 1973.

- خير الدِّين الزّركلي، عامان في عمَّان، القاهرة، المطبعة العَرَبيَّة، 1925.

- خير الدِّين الزّركلي، الأعلام، المُجلَّد الثّاني والثّالث والرّابع والسّادس والثّامن، بيرُوت، دار العلم للملايين، 1979.

- خيري حمَّاد، أعمدة الاستعمار البريطاني في الوطن العَرَبي، الحلقة الأُولى - عبد الله فلبي، بيرُوت، الدّار القوميَّة للطّباعة والنَّشْر، د. ت.

- خيريَّة قاسميَّة، الحُكُومة العَرَبيَّة في دمشق1918 - 1920، القاهرة، دار المعارف، 1971.

- خيريَّة قاسميَّة، النّشاط الصّهيوني في الشَّرْق العَرَبي ومداه، بيرُوت، مركز أبحاث مُنظَّمة التّحرير الفلسطينيَّة، 1973.

- خيريَّة قاسميَّة، عوني عبد الهادي أوراق خاصَّة، بيرُوت، مركز أبحاث مُنظَّمة التّحرير الفلسطينيَّة، 1974.

- ديزموند ستيورات، تاريخ الشَّرْق الأوسط الحديث معبد جانوس، ترجمة زُهدي جار الله، بيرُوت، دار النّهار للنَّشْر، 1973.

- ذوقان قرقوط، المشرق العَرَبي في مُواجهة الاستعمار، قراءة في تاريخ سُورية المُعاصر، القاهرة، الهيئة العامَّة المصريَّة للكتاب، 1977.

- راشد البراوي، حرب البترول في الشَّرْق الأوسط، دراسات في السّياسة الاستعماريَّة، القاهرة، مكتبة النّهضة، 1973.

- ريتشارد الدنكتون، لُورنس في البلاد العَرَبيَّة، ترجمة محمُود عزَّت مُوسى، بدُون معلومات طَبْع.

- زاهية قدُّورة، تاريخ العَرَب الحديث، بيرُوت، دار النّهضة العَرَبيَّة، 1975.

- زُهدي الفاتح، لُورنس على خُطى هرتزل، بيرُوت، دار النّفائس، 1971.

- زين نُور الدِّين زين، الصّراع الدّولي في الشَّرْق الأوسط وولادة دولتَيْ سُورية ولُبنان، بيرُوت، دار النّهار للنَّشْر، 1971.

- ستيفن همسلي لونكريك، سُورية ولُبنان تحت الانتداب الفرنسي، ترجمة بيَّار العقل، بيرُوت، دار الحقيقة، 1978.

- سُليمان مُوسى، الحُسَيْن بن عليّ والثّورة العَرَبيَّة الكُبرى، عمَّان، دار النّشر والتّوزيع، 1957.

- سُليمان مُوسى، لُورنس العَرَب وُجهة نَظَر عَرَبيَّة، عمَّان، بلا، 1963.

- سُليمان مُوسى، صُور من البُطُولة، عمَّان، بلا، المطبعة الهاشميَّة، 1969.

- سُليمان مُوسى، غربيُّون في بلاد العَرَب، عمَّان، المطبعة الوَطَنيَّة، 1969.

- سُليمان مُوسى، تأسيس الإمارة الأُردُنيَّة 1921 - 1925، عمَّان، مطابع العُمَّال التّعاونيَّة، 1972.

- سُليمان مُوسى، الحَرَكَة العَرَبيَّة، سَيْر المرحلة الأُولى من النّهضة العَرَبيَّة 1908 - 1924، بيرُوت، دار النّهار للنَّشْر، 1977.

- سُليمان مُوسى صفحات مطويَّة، مُفاوضات المُعاهدة بين الشّريف حُسَيْن وبريطانيا 1920 - 1924، عمَّان، وزارة الثّقافة والشّباب، 1977.

- سُليمان مُوسى، وُجُوه وملامح شخصيَّة لبعض رجال السّياسة والقَلَم، عمَّان، مطابع دار الشّعب، 1980.

- شاكر خليل نصَّار، لُورنس والعَرَب، بيرُوت، المطبعة الأمريكيَّة، 1930.

- شُكري محمُود نديم، حرب العراق 1914 - 1918، بغداد، مطبعة النّجاح، 1954.

- صُبحي العُمري، لُورنس كما عَرَفْتُهُ، بيرُوت، دار النّهار للنَّشْر، 1969.

- صلاح الدِّين المُختار، تاريخ المملكة العَرَبيَّة السُّعُوديَّة في ماضيها وحاضرها، بيرُوت، دار الحياة، د. ت.

- عبد الرّزاق أحمد النّصيري، نُوري السّعيد، ودوره في السّياسة العراقيَّة حتَّى عام 1932، بغداد، مكتبة اليَقَظَة العَرَبيَّة، 1988.

- عبد العزيز العظمة، مرآة الشّام، تحقيق نجدة فتحي صفوت، لندن، دار رياض الرَّيِّس، د. ت.

- عبد المجيد كامل التّكريتي (الدُّكتُور)، الملك فَيْصَل الأوَّل ودوره في تأسيس الدّولة العراقيَّة الحديثة 1921 - 1933، بغداد، دار الشُّؤُون الثّقافيَّة، 1991.

- عبد المُنعم مُصطفى (الدُّكتُور)، لُورنس قصَّة حياته وحقيقة موقعه من الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى، بغداد، دار الشُّؤُون الثّقافيَّة العامَّة، 1990.

- عبد المُنعم النّاصر (الدُّكتُور)، مُختارات من رسائل لُورنس، بغداد، دار الحُرِّيَّة للطّباعة، 1988.

- عزيز جاسم الحجيَّة، وعد بلفُور، بغداد، دار البصري، 1967.

- علاء جاسم مُحَمَّد، الملك فَيْصَل الأوَّل، حياته ودوره السّياسي في الثّورة العَرَبيَّة وسُورية والعراق، 1883 - 1933، بغداد، 1990.

- عليّ سُلطان، تاريخ سُورية 1908 - 1918 نهاية الحُكْم التُّرْكي، دمشق، 1987.

- عليّ المحافظة (الدُّكتُور)، تاريخ الأُردُن المُعاصر، عهد الإمارة 1921 - 1946، عمَّان، مطبعة الجامعة الأُردُنيَّة، 1973.

- عليّ المحافظة (الدُّكتُور)، العلاقات الأُردُنيَّة - البريطانيَّة من تأسيس الإمارة حتَّى إلغاء المُعاهدة 1921 - 1957، بيرُوت، دار النّهار للنَّشْر، 1973.

- عليّ الوردي (الدُّكتُور)، لمحات اجتماعيَّة من تاريخ العراق الحديث، الجُزء الرّابع ومُلحق الجُزء السّادس، بغداد، مطبعة المعارف، 1977.

- عُمر الدّيراوي، الحَرْب العالميَّة الأُولى، بيرُوت، دار العلم للملايين، 1982.

- فارس زرزور، معارك الحُرِّيَّة في سُورية قصَّة الكفاح الشّعبي من أجل إجلاء القُوَّات البريطانيَّة من دمشق، دار الشَّرْق للنَّشْر، 1962.

- فاروق صالح العُمر(الدُكتُور)، حول سياسة بريطانيا في العراق 1914 - 1921، دراسة وثائقيَّة، بغداد، مطبعة الإرشاد، 1977.

- فريدريك. ج. بيك، تاريخ شرقي الأُردُن، ترجمة بهاء الدِّين طُوقان، عمَّان الدّار العَرَبيَّة للتّوزيع والنّشر، د. ت.

- فرنان ويليه، الأُسُس التّاريخيَّة لمُشكلات الشَّرْق الأوسط، ترجمة نجدة ماهر وطارق شهاب، بيرُوت، المكتب التّجاري للطّباعة والتّوزيع، 1960.

- فيليب إيرلاند، العراق دراسة في تطوُّره السّياسي، ترجمة جعفر الخيَّاط، بيرُوت، دار الكشَّاف، 1949.

- فيليب ناتيلي، وكُولن سمبسون، المخفي من حياة لُورنس العَرَب، ترجمة إيلي لاوند وإبراهيم العابد، بيرُوت، المُؤسَّسة العَرَبيَّة للدّراسات والنَّشْر، 1971.

- قدري قلعجي، جيل الفدا قصَّة الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى ونهضة العَرَب، بيرُوت، دار الكاتب العَرَبي، د. ت.

- كاظم نعمة (الدُكتُور)، فَيْصَل الأوَّل والإنكليز والاستقلال، بيرُوت، الدّار العَرَبيَّة للموسُوعات، 1988.

- كمال مظهر أحمد(الدُكتُور)، أضواء على قضايا دوليَّة في الشَّرْق الأوسط، بغداد، وزارة الثّقافة والفُنُون، 1987.

- ل. كالال براون، السّياسة الدّوليَّة والشَّرْق الأوسط، ترجمة عبد الهادي حُسَيْن جياد، بغداد، دار الشؤُون الثّقافيَّة العامَّة، 1987.

- ل. ن كاتلوف، ثورة العشرين الوطنيَّة التَّحرُّريَّة في العراق، ترجمة عبد الواحد كَرَم، بيرُوت، دار الفارابي، 1975.

- لُورنس أعمدة الحكْمَة السّبعة، بيرُوت، المكتبة الأهليَّة، 1971.

- لُورنس، الثّورة العَرَبيَّة، ترجمة كامل صموئيل، بيرُوت، مطبعة صادر، د. ت.

- مارسل بروفنس، حياة صاحب السُّمُوّ الأمير الجزائري حفيد الأمير عبد القادر الشّهير، ترجمة جُورج بشعلاني، بيرُوت، بلا، 1920.

- مجيد خدوري، نظام الحُكْم في العراق، ترجمة فَيْصَل نجم الدِّين الطّرقجي، بغداد، مطبعة المعارف، 1946.

- مُحَمَّد أمين الحُسَيْني، حقائق عن قضيَّة فلسطين، القاهرة، دار الكاتب العَرَبي، 1957.
- مُحَمَّد بديع شريف، زكي المحاسني، أحمد عزَّت عبد الكريم، دراسات تاريخيَّة في النّهضة العَرَبيَّة الحديثة، القاهرة، جامعة الدُّول العَرَبيَّة، د. ت.
- مُحَمَّد جميل بيهم، سُورية ولُبنان 1918 - 1922، بيرُوت، دار الطّليعة، 1968.
- مُحَمَّد جميل بيهم، قوافل العُرُوبة ومواكبها عبر العُصُور، بيرُوت، دار الكشّاف، 1950.
- مُحَمَّد حُسَيْن الزُّبيدي، مولود مُخلص باشا ودوره في الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى وتاريخ العراق المُعاصر، بغداد، دار الحُرِّيَّة للطّباعة، 1989.
- مُحَمَّد صُبيح، فَيْصَل الأوَّل، القاهرة، دار إحياء الكُتُب العَرَبيَّة، د. ت.
- مُحَمَّد صُبيح، مواقف حاسمة في تاريخ القوميَّة العَرَبيَّة، القاهرة، 1965.
- مُحَمَّد عبد الرّحمن بُرج، تحالف الصّهيونيَّة والاستعمار مُقدّماته ونتائجه، القاهرة، المُؤسَّسة المصريَّة للتّرجمة والطّباعة والنَّشْر، 1964.
- مُحَمَّد عزَّة دروزة، القضيَّة الفلسطينيَّة في مُختلف مراحلها، الجُزء الأوَّل، بيرُوت، المكتبة العصريَّة، 1959 م.
- مُحَمَّد عزَّة دروزة، نشأة الحَركَة العَرَبيَّة الحديثة، المُجلَّد الأوَّل، بيرُوت، المكتبة العصريَّة، 1971.
- مُحَمَّد كُرد عليّ، خُطط الشّام، الجُزء الثّالث، بيرُوت، دار العلم للملايين، 1970.
- مُحَمَّد ظافر الأدهمي (الدُّكتُور)، الملك فَيْصَل الأوَّل دراسة وثائقيَّة في حياته السّياسيَّة وظُرُوف مماته الغامضة، بغداد، دار الشُّؤُون الثّقافيَّة العامَّة، د. ت.
- محمُود صالح منسي، حَرَكَة اليَقَظَة العَرَبيَّة في الشَّرْق الآسيوي، القاهرة، دار الاتِّحاد العَرَبي 1972.
- مُصطفى الشّهابي، مُحاضرات في الاستعمار، الجُزء الثّاني، القاهرة، معهد الدّراسات العَرَبيَّة العالية، 1956.
- مُصطفى طلاس، الثّورة العَرَبيَّة، دمشق، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، 1987.

- مُؤرِّخ الثّورة العَرَبيَّة، الملك فَيْصَل الأوَّل، بيرُوت، مطبعة الدبُّور، د. ت.
- نجيب العقيقي، المُستشرقون، الجُزء الأوَّل، بيرُوت، بلا، 1937.
- هاشم صالح التّكريتي، (الدُّكتُور)، المسألة الشَّرْقيَّة المرحلة الأُولى1774 - 1856، بغداد، دار الحكْمَة للطّباعة والنَّشْر. د. ت.
- هنري فُوستر، نشأة العراق الحديث، الجُزء الأوَّل، ترجمة سليم طه التّكريتي، بغداد المكتبة العلميَّة، 1989.
- و. ف. بريدج وونستون تشرشل، لُورنس بطل الجزيرة العَرَبيَّة، ترجمة مُحَمَّد بدران وأحمد حلمي عليّ، القاهرة، لجنة التّأليف والتّرجمة والنَّشْر، د. ت.
- وميض جمال عُمر نظمي(الدُّكتُور)، الجُذُور السّياسيَّة والفكْريَّة والاجتماعيَّة للحَرَكَة القوميَّة العَرَبيَّة الاستقلاليَّة في العراق، بيرُوت، مركز دراسات الوحدة العَرَبيَّة، 1984.
- يُوسُف الحكيم، ذكريات يُوسُف الحكيم سُورية والعهد الفَيْصَلي، بيرُوت، المكتبة الكاثُوليكيَّة. د. ت.

البُحُوث والمقالات:

- أحمد عبد الرّحيم مُصطفى، في المتاهة الإنكليزيَّة العَرَبيَّة، قراءة في كتاب إيلي خضوري، "مجلَّة العَرَبي"، الكُويت، العدد233، نيسان، 1978.
- أرنست هنري، قصَّة لُورنس، "مجلَّة الشَّرْق"، القاهرة، العدد194، مايس 1973.
- أمين المُميَّز، عودة إلى اتِّفاقيَّة وايزمن، القسم الأوَّل، "مجلَّة آفاق العَرَبيَّة"، بغداد، العدد5، كانون الثّاني 1978.
- أمين المُميَّز، عودة إلى اتِّفاقيَّة وايزمن، القسم الثّاني، "مجلَّة آفاق العَرَبيَّة"، بغداد، العدد 8، 1978.
- أنيس صايغ، رأي عَرَبي في لُورنس، "مجلَّة جوار"، بيرُوت، العدد5، تمُّوز وآب.. 1963.
- توفيق مُفرج، بريطانيا العُظمى والعَرَب، "مجلَّة المُقتطف"، القاهرة، مُجلَّد 59، الجُزء الثّالث، كانون الأوَّل 1921.

- خالد حمّود السّعدون، مُقاومة القبائل لسكّة حديد الحجاز أسبابها تطوّراتها خلال عامَيْ 1908 - 1909، "مجلّة الدّارة"، الرّياض، العدد الثّاني، السّنة 14، 1988.

- خيريّة قاسميّة، قراءة تاريخيّة لاتّفاقيّة فَيْصَل وايزمن، "مجلّة شُؤُون فلسطينيّة"، بيرُوت، العدد94، أيلول1979.

- ديزموند ستيوات، لُورنس الأُسطُورة والواقع، ترجمة فتحي غانم، "مجلّة رُوز اليُوسُف"، القاهرة، الأعداد 2554، 2556، 2558، 2560، 2562، 2564، لعام 1977.

- ديزموند ستيوات، لُورنس الجزيرة العَرَبيّة، ترجمة عادل إحسان الخفاجي، "مجلّة آفاق عَرَبيّة"، العدد الثّالث، آذار 1986.

- رفيق الخُوري، لُورنس الشُّذُوذ والخيانة، "مجلّة النّهار"، بيرُوت، العدد19، 19آب 1968.

- زُهدي الفاتح، لُورنس في الوثائق السِّرِّيّة، "مجلّة الدّارة"، الرّياض، العدد2، 1975.

- سليم طه التّكريتي، استسلام الحامية الإنكليزيّة في الكُوت، "مجلّة آفاق عَرَبيّة"، بغداد، العدد الثّالث، تشرين الثّاني 1973.

- سُليمان مُوسى، لُورنس في الميزان، "مجلّة الآداب"، بيرُوت، العدد11، تشرين الثّاني 1955.

- سُليمان مُوسى، الإنكليز والثّورة العَرَبيّة، "مجلّة دراسات عَرَبيّة"، بيرُوت، الطّبعة الثّانية، العدد8، حُزيران 1966.

- سُليمان مُوسى، عودة أبو تايه فاتح العَقَبة، "مجلّة العَرَبي"، الكُويت، العدد49، 1966،

- سُليمان مُوسى، تاريخ الأُردُن، تأسيس الإدارة الأُردُنيّة وتطوّرها، كتاب بالإنكليزيّة من تأليف معن أبو نوّار، "المجلّة الثّقافيّة"، عمّان، العدد21، نيسان، 1991.

- عبد الرّحمن الشّهبندر، الكُولُونيل لُورنس، "المُقتطف"، القاهرة، الجُزء الثّالث، العدد784، 1931.

- فائق حمدي طهبوب، الصّهيونيّة الأمريكيّة ودورها في تقسيم فلسطين، "مجلّة المُؤرِّخ العَرَبي"، عمّان، العدد 48، 1994.

- فاضل حُسَيْن، فَيْصَل الأوَّل والصّهيونيَّة، " مجلَّة المُعلِّم الجديد"، بغـداد، مُجلَّـد 21، الجُزء السّادس، تشرين الثّاني وكانون الأوَّل، 1958.

- فيليب نايتلي، مُحاربو الصّحـراء جوهـر تقسـيم الشَّـرْق الأوسـط بعـد الحَـرْب العالميَّـة الثّانية، " مجلَّة آفاق عَرَبيَّة"، بغداد، العدد السّادس، حُزيران1991.

- كمال مظـهر أحمـد، حـول نُشُـوء حَرَكَـة التَّحـرُّر الوَطَنـي في دراسـة سُـوفييتيَّة جديـدة للدُّكتُور ل. ن. كاتلوف، " مجلَّة آفاق عَرَبيَّة"، بغداد، العدد 12، كانون الأوَّل، 1975.

- ليدل هارت، لُورنس العسـكري الرّجـل والثّـورة العَرَبيَّـة، " مجلَّـة المُقتطـف"، بغـداد، المُجلَّد 987، 1935.

- محمُود السّـمرة، لُورنـس اللُّغـز المُحيِّر الـذي تضـاربت فيـه الآراء، " مجلَّـة العَرَبـي"، الكُويت، العدد 43، 1962.

- نجدة فتحي صفوت، عرشٌ يبحث عن ملك، " مجلَّة آفاق عَرَبيَّـة"، بغـداد العـدد 12، آب 1978.

- نجدة فتحي صفوت، مس بل وفلبي في العـراق، " مجلَّـة آفـاق عَرَبيَّـة"، بغـداد، العـدد الثّامن، 1978.

- هاشم صالح التّكريتي، التّغلغل الألماني في المشرق العَرَبي قُبيل الحَرْب العالميَّة الأُولى، " مجلَّة المُؤرِّخ العَرَبي، بغداد، العدد27، 1986.

- يقظان سعدون العامر، الاتِّصالات الألمانيَّة - العُثمانيَّة بشأن الحُصُول على امتيـاز سكَّة حديد برلين - بغداد 1880 - 1982، " مجلَّة المُؤرِّخ العَرَبي"، بغداد، العدد 39، 1989.

الصُّحُف والمجلاَّت العَرَبيَّة والعراقيَّة:

1 ـ " جريدة الاستقلال"، بغداد.

2 ـ "جريدة ألف باء"، دمشق.

3 ـ "جريدة الأهالي"، بغداد.

4 ـ "مجلَّة الدُّستُور"، لندن.

5 ـ " مجلَّة الرّابطة العَرَبيَّة"، بغداد.

6 ـ " جريدة الرّافدان"، بغداد.

7 ـ " جريدة الرّأي"، عمَّان.

8 ـ " جريدة العراق"، بغداد.

9 ـ " جريدة القبلة"، مكَّة المُكرَّمة.

10 ـ " مجلَّة لُغة العَرَب"، بغداد.

11 ـ "مجلَّة المُقتطف"، القاهرة.

12 ـ "مجلَّة المنار"، بغداد.

المصادر الأجنبيَّة:

الكُتُب باللُّغة الإنكليزيَّة:

Armitag, Flora, The desert and stars, London, Faber and Faber, 1956.

Baker, Randall, King Hussain and the Kingdom of Hejaz, Cambridge, Oleander presses, 1979.

Baylis,Jhon, Both, K., Carnett. J., Willians. P.,P Contemporary strategy theories and politices, London, 1975.

Blackwell, Basil, T.E. Lawernce and his brother's Oxford,1954.

Brwn, Malcolm(ed.), The letters of T.E. Lawernce, London, J.M.Dent,1988.

Bullard, Reader, The camels Must GO, London, Faber and Faber, 1961.

Bush, Briton Cooper, Britain, India and Arab 1914-1921, California, Univercity of California,1971.

Clubb' Jhon Bagot, Britain and the Arab, Astoughton, fifty years,1905 to 1958, London, Hodder and Stoughton,

Doughty, Charles. M., travels IN Arabia Deserta, London, Jonathanacape,1936.

Fisher, Sydney Nettleton, The Middle East A History, London, Routledge Kegan Limited 1960.

Gardner, Brian, Allenby, LONDON, Gassel, 1965.

Garnett, David(ed.), The Essential T.E. Lawernce, London, Jonathan Cape, 1951.

Lloyd George, D, The Truth about the peace Treaties, Vol.2, London, Gollancz,1938.

Graves, philpe, the life of sir Bercycox, London, hotchinson, N.D.

Graves, Robert, Lawernce and the Arabs, London, Jonathan cape,1927.

Graves, Robert and Hart, Liddle, T.E. Lawernceto, his Biographers, London, 1963.

Graves, Richard, Lawernceof Arabia and his world. London.

Kedovrie, Eile, England and the middle east, london. 1956.

Kedourie, EILE, The chatham House version and other Middle Eastern studies, London, Frank Cass, N.D.

Kedourie, Eile, Arabic political Memories and other studies London, Frank Cass, 1974.

Klieman, S.Aaron, Foundation of British policy in the Arab world: the cairo conference of 1921,London.

Jhon Hopkins press, 1971.

Lawernce, T.E., The Mint, London, Jonathan cape,1955.

Lawernce, T.E., Oriental Assembly, London, William's and Norgats, 1947.

Lawernce, T.E., Seven Pillars of Wisdom, New York, 1935.

Main, Ernest, IRAQ From mandate to Independence, Vol.2,London,George Allenard Unwin Ltd., 1935.

Miller, Ronald, Kut the death of An Army, London, Secker and Warbury, 1969.

Monroe, Elizabeth, Philbi of Arabia, London, Faber and Faber, 1973.

Nevakivi, Jukka, Britain, France and the Arab Middle East 1914-1920 , London, The Anthlone Press,1969.

Philby, H.ST.J., Forty Years in the Wilderness, London Ernest Benn Limited,1930

Raymond, E.T.,M.R. Lloyd George, Ablography, London, W.Collins and Co. LTD., 1922

Sandes,F.W.G., In Kut captivity, London, 1994.

Storrs, Ronald, Orientation, London,. Ivor Nicholson and Watson

Ltd. p.939.

Tibawi, A.L.,A Modern History of Syria, London, 1969.

Thomas, Lowell, with Lawernce in Arabia, London, Hutchinson and Co. Ltd., 1952.

Thomson, David, Englang in the Nineteenth Century(1815-1914), London, 1950.

Wingate, Ronald, Wingate of the Sudan, London,Murray,1955.

Winston, H.V.F., Gertrude Bell, London, Jonathan cape, 1978.

Wood Ward, Llewellyn, Great Britisain and the war of 1914-1918, London, Methuen and co. Ltd., 1967.

Wooley, Leonard and T.E, Lawernce, The Wilderness of Zin, London, Jonathan cape, 1936.

Yardley, Michael, Baking into Limilight, Abiography of T.E. Lawernce, London, Harrep, 1985.

Young, Hubert, The Independent Arab, London, Jhon Murray, 1933.

الكُتُب باللُّغة الفرنسيَّة:

Lare's, Maurice, T.E. Lawrence La France Et Les Francais, Tome L, Paris,1978.

المقالات الأجنبيَّة:

Tibawi, A.L., T.E. Lawernce, Faisal and Weizman, 'Middle East Forum' (Beirut), Vol XIV, No. l, 1969.

الصُّحُف الأجنبيَّة:

"Daily Herald", Newspaper, (London) August. 1920.
"Sunday Times", Newspaper, (London) June. 1986.

الموسُوعات:

باللُّغة الإنكليزيَّة:

Encyclopaedia Britannica, Vol.13, London, Encyclopaedia Britannica, Inc., 1970.

Encyclopaedia of world Biography, Vol.6, New York, McGraw- Hill Inc. 1973.

Everyman's Ecyclopedia, Vol.6, London, Dent and Sons Ltd., 1958.

The Encyclopedia Americanc, Vol.12, New York, 1976.

The Dictionary of National Biography, Vol.2, Oxford, Oxford University Presses, 1982.

باللُّغة الفرنسيَّة:

Grand Larouse Encyclopedique, Tom. 6, Paris, Librairie Larousse, 1962.

Abstract

Lawernce and the Arabian Caause

1988-1935

This thesis is designed for analyzing an important British personality, that is' Thomas Edward Lawernce"

Who had a great influence on the Arabian cause in the Arab East. The significance of this subject, we believe, is due to its connection with with Most of the political transformations which Arab East witnessed, particularly in Hijaz, Syria, Iraq and Trans Jordan.

Besides These considerations, we attempted to focuse a bright light on ' The Lawernce Myth".

The work connnnnnsists of five chapters, an introdustion and a conlusion. Chapter one briefly reviews the early stage of Lawernce's life since his birth up to 1914.

Chapter two aalyzes his military role in the battles of the first stage of the of the Arabian revolution (Hijazian battles). Lawernce role in the second stage of the Arabian revolution (northen battle) are treated in the third chapter, while chapter four studies his political role in the period which followed the Arabian revolution (1919-1922). Last and not Least, the last stage of Lawernce(1922-1935)Which was a political isolation.

Period and a time of instelleoeotual activity are examined in the fifth chapter.

Through Careful examination of this personality under study, we reached the following conclusions:

- Lawernce han not the decision to choose his own activity region in the Arab East, but his activity was directed by British intelligence.

- He was not the main conductor of the victories of the Arabian revolution, but but he was a secondary factor in this revolution and its developments.

- Regarding political aspect, Lawernce opposed the sykespicot agreement in 16 september 1916, this opposition was not because of his allegiance to the Arabs, but to prevent the frenesh occupation of Syria.

- He had supported extensively Belfour Declaration in November 111917, that he encouraged the establishment of national home for jows in Palestine.

Besides thes works, he deoisivity contributed in baking the mode in Iraql state and Trans Jordan marat.

- Pinal it Was not created as a result of his ability and his own character, but emerged by British Government which made him as

"British Rambow",

o occupy the British Buplic Oppinion with these secondary subjects, and to distract their ataention away from secondary subjects, problems which resulted from the second world war.

This may be the American Rambow who was Greated by the Amirican government as a result of its Failure in veitnamian war (1963-1973).